كتاب

الكنيسة الجامعة

ألّفهُ احد ابناء الكنيسة الكاثوليكية

ردًّا

على كتاب صخرة الشك

وجواب الكنيسة الارثوذكسية

طُبع باورشليم

في دير الاباء الفرنسيسكانيين

سنة ١٨٨٨

ADMITTITUR

GRATIANUS SAPHIE

Censor Ecclesiasticus deputatus.

كتاب

٭ الكنيسة الجامعة ٭

الَّفهُ احد ابناء الكنيسة الكاثوليكية

ردًّا على كتاب صخرة الشك وجواب الكنيسة الارثوذكسية

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد امين

٭ مقدمة المؤلف ٭

قد دخل اخيرًا بداعي تغيير الحساب بعض من اليونان الكاثوليك في الكنيسة الروسية فاغتنم الفرصة السينودس المعروف بالمقدس عند الروسيين فسعى بتعريب امتن كتاب تمتلكهُ الكنيسة الروسية ضدّ الكاثوليكية عنوانه «صخرة الشك» ثم بطبعهِ وتوزيعهِ على ابناء العرب في سوريا تثبيتًا لهم فيما انحازوا اليهِ واملًا باكتساب غيرهم الى الكنيسة الروسية. وهو تسمان الواحد صغيرٌ مُعَدٌّ للجمهور البسيط والآخر كبيرٌ أعدُّوهُ لجماعة المتفقهين. ولا يخفى ان جمهورًا من الروم يتوهمون ان الكنيسة الروسية واليونانية انما هي كنيسة واحدة تعتقد بايمان واحد فكتاب صخرة الشك ينبيء صريحًا ان الكنيستين ليستا واحدة ولا ايمانهما واحد انما هما منفصلتان انفصالًا تامًّا ليس في الامور الطقسية فقط بل في الايمان ايضًا. وعليه كان ارسال هذا الكتاب ليعرف ابناء العرب ان يميّزوا بين الكنيسة الروسية واليونانية كما يتبيّنه كل من طالع كتابنا هذا

اما الكتاب الذي عنوانه «جواب الكنيسة الارثوذكسية المسيحية من دعوى الكنيسة الغربية الباباوية» فهو رسالةٌ حرَّرها احد ابناء سوريا مدَّعيًا انه سلك فيها «مسلك الاستقامة» مع كون رسالتهِ هذهِ ليست في الحقيقة الَّا مجموع تلفيقاتٍ وخرافاتٍ صبيانية وافتراء وبهتان وقَدْح وطعن على نائب المسيح في الارض وخليفة القديس بطرس وهامة الكنيسة الجامعة وعلى من تشرَّف بالانتماء اليهِ

هذا ولا بدَّ لنا من ان ننبه هنا القارىء على طريقةٍ اعتادها اليونان والروسيون ومن شاكلهم وهي انهم يؤلفون الكتب ويوردون الاعتراضات الجمَّة ضد الكنيسة الكاثوليكيةِ ولا يذكرون أُجوبة الكاثوليكيين او اذا ذكروا شيئًا منها حرَّفوهُ تدليساً على الغفلة والساذجين. بخلاف ما يصنعهُ الكاثوليكيون فانهم لا يخشون إيراد الاعتراضات على التمام ايًّا كان مصدرها واذا اوردوها الحقوها بالاجوبة السديدة الشافية. وعليهِ فلمَّا كنت مزمعاً بحولهِ تعالى على اثبات كون الكنيسة الكاثوليكية هي بيعة المسيح الحقيقية وعلى تفنيد اهمّ ما ورد ضدها من الاعتراضات في كتب الروسيين والروم المنفصلين عنها ولاسيما الكتابين المشار اليهما قد تحرَّيت ان اورد تلك الاعتراضات من غير ادنى تحريف كما سيتحققهُ كل من طالع هذا الكتاب الذي سمَّيتهُ «الكنيسة الجامعة» سائلاً الراعي الصالح الذي بذل نفسهُ عن الخراف ان يجمع الطوائف المتفرقة الى واحدٍ وينعم علينا بان نراها يوماً رعيَّةً واحدةً لراعٍ واحدٍ ✿

٭ الجزء الاول ٭

في بعض تمهيدات تاريخية ولاهوتية

الفصل الاول

٭ في اصل الامم القديمة اليهود والسريان واليونان والرومانيين ٭

اولاً اصل اليهود والسريان. ما من احد يجهل ان اليهود من نسل ابرهيم. واما السريان فقد جاء في سفر التكوين (ف ٢٢ ع ٢٠ و٢١) ما يدل على انهم من نسل قموئيل ابن اخي ابرهيم فانَّ مِلْكة قد ولدت لناحور اخي ابرهيم بنين عوصاً بكره وبوزاً وقموئيل ابا أرام (او ابا السوريين كما ورد في الترجمتين اللاتينية واليونانية السبعينية). فكثرت انسالهم فتفرقوا في الاقطار المشرقية والفوا ممالك يشبه انقسامها ما نشاهده الان في ممالك انكلترا الكثيرة فبنيت اذ ذاك صيدا وبيروت وغيرهما وازهرت فيها اغراس العلوم والفنون

واما انطاكية القديمة فكانت مستقرّ الملوك وعدد سكانها بلغ زهاء ٧٠٠,٠٠٠ نفس. واما مصر فتقوت فيها دول الفراعنة فقبضوا على زمام الاحكام ومهدوا سبل العلوم فصارت هي وسورية اتقن البلاد تمدناً وادباً

ثانياً اصل اليونان. ان اول من سكن البلاد اليونانية البلاسجيون وهم قوم ارتحلوا اليها من اسيا وتفرقوا فيها قبائل لم يعتنوا بما كان يأول الى العمران وقد كرّت عليهم السنين وبلادهم متوحشة خربة الى ان تطرق اليها قوم من المصريين يتقدمهم ايناخوس الذي بنى مدينة ارغوس وفيقروبوس الذي بنى مدينة اثينا ثم تبعهم قوم من الفينيقيين يتقدمهم قدموس الذي بنى مدينة تيبه فاخذ سنكونياتون الفينيقي يعلمهم القراءة والكتابة فازهرت البلاد شيئاً فشيئاً واتسع نطاقها وكثرت سكانها وبدأت تتحلى بقلائد الفنون والمعارف غير انها لم تزل منقسمة الى ممالك كثيرة منها جمهورية ومنها مَلَكية الى ان ظهر اسكندر الكبير فحاربهم مملكة فمملكة الى ان ضمهم الى مملكةٍ واحدة ثم دوخ بلاد اسيا وافتتح منها جزءاً كبيراً وغزا سورية واخرب صور واستولى على مصر لِمَا بدا فيها من العصيان ضد اوليائها وتوغل في فتوحاتهِ الى ان بلغ الهند وما يجاوره من البلدان. لكن لما استولى عليهِ الفجور اقتاده الى الموت سنة ٣٢٣ قبل المجيء الالهي فاقتسمت قواده الاربعة مملكتهُ فاختص الواحد منهم لنفسهِ جزءاً من اسيا الصغرى والاخر مصر والثالث سوريا والرابع جزءاً من افريقيا

فصار لليونان وقتئذٍ اربع ممالك وقد استمرت الى ان دوّخها الرومانيون. اما اليونان في ايامنا هذه فلا يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين منهم مليون ونصف يسكن اغريقيا والآخرون منتشرون في الممالك العثمانية

ثالثاً اصل الرومانيين. اما الرومانيّون فتلقبوا بهذا الاسم من مدينتهم رومية ولغتهم اللاتينية وكان ميلهم الى الحرب شديداً فحاربوا جميع الشعوب المعروفة حينئذٍ وغلبوهم واجبروهم الى الخضوع لدولتهم فدوّخوا بلاد الانكليز والبرتوغال واسبانيا وفرنسا وبلجيكا والمانيا والنمسا وتركيا وافريقيا والدانوب والعجم فافتتحوا بلاد اليونان سنة ١٦٧ قبل المجي الالهي وسورية ومصر سنة ٦٠ فصار العالم حينئذٍ كله خاضعاً لدولتهم والسلم عام في اقطار الارض قاطبةً فصدر ان ذاك امر من ملك الرومانيين اغوسطس قيصر بان يُكتتب جميع المسكونة وجرى هذا الاكتتاب في اليهودية في عهد كيرينوس والي سورية. هذا ولمّا صعد يوسف ومريم الى بيت لحم مدينتهم ليكتتبا تمت ايام ولادتها فولدت يسوع المسيح مخلص العالم سنة ٤٠٠٤ من الخليقة

قال متى الرسول فـ ٢ ع ١٦ ان هيرودس لما رأى ان المجوس قد سخروا بهِ ارسل فقتل جميع صبيان بيت لحم لعله يعثر على المسيح فيقتلهُ وهيرودس هذا قد اقامهُ الرومانيون والياً على اليهود ولقبوهُ ملكاً. اما بعد موته فقسم الرومانيون اليهودية واعطوا هيرودس اركيلاوس نصفها والاخر وهو الجليل ولّوا أُمرهُ هيرودس انتيكونوس وكلاهما ولدا هيرودس الكبير ولقبوهما ايضاً ملوكاً. وقال لوقا البشير فـ ٢٣ ع ٧ ان بيلاطس قد كان وقت مات يسوع المسيح والياً على اورشليم واليهود اذ قد كان أُرسِل اليها بعد ان خلع هيرودس اركيلاوس عن الولاية ✿

الفصل الثاني

* في الاناجيل والرُسل وخلفائهم *

اعلم ان القديس متى الرسول قد كتب انجيلهُ في اللغة العبرانية لثماني سنين من موت يسوع المسيح. والقديس مرقس البشير لاثنتي عشرة سنة ومرقس لم يكن رسولاً ولا تلميذاً للسيد المسيح بل تلميذاً لمار بطرس ومن المحققين من يقول انهُ كتب انجيلهُ في اللاتينيّة او في اليونانية. والقديس لوقا البشير كان تلميذاً للقديس بولس وقد كتب انجيلهِ في اليونانية لاثنتين وعشرين سنة من موت المخلص واما القديس يوحنا الرسول فكتبهُ في اليونانية لخمس وخمسين سنة من موت السيد المسيح

قد بلغ عدد اليهود عند المجيّ الالهيّ زهاء سبعة ملايين كلهم من نسل ابرهيم يعبدون الاله الواحد الحقيقي اما سائر الامم فكان دينهم متوقفاً على نصْب اصنام يكرمونها كأنها الهة تسوس العالم وتدبّرهُ فأتى المخلص ليستدعي الجميع الى الخلاص من غير استثناء. بيد ان الرسل لم يعمّدوا في بادىء الامر الّا اليهود الى ان أوعز اليهم الروح القدس بان ضمّوا الى حظيرته جميع الشعوب فمالت الافكار اليهم وكان اول من اعتمد من الوثنيين كرنيليوس وعائلتهُ ثم السريان فكثر عدد المتعمدين من اليهود والامم حتى اضطروا الى اخذ اسم يميزهم عن الاخرين فاجتمع الرسل في انطاكية عاصمة المملكة السوريّة واتخذوا اسم مسيحيين كما جاء في اعمال الرسل ف ١١ ع ٢٦ حتى ان التلاميذ دُعوا مسيحيين بانطاكية اولاً ثم افترق الرسل وانتشروا في العالم كلّه ينذرون ويبشرون حتى ذاع صوتهم الى جميع الارض واقوالهم الى اقاصي المسكونة كما ذكره القديس بولس في رسالته الى اهل رومية ف ١٠ ع ١٨ وكانت رومية اذ ذاك عاصمة العالم ومركز الديانة الوثنية فاخذت تضطهد المسيحيين وتبرح بهم وتريق دماءهم مدة ٣١٢ سنة الى ان ظهر الملك قسطنطين فاوقف الاضطهاد بعد انتصاره على اعدائهِ وجعل السلم في العالم كله. وقد مات الرسل كلهم شهداء ما عدا القديس يوحنا الرسول وقد بلغ عدد الشهداء الذين اراقوا دماءهم حبًّا بالحقيقة المسيحية زهاء اثني عشر مليونًا

تفرقت الرسل في العالم اما القديس بطرس رئيسهم فكان من عمله ان يزور الكنائس وكان اكثر اقامته في انطاكية لكثرة المسيحيين فيها فرسم افوديوس اسقفاً عليها وسافر الى رومية حيث اسّس كرسيه واقام فيها ٢٢ سنة وقد سام هناك مرقس تلميذه اسقفًا وارسله الى الاسكندرية ليقيم فيها كلمة الله ثم بعد ذلك أسر القديس بولس وأرسل الى رومية فمات شهيداً مقطوع الرأس اما القديس بطرس فصلبوه رأسهُ من تحت ورجلاهُ من فوق وقبْر هذين الرسولين المعظمين في رومية مشيّد عليه كنيستان من أجمل كنائس العالم. فخلف القديس بطرس في الرياسة القديس لينوس وما زال خلفاؤهم يتعاقبون على كرسي رومية خلفًا عن سلف الى ان بلغ عددهم الان ٢٦٣ بابا منهم ثلاثون قد ماتوا كلهم شهداء في الاجيال الاولى الثلاثة للكنيسة

اعلم ان السيد المسيح قد انتخب اثني عشر رسولاً سامهم اساقفة واثنين وسبعين تلميذاً استمروا كهنة فقط وهو نفسه يُدعَى اسقفاً كما قال القديس بطرس في رسالته الاولى ف ٢ ع ٢٥ قد كنتم ضالين كخراف لكنكم رجعتم الان الى

الراعي الى اسقف نفوسكم. قال السيد المسيح ها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر (متى ف ٢٨ ع ٢٠) ولكن كيف يكون المسيح الى منتهى الدهر مع رسله الاطهار وهم قد ماتوا كلهم. فمعنى كلامهِ اذاً انهُ يكون الى منتهى الدهر مع خلفائهم. اما يهوذا فلما مات قد اجتمعت الاخوة وانتخبوا عوضه متيّا كما جاء في ف ١ ع ٢٠ من اعمال الرسل: وليأخذ رياسته آخَر. فلم يقل رسالته لان المعنى واحد لكلتا الكلمتين والاساقفة هم خلفاء الرسل كما يذكره الكتاب بما لا ريب فيهِ في ف ٢٠ ع ٢٨ من اعمال الرسل لقولهِ: فاحذروا لانفسكم ولجميع القطيع الذي أقامكم فيهِ الروح القدس اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمهِ وكما جاء في رسالة القديس بطرس الاولى ف ٢ ع ٢٥ فانكم رجعتم الآن الى الراعي الى اسقف نفوسكم. ولا يخفى ان عمل الرسل قد اتّجه كلهُ الى الانذار والتبشير وإقامة جماعات يسمون عليها اساقفة يرعونها ويدبرون امورها

ان الكتاب المقدس يأتي بذكر الاساقفة والكهنة والشمامسة اما البابوات والبطاركة ورؤساء الاساقفة فلا يذكر عنهم شيئًا فأتى الآباء القديسون والمؤرخون ولاسيما الشرقيّون بما ينبئ كيف كان مدخل هذه الاسماء في الكنيسة ونخصّ بالذكر إوتيخيوس ونيكيفورس اللذين بيّنا ذلك على احسن بيان فقالا: ان الرسل قد رسموا اساقفة كثيرين في العالم ولكن بما كثر عدد المسيحيين عجزت اولئك الاساقفة عن رعايتهم فساموا اساقفة أُخر لمعاونتهم في اعمالهم فسمّوا الاولين رؤساء اساقفة والآخرين اساقفة تمييزاً لبعضهم عن بعض وسموا اسقف انطاكية واسكندرية باسم بطريرك اعتباراً للقديس بطرس الذي أسس كرسي الاولى بذاته والثانية بواسطة تلميذه القديس مرقس. اما اسقف رومية فسموه الحبر الاعظم او بابا ومعناه الاب العام لجميع المسيحيين. ولا تغفل ان الكنيسة في الاجيال الاولى لم تسمِّ باسم بطريرك اسقف احدى الكنائس المؤسسة من الرسل ما عدا التي أسسها القديس بطرس هامتهم

الفصل الثالث

« في عصمة الكنيسة عن الغلط في امور الايمان »

قال القديس بولس في رسالته الى اهل افسس ف ٤ ع ٤ و ٥ فانكم جسدٌ واحدٌ وللجميع ربٌّ واحد وايمان واحد مشيراً الى ان الكنيسة انما هي جماعة المؤمنين المنتشرة في العالم كلهِ بحيث يكون لها جسد واحد وايمان واحد ورئيس واحد تخضع لهُ خضوع الرعايا الى ملِكها وعليهِ فكلما ورد ذكر الكنيسة في الكتاب

القدس كان مشيرًا الى جماعة المسيحيين. وقد سمّوا ايضًا باسم كنيسة البيت الذي يجتمع فيهِ المسيحيون لاقامة الصلوات

فالكنيسة التي اسّسها السيد المسيح والرسل واحدة لا غير لا يمكنها ان تَغش ولا تُغَش في امور الايمان لقول السيد لهُ المجد لمار بطرس هامة الرسل: ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها. والقديس بولس في رسالته الاولى الى تلميذه تيموثاوس ف ٣ ع ١٥ يدعوها عامود الحق وقاعدته. فلو غلطت الكنيسة في امور الايمان فلا تكون والحالة هذه عامود الحق بل الضلال. قال متى الرسول في ف ٢٨ ع ٢٠ قال السيد المسيح: ها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر أفيكون معهم كل الايام ولا يصونهم من الغلط وكيف يكون معهم ويلقّنهم جميع ما يأتون بهِ من التعاليم الخلاصيّة ولا يعصمهم عن الخلل. قد جاء في ف ١٤ ع ١٦ من بشارة يوحنا الرسول ما نصّه: وانا اسأل الآب فيعطيكم معزّيا اخر ليقيم معكم الى الابد روح الحق الذي العالم لا يستطيع ان يقبله لانهُ لم يرَهُ ولم يعرفهُ اما انتم فتعرفونهُ لانهُ مقيم عندكم ويكون فيكم. وفي ع ٢٦: واما المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كلَّ شيء ويذكركم كل ما قلته لكم. فاعتبر هنا ايها القارىء اللبيب ان السيح لهُ المجد لم يخاطب افرادًا بل جميع الرسل بل جسد الكنيسة كلها وقت اجتمعت لوداعه الاخير. فالروح القدس مع الكنيسة كل الايام بلا انقطاع الى منتهى الدهر يعلّمها كلّ شيء ويذكرها كلّ حق لانهُ روح الحق وروح الحق لا يضل ولا يَغش ولا يُغَش. وعليه فلا يمكن هذه الكنيسة التي يقيم فيها هذا الروح المعزّي ان تضلّ نها يعلمهُ اياها اذ لو امكنها ان تضلّ فيها تتلقّنه للزم حمل هذا الضلال على السيد المسيح نفسهِ وهذا كفرٌ لا يقولهُ احد المسيحيين. فقد يمكن لاسقف او مجمع خاص ان يضلّ كما حدث ذلك في كثير من المجامع الخاصّة اما المجمع المسكوني فلا يحدث فيهِ ضلال لانهُ يمثّل الكنيسة المعلّمة التي وعدها السيد لهُ السجود بالمعاونة كل الايام الى منتهى الدهر. قال السيد المسيح (متى ف ٢٨ ع ١٨و١٩) اني قد أُعطيت كل سلطان في السماء والارض اذهبوا الان وتلمذوا كلّ الامم. والكنيسة المجتمعة تعلم بالسلطان نفسهِ الذي أُعطيتهُ. وقال لهم ايضًا: كلما حللتموهُ على الارض يكون محلولاً في السماء وكلما ربطتموهُ على الارض يكون مربوطًا في السماء. وقد وعد القديس بطرس بان ابواب الجحيم لن تقوى عليها وعليه فكل ما يقضي بهِ الرسل على الارض يكون مقضياً بهِ في السماء. وقد عرف هذا الاله انهُ لا بد من المستهزئين فحذّر رسله بان قال: من سمع منكم فقد سمع

مني ومن احتقركم فقد احتقرني ومن لا يسمع من الكنيسة يُعَدّ وثنيًا وعشارًا اي غير مسيحيّ. وعليه فلا تعبأوا بهم ولا تهابوهم فان جميع الذين ينفصلون عن الكنيسة ويقيمون كنيسةً خلوةً فهم مشاقون كاغصان قد ذبلت ومن ينكر قضية من الايمان فهو هرطوقيّ ومن لا يؤمن بقضية قررتها الكنيسة في مجمع مسكونيّ فهو هرطقوقيّ ايضاً ومحروم. غير ان من المسائل ما لا يزال تحت الجدال بين اللاهوتيين ولم تحسمهُ المجامع المسكونية فالمؤمنون اعتقدوا بها ام لم يعتقدوا فلا خوف عليهم ولا هم مسئولون الأ انهُ من المتحتم عليهم ان يكون في تصدهم ان يؤمنوا كما تؤمن الكنيسة وان يذعنوا لِما تقضي بهِ في مثل هذه المسائل ✿

الفصل الرابع

• في الاراطقة •

قد ظهرت الارطقات في الكنيسة من بادىء امرها لان من المسيحيين من لم يكن يذعن لِما بثَّهُ الرسل وقررهُ في امور الايمان وقد نبهنا السيد المسيح مرارًا بانهُ لا بد من الانبياء والرسل والمسحاء الكذبة وعليهِ فقد جاء في اعمال الرسل ف ٢٠ ع ٢٩ و٣٠ عن الرسول بان قال: اني اعلم انهُ بعد فراقي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على القطيع ومنكم انفسكم سيقوم رجال يتكلمون باقوال فاسدة ليجتذبوا التلاميذ وراءهم. وقال القديس بطرس الرسول في رسالته الثانية ف ٢ ع ١: وقد كان في الشعب انبياء كذبة كما انهُ سيكون فيكم معلّمون كذبة يدسون بِدَع هلاك. وقال القديس بولس في رسالته الثانية الى تيموتاوس ف ٤ ع ٣ فانهُ سيأتي زمانٌ لا يحتملون فيهِ التعلم الصحيح بل على وفق شهواتهم يكدسون معلمين فوق معلمين بسبب استحكاك اذانهم. وقد جاء في اعمال الرسل ف ٦ ع ٥ بان انتخبوا سبعة شمامسة منهم نيقولاوس الدخيل الانطاكيّ وروى الاباء القديسون ان نيقولاوس هذا قد عَمِهَ في اضاليل كثيرة منها انهُ علّم ان الدنس ليس خطأً فانفرد واقام كنيسةً وتبعهُ تلامذة سمّوا نيقولاويين وقد قال عنهم يوحنا الرسول في سفر الرؤيا ف ٢ ع ٦ ولكنَّ عندك هذا انك تمقت اعمال النيقولاويين التي امقتها انا ايضًا. وفي الفصل نفسه ع ١٥ قال: هكذا انت ايضاً عندك قوم يتمسكون بتعلم النيقولاويين. فتُبْ وإلاّ فاني اتيك سريعًا واقاتلهم بسيف فمي

قد ذكر القديس بولس كثيرًا من الاراطقة الذين انفصلوا عن الكنيسة واقاموا جماعات منفردة منهم همنايوس والاسكندر اللذان أُسلمهما الى الشيطان لتأديبهما

كما جاء في رسالته الاولى الى تيموتاوس ف ١ ع ٢٠ ومنهم فيلاتوس الذي ترعى كلمته كالآكلة كما ذكره في رسالته الثانية الى تيموتاوس ف ٢ ع ١٧ . وكثيراً ما نبّه على مجانبة الفيلاتيين لانهم لتلبّسهم بالبدع يفسدون ايمان المؤمنين

قد اجمع الاباء القديسون على ان الجماعات الكاذبة التي ظهرت في اوائل النصرانية انما هم السيمونيون والنيقولاويون والابيونيون والمرقيونيون والمقدونيّون . اما تورنتوس وابيون فمن جملة الاضاليل التي هوّيا فيها قولهما ان المسيح ليس الهاً ولا هو من الطبيعة الالهية بل انسان مثلنا . فطلب اذ ذاك كثيرٌ من اساقفة اسيا الى القديس يوحنا الرسول بان يدحض هذه الاضاليل فكتب انجيله لخمس وخمسين سنة للمجيء الالهيّ وقد بداه به بقوله : في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله وقال في ف ٢٠ ع ٣١ وانما كتبت هذا لتؤمنوا بان يسوع هو المسيح ابن الله اي انه كتبهُ دحضاً لما كان يعلّمه اولائك الملحدون . اما عدد الارطقات من زمان الرسل الى ايامنا هذه فهو زهاء ثلاثة الاف ارطقة وقد ذكرها القديس الفونس ليكوري وبيّن فساد معتقداتها وفنّدها بكتاب قد تُرجم الى العربيّة وطبع في دير طاميش للرهبانيّة اللبنانيّة . اما البروتستان فلم ينشروا راية التمرّد الاّ من عهد اربع مائة سنة وقد تشعبت بدعتهم منذ لوثاروس الى ايامنا الى بدع كثيرة بلغ عددها زهاء خمسة الاف بدعة ولا يزال الانشقاق عاملاً فيهم ومفرّقاً لارائهم بما لا حدَّ لهُ

ان اكثر البدع القديمة قد اندرست اثارها . فالاريوسيون قد بلغ عددهم نحو مائة مليون وقد انقرضوا بحيث لم يبقَ لهم عينٌ ولا أثر . والابروتستان يبلغ عددهم نحو ستة وستين مليوناً فلهم ما كان لغيرهم من البدع غير ان البدع لا تتلاشى بالكليّة من العالم فلا بد من حدوثها الى منتهى العالم . قال القديس بولس الرسول في رسالته الاولى الى اهل كورنتس ف ١١ ع ١٩ لا بد من البدع فيما بينكم ليظهر فيكم المذكون . فقد شاهدنا منذ عهدٍ قريب ان بعضاً من الروم الملكيين قد انفصلوا عن الكنيسة بداعي تقويم ايام السنة فانفردوا واقاموا كنيسة وحدهم تحت حماية روسية والمسئلة ساذجة يحسمها كل من لهُ ادنى المام في حساب ايام السنة الشمسية . وبعضاً من الارمن الكاثوليكيين خلعوا الطاعة لبطريركهم وساموا آخر غيرهُ واساقفة يرعونهم وعليه فقد اقاموا كنيسة وحدهم منفصلين عن الكنيسة الحقيقية فان الله سبحانهُ يسمح بمثل هذه الانشقاقات ليظهر المذكون الابرار كما قالهُ الرسول ✿

الفصل الخامس

• في الطقوس والاباء القديسين والرزنامة •

اعلم ان الجميع في بدء الكنيسة كانوا يتلون القداس ويباشرون الاسرار المقدسة على هيئة واحدة ونظام واحد ولكن لما اتسع نطاق الكنيسة وانتشرت في كثير من الامصار وبين امم كثيرة الجأتها الظروف الى احتفالها بلغات مختلفة والى زيادة بعض اشياء في الطقوس على وفق العوائد. فمن الشعوب من غيّر شيئًا في الملابس الحبرية ومنهم من عزم على الصوت العالي في تلاوة القداس ومنهم على الصوت المنخفض ومنهم من مال الى رسم اشارة الصليب بثلاثة اصابع ومنهم بخمسة ومنهم من تخيّر الصلوة واقفًا ومنهم من تخيّرها راكعًا الى غير ذلك من التبدلات التي لا تمس جوهر الايمان ولا يوجه من الوجوه فقد حافظ جميعهم على كل ما هو جوهري في مباشرة الاسرار المقدسة ولم يختلف في ما هو جوهري في احتفال القداس مثلاً بان تكون اجزاؤه الجوهرية ثلاثة وهي تقدمة الخبز والخمر والتقديس والمناولة. غير ان هذه العوائد قد ترسّخت مع مرور الزمان في الامصار المختلفة حتى انهم سمّوها طقوسًا. وعليه فتردّ كما تشاء على الزيّ الفرنسي او العربي او على هيئة اخرى وتكلم باللغة التي تحبها الافرنسية او العربية او الانكليزية او غيرها وحيّ الناس اما برفع البرنيطة او بوضع اليد على الصدر او بخلافه فان هذا كله لا يضرّ بالايمان كما ان اختلاف الطقوس ايضًا لا يضرّ به. والكنيسة الكاثوليكية تحتوي على جميع الطقوس الموجودة في العالم وهي مع ذلك واحدة تعتقد بايمان واحد. فقد غيرت جميع الشعوب شيئًا في الطقوس ولم يزالوا مع ذلك على ايمان واحد فان القديس باسيليوس قد غيّر شيئًا من الطقس اليوناني ومثله القديس يوحنا فم الذهب واليونان يسمون الى الان قداس يوحنا فم الذهب لانه ألّفه هو نفسه ومع ذلك قد بقي ايمانهما واحدًا. فالطقس قشرة والايمان لُبابها اما الجهلة فيعلقون بالقشور ويطرحون اللُّباب. وكفانا برهانًا على كون الطقس لا يغيّر شيئًا في الايمان ان عددًا من الباباوات قد تبعوا الطقس اللاتيني مع انهم لم يكونوا من اللاتينيين بل من السريان واليونان

قد كتب الرسل والتلاميذ والاباء القديسون الذين خلفوهم وصنّفوا تآليف كثيرة تحفظها الكنيسة بما لا مزيد عليه من الاعتناء وقد صار طبعها فبلغ عددها ثلاثمائة وسبعة وثلاثين تاليفًا منها مائة واثنا عشر كتبها اباء اليونان ومائتان

وخمسة وعشرون الَّفها الاباء اللاتينيون ما عدا التآليف التي الَّفها اباء السريان والارمن وهذه التآليف تنبيء جميعها عمّا كانت عليه الكنيسة في اوائلها في امور الايمان والطقوس

قد حسب القدماء ايام السنة على ظهور القمر وسيره فكانت سنتهم قصيرة يصعب التدقيق فيها فتصدّوا سير الشمس فارتفعوا حساب السنة عليها فقوم يوليوس قيصر ملك الرومانيين ايام السنة وجعلها ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات ذلك قبل المجي الالهي بخمس واربعين سنة الّا انهم قد رأوا فيها بعد ان في ذلك خللاً فشمّر البابا غريغوريوس عن ساعد الهمّة وجمع العلماء المسيحيين وفوضهم البحث عن ذلك فاكتشفوا غلطاً في كل سنة باحدى عشرة دقيقة وان هذا الخلل في ايام تلك السنة التي صار البحث فيها قد كان اتصل الى اكثر من عشرة ايام فاسقطوا من تلك السنة وهي ١٥٨٢ عشرة ايام اي انهم كانوا في خمسة من تشرين اول فحسبوا انهم في الخامس عشر منه فنظّر البروتستانت وعلماء اوروبا في هذا الحساب فوجدوه صحيحاً فتعمدوه. اما الروس والروم فلم يقبلوه بل استمروا تابعين الحساب القديم الذي وضعه يوليوس قيصر فصاروا والحالة هذه متاخرين سنة ١٨٠٠ اثنى عشر يوماً وعند نهاية هذا الجيل يصيرون متاخرين ثلاثة عشر يوماً فلو امعنوا النظر فيه لرأوا انهم في ضلال يشلهم العقل منه ولا حاجة الى الايمان فيه ولما كان موسى عيّن عيد الفصح في الرابع عشر من نيسان وكان نيسان عند اليونان ياتي متاخراً باثني عشر يوماً كان احتفال هذا العيد ياتي عندهم متاخراً باثني عشر يوماً فكثير من علماء الروس قد عرفوا ما هم عليه من الضلال والخلل وقد رغبوا في احتفال عيد الفصح مع الكاثوليكيين غير انهم يتوقفون عن ذلك خوفاً من الشعب لِما هو عليه من الجهل *

الفصل السادس

• في الملك قسطنطين والمجامع المسكونيّة •

اعلم ان قسطنطين ملك الرومانيين قد ارتدّ الى الدين المسيحي سنة ٣١٢ في عهد البابا ملكيادوس وتبعته في ذلك امرأته وامه الملكة هيلانة فاباح للجميع ان يعتنقوا النصرانية ولما كانت رومية عاصمة ملكه تركها الى الاحبار الرومانيين خلفاء القديس بطرس واتى اسس عاصمة ملكه موضع مدينة بيزنسا القديمة سنة ٣٣٠ وسماها باسمه القسطنطينية وقد تبع الملك جمهور كبير من الشعب وعظماء رومية لِما افاضه عليهم من الانعامات والامتيازات حبًّا بتوسيع مدينته

الجديدة فكان كل يوم يوزع متكرماً على الشعب ثمانين الف مدّ حنطة الى ان اتسع نطاق المدينة وكثرت سكانها فخطّت سبعة تلال فلم يكن والحالة هذه قسطنطين وامه هيلانة من السلالة اليونانية. والقسطنطينيّة لم تُبنَ في بلاد اليونان بل في شراسيا وكان اليونان رعايا الرومانيين من خمس مائة سنة. ولا يخفى انهُ كان مكتوباً في مجموع الشرائع التي سنتها الملوك الرومانيون ان قسطنطين الملك قد ترك رومية بامر الاهي ليكون رئيس الكنيسة حرًّا في معاملاتهِ غير متعلق بملوك الارض كما نراه مصرحاً في الكتاب الثالث عشر من شريعة تيودوسيوس

قد روت الاخبار ان الرسل عقدوا مجامع كثيرة لبحثِ كثيرٍ من الامور منها انتخاب متيًا عوضاً عن يهوذا وسبع شمامسة ومنها ابطال شريعة موسى وتاليف قانون الايمان وفي المجمع العام الذي عقدوه في اورشليم وختموه بقولهم: قد رأى الروح القدس ونحن الاّ نضع عليكم ثقلاً فوق هذه الاشياء التي لا بد منها كما جاء في ف ١٥ ع ٢٨ من اعمال الرسل وقد قال السيد المسيح ان الروح القدس يثبت معكم وروح الحق يعلمكم كل حق وهو المتولي للمجامع والمعلّم لما يثبتونه فيها من القوانين

اما في اوائل الكنيسة فشتتت الاضطهادات شمل المسيحيين الى ان الجأهم الامر في رومية الى حفر مماشي تحت الارض يقيمون فيها كنائس يجتمعون فيها تجنبًا من الاضطهادات وحبًا باستماع القداس الالهي وهذه الماشي لا تزال موجودة تحت الارض شاهدة لما قد حلّ بهم من النكبات اما البابوات خلفاء القديس بطرس فما زالت الكنيسة تعرفهم روساءها وعليه فكانت تلتجيء اليهم عند بَذر الزوان فيها لانهم لم يبرحوا يسوسونها في الامور المهمة وقت ترفع الاسافقة دعاويهم اليهم. غير انه قد حدث في مدة ٣١٢ سنة كثير من الخلل في الكنيسة لصعوبة الوصلات وهول الاضطهادات فظهر اذ ذاك اريوس احد كهنة الاسكندرية واقلق الكنيسة بما اتى بهِ من التعلم القبيح بان السيد المسيح ليس الهًا فنشر البابا سيلفسترس منشوراً وامر بعقد مجمع مسكوني لتقرير الحقيقة وكان الملك قسطنطين يعاون على تسفير الاساقفة ونقل ما يلزمهم من الذخائر بعقد المجمع فاقاموه سنة ٣٢٥ في مدينة نيقيه وكان اول المجامع العامة التي تمّ عقدها في الكنيسة بعد الرسل وقد اجتمع فيه ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفًا والملك لم يشأ ان يحضر وقت عقده لقوله: ان الله لم يفوض الملوك التعلم في الكنيسة انما أمرهم بالطاعة والاذعان لما تعلّمهُ. وقد تولّى رياسة هذا المجمع

قصّاد رومية باسم البابا فحكموا على اريوس وحرموه وقرروا ان المسيح اله وابن الله واضافوا على قانون الرسل انه له المجد مساوٍ للآب في الجوهر وقطعوا بكثير من المسائل

اما اورشليم فقد كان قوّضها الملك تيتوس سنة ٧٠ كما تنبأ عليها السيد المسيح فلم يكن لاسقفها ما كان لاسقف القيصرية من الرياسة ولقب رئيس اساقفة لان اسقف القيصرية كان متوليًا على كثير من المدن والقرى فقرروا حينئذٍ في القانون السابع انه يكون لاسقف اورشليم لقب بطريرك شرفًا واكرامًا لوجود السيد المسيح في تلك المدينة واضافوا في القانون نفسه لقولهم: مع بقاء شرف ورياسة اسقف القيصرية. فلم يمنحوه هذا اللقب البطريركي الّا على سبيل الشرف ولم يمسّوا حقوق اسقف القيصرية ولا بوجه من الوجوه. ولما انتهى المجمع ارسلوا ما سنّوه من القوانين الى البابا يتوسلون اليه ان ينقّر فيها ويثبتها والبابا سيلفستروس قد ثبّتها وأذاعها في العالم كله فصارت قوانين هذا المجمع قضايا من الايمان

اما الملك قسطنطين فلمّا دنا وقت وفاته قسم مملكته بين اولاده فاعطى قسطنطين وكونستنس الغرب وافريقيا وكنستنسيوس اعطاه القسطنطينية والشرق غير ان القلق لم يزل جاريًا فيها لان الاريوسية لم يذعنوا كلهم لما قرره وحدّده المجمع النيقاوي بل غضبوا من الحكم عليهم فاثاروا الفتن واخذوا يبذلون وسعهم في بث بدعتهم واستمالة الملك كونستنسيوس اليهم فنجحوا بما عزموه على انهم استمالوا الملك اليهم فترك الكاثوليكية واعتقد معتقدهم وبدأ يضطهد الكاثوليك وعلى الخصوص القديس اثانسيوس بطريرك الاسكندرية وقد ارسل عساكر الى رومية ونفى البابا ليبريوس واقام عوضه فيليكس زورًا ومخاتلةً فاتى اذ ذاك رومية الملك كنستانس فطلب اليه الاكليريكيون والشعب بان يردّ اليهم ليبريوس حبرهم الحقيقي وينفي فيليكوس الدخيل فأتمّ مرغوبهم غير ان هولا الاخوة اولاد الملك ما زالوا يتحاربون ويتقاتلون الى ان انقرضت ذريتهم فصارت المملكة وقتًا منقسمة بين اثنين واخر يسودها واحد حتى تولّى السلطنة الملك تودوسيوس الكبير فترك القسطنطينية وارتحل الى ايطاليا جاعلاً مستقره في مدينة ميلان الّا انه قبل موته في ١٧ من كانون الثاني سنة ٣٩٥ قد قسم المملكة بين ولديه فاعطى اونوريوس الغرب واركاديوس اعطاه الشرق فصارت المملكة منقسمة الى شطرين

ان القسطنطينية جُعلت عاصمة للدولة الرومانية في الشرق وكان اكثر سكانها

رومانيين يتكلمون اللغة اللاتينية لانها كانت لغة الحكومة يستعملونها في جميع المعاملات فبدأ اليونان يدخلون شيئًا فشيئًا في المناصب ويختلطون بالرومانيين بالزواج والمتاجرة الى ان عمت لغتهم وبطلت اللغة اللاتينية وتمَّ الانفصال بين الرومانيين شرقًا وغربًا اما الدولة فما زالت تتسمّى باسم الدولة الرومانية الى حين انقراضها. والاتراك لا يزالون يسمونها باسمها القديم بدليل ما نشاهده مذكورًا في الفرمانات التي تستمدها بطاركة اليونان ولا حاجة الى مزيد الايضاح لما يشهد بهِ اسمهم نفسه لانهم يُعرفون باسم الروم

اما المجمع الثاني فقد التأم في القسطنطينية ضد مقدونيوس بطريركها وقتئذٍ لانه علّم ان الروح القدس غير منبثق من الاب وليس مساويًا لهُ في الجوهر فعقد المجمع سنة ٣٨١ وكان فيه من الاساقفة ١٥٠ اسقفًا فقط فحددوا فيه ان الروح القدس منبثق من الاب ومساوٍ له في الجوهر وخلعوا مقدونيوس ونزلوه عن كرسيه اما هذا المجمع فلم يكن عامًّا اذ لم يحضره قصاد البابا ولا اساقفة الغرب فاغتنم مقدونيوس عند ذلك فرصة وافقتهُ في تهييج حزبه بان يرفض ما قرره المجمع لكونه غير عام ولذلك فلا عصمة له في ما قرره. فارتبكت الاراء بين الكاثوليك فالجأهم الامر الى ان ارسلوا اعمال المجمع كلها الى البابا ففحصها وثبتها وأمر باذاعتها في العالم كلهِ واحصاها بين قوانين الايمان فاصبح والحالة هذه المجمع عامًّا كما يعتقد اليونان انفسهم

ولا يخفى ان كرسي القسطنطينية لم يكن اسقفها رئيس اساقفة بل متعلقًا برئيس اساقفة هيركليا الذي لا يزال الى الان يرسم بطاركتها وكان الاكثر من اساقفة القسطنطينية يحسبون ذلك انه محطّ بشرفهم بان يكونوا خاضعين لاساقفة مدن صغيرة فيسعون في الارتقاء الى غيرها وقصصهم في ذلك كثيرة ليس موضع استيفائها آلان

عود. لما خلعوا مقدونيوس اقاموا عوضه نيكتر يوناني الاصل فلما استوى على كرسي الاسقفية جمع من لم يكن سافر من الاساقفة بعد نهاية المجمع واغراهم بان امضوا سرًّا. ان اسقف القسطنطينية له رياسة الشرق بعد اسقف رومية لان القسطنطينية هي رومية الجديدة اما اسقف الاسكندرية واكثر اساقفة مصر فقد كانوا سافروا فلم يطلعوا على ذلك. فانظر هنا ان هذا المجمع لم يكن له قوة ولم تجرِ فيه مسئلة رياسة الشرق وما امضاه البعض من اساقفة اليونان لم يذكر فيهِ انه مساوٍ لاسقف رومية بل ان له من بعده رياسة الشرق ونيكتر لم يرسل ما امضوه الى رومية ليثبّته الحبر الاعظم بل ابقاه عنده سرًّا غير انه بعد ذلك

بدأ ان يلقب نفسه في اعماله بالبطريرك الاول في الشرق فضادّهُ البطاركة الثلاثة وأبوا ان يعرفوه بهذا اللقب وكتبوا الى البابا بخصوص ذلك فرفض مدّعاه ولم يشأ ان يثبّت له هذا اللقب الّا صيانةً للسلم في الكنيسة الشرقية ومطابقةً لتوسلات ملوك القسطنطينية

اما المجمع الثالث المسكوني فقد تمّ عقده في مدينة افسس سنة ٤٣١ نحضره مائتا اسقفٍ فخلعوا نسطوريوس استف القسطنطينية وكان يعلّم ان في السيد المسيح اقنومين وان القديسة مريم البتول ليست ام الله فحددوا ان في يسوع المسيح اقنوماً واحداً وان البتول مريم هي ام الله وكان لما تلي على الاساقفة ان للبابا الرئاسة على كل الكنيسة صرخوا كلهم امين. ولما تمّ المجمع ارسلوا اعماله الى البابا كلستينوس الاول فثبتها وأمر باذاعتها في العالم كله ولم يرسل البابا معتمداً من قبلهِ الى هذا المجمع بل نوض القديس كيرللس بطريرك الاسكندرية ان ينوب موضعه ويترأس على المجمع وكان كذلك غير ان جمهوراً من الاساقفة لم يذعنوا لما قرره المجمع فتركوا القسطنطينية وارتحلوا الى ما بين النهرين والعجم واذاعوا هناك بدعتهم واقاموا بطريركاً واساقفةً ولا تزال كنيستهم الى الآن معروفة باسم الكنيسة النسطورية بين السريان والارمن

المجمع الرابع قد تمّ عقده في خلكيدونية سنة ٤٥١ حضره ستمائة وستة وثلاثون اسقفاً وقد أراد ديوسقوروس بطريرك الاسكندرية ان يترأس عليه فأبى لفيف الاساقفة مصرحين بقولهم ان الرئاسة في المجامع للبابا خليفة القديس بطرس لا لغيره فهو يترأس عليها اما بذاته واما بواسطة نوّابهِ. اما هذا المجمع فقد حرموا فيه اضاليل اوطيخا رئيس احد أديرة القسطنطينية وخلعوا ديوسقوروس الذي تبع اوطيخا في تعليمهِ ان في السيد المسيح طبيعة واحدة. فحدد المجمع ان في المسيح طبيعتين غير منقسمتين ولا منفصلتين في اقنوم واحد وارسلوا اعماله الى البابا يسالونه تثبيتها وكتبوا له انهم يؤمنون كلهم مثلما يؤمن هو وان القديس بطرس يتكلم بفمهِ وان اسقف رومية يترأس على الكنيسة كلها ترأس الراس على الجسد كلهِ. فثبت البابا لاون المجمع وأمر باذاعته ولكن ديوسقوروس لم يخضع لأوامر المجمع فرجع الى الاسكندرية وأثار جمهوراً من شعوب مصر والسودان وازدرع زوان البدعة بينهم فتمكنت بين القبط وشعوب السودان الى ايامنا. وقد ظهر بعد ذلك رجل اسمه يعقوب البرادعي فاذاع بدعة اوطيخا في سوريا بعد ان غيّر فيها قليلاً ورفض المجمع الخلكيدوني فتبعه جمهور من السريان واقاموا بطريركاً وقد أطلق عليهم اسم اليعاقبة الى ايامنا هذه. اما الارمن تبعة

اوطيخا فقد انفصلوا عن الكنيسة سنة ٥٢٠ ورفضوا المجمع الخلكيدوني ثم رجعوا الى وحدة الكنيسة سنة ٦٢٢ ثم انفصلوا ثانية سنة ٧٢٧ في عهد بطريركهم يوحنا راتزفي الذي أثارهم على ذلك ثم رجعوا الى حضن الكنيسة سنة ١٤٣٨ في مجمع فلورنسا ولكن لما نهي الاتراك عن اتباع دين البابابوات انطفأ الايمان المستقيم من بينهم شيئًا فشيئًا. ولا تغفل عن ان الانفصال لم يكن تامًّا بين كل الشعوب اذ لم يزل جمهور متمسكًا بعرى الايمان الكاثوليكي وبصدق معتقده

اما المجمع الخامس المسكوني فعقد في القسطنطينية سنة ٥٥٢ وقد حضره ١٦٥ اسقفًا حرّموا فيه كتب اوريجانوس وتيودوريتس لما فيها من الاضاليل التي اتلفت الكنيسة وكان في ذلك الوقت البابا فيجيليوس في القسطنطينية فتوجه اليه بطريرك القسطنطينية وانطاكية والاسكندرية وطلبوا اليه ان يحضر هو بنفسه المجمع ويترأس عليه بذاته لا بواسطة نوابه ولكن لما كان مريضًا سلمهم حكمهُ خطًّا ولما قرأوه عند افتتاح المجمع خضع الجميع لما قرره البابا وجزم به فقام حكمه مقام المجمع

المجمع السادس عقد ايضًا في القسطنطينية سنة ٦٨١ وهو المجمع الثالث القسطنطيني حضره ٢٥٩ اسقفًا وقد عقد ضد سرجيوس بطريرك القسطنطينية الذي علّم ان في المسيح يسوع ارادةً واحدةً وفعلاً واحدًا فحددوا ان في المسيح يسوع ارادتين وفعلين غير منفصلين وغير مختلطين وارسلوا اعماله الى البابا ليثبتها وكتبوا له: انك انت الواقف على صخرة الايمان والمالك اول كرسي الكنيسة انًا نثق بما تُقرِّره. ففحص البابا ما قرروه وثبته

اما المجمع السابع فعقد في نيقية ايضًا سنة ٧٨٧ وقد حضره ٣٥٠ اسقفًا فحرموا محاربي الايقونات لزعمهم انهُ ليس من الواجب ان نكرم صور القديسين وكان رئيس هذه البدعة لاون ملك القسطنطينية وعند نهاية المجمع ارسلوا اعماله الى البابا ليثبتها وكتبوا اليه ان المجمع كله يحترم تقرير اسقف رومية وانهُ يوافقه في ايمانهِ وفكرهِ وحكمهِ. قد ذكرت بالاجمال اخص اعمال المجامع العامة واهم البدع التي حرمتها ومن رغب في ذكر جميع القوانين والقواعد التي سنتها هذه المجامع لزمه ان ياتي بمجلدات عديدة كبيرة الحجم ☆

فصلٌ

٭ في قانون الايمان ٭

اعلم ان الرسل قبل ان يفترقوا ليذيعوا البشارة في العالم اجتمعوا كلهم وقرّروا قاعدة الايمان وهي على الصورة الآتية

١ قال القديس بطرس: نومن باللهِ واحد آب ضابط الكل خالق السماء والارض
٢ قال القديس يوحنا: وبيسوع المسيح ابن الله الوحيد ربّنا
٣ قال القديس يعقوب: الذي حبل بهِ من الروح القدس وولد من مريم البتول
٤ قال القديس اندراوس: الذي تألُّم في عهد بيلاطس البنطي وصلب ومات وقبر
٥ قال القديس فيلبس: ونزل الى الجحيم
٦ قال القديس توما: وقام في اليوم الثالث من بين الاموات
٧ قال القديس برتولماوس: وصعد الى السماء وجلس من عن يمين الآب الضابط الكل
٨ قال القديس متى: وايضاً ياتي ليدين الاحياء والاموات
٩ قال القديس يعقوب: ونؤمن بالروح القدس
١٠ قال القديس سمعان: وبالكنيسة المقدسة الجامعة وبشركة القديسين
١١ قال القديس يهوذا: وبمغفرة الخطايا
١٢ قال القديس متيا: وبقيامة الموتى والحياة الابدية

اما قانون الايمان الحالي فأطول اذ قد اضافت المجامع على قانون الرسل بعض كلمات دحضاً لما كان يظهر من البدع في وقته وبعض المجامع قد حذفت منه الفاظاً كانت أُضيفت اليه لعدم الاحتياج اليها عند زوال البدعة التي الجأت الى وضعها ٭

الفصل السابع

٭ في البابوات والمجامع المسكونية ٭

قد عرف الجميع واقروا في الزمان القديم ان البابا انما هو خليفة مار بطرس وانه رئيس الكنيسة كلها يسوسها واحدةً ومجتمعةً اما روساء الاساقفة والبطاركة فلكل منهم أن يسوس ابرشيته ويعقد بمعيّة الاساقفة الذين تحت ولايته مجامع خصوصية ضمن ابرشيتهِ لافادة شعبه وبلاده غير ان هذه المجامع ليس لها العصمة نها

تقرره من الحقائق قبل ان يثبتها بابا رومية كما تقدمنا عن المجمع القسطنطيني الذي لم يصر معصومًا الّا بعد اثبات البابا اياه. اما البابا فله ان يعقد مجامع عامة يستدعي اليها جميع اساقفة العالم لانه رئيس الكنيسة باسرها وان يترأس عليها اما بذاته واما بواسطة نوابه وان يثبتها لتكون عامة حقيقية تلزم الضمائر بحفظها. اما حضور جميع اساقفة العالم فليس من باب الضرورة كما رأينا في التئام المجامع التي ذكرناها وقد تكون العوائق عن الحضور اما من قبل الامراض او الحروب او بعد المسافة او غير ذلك

قد عرفت ان المجمع لا يعتبر حقيقيًا وشرعيًا ما لم يأمر بجمعه البابا ويثبته وان كلًّا من المجامع المسكونية قد ترأس عليها البابا اما بذاته واما بواسطة نوابه وكل مرة لم يكن مترأسًا عليه أُرسلت الاعمال اليه ليثبتها بمقتضى ما يرى والسبب في ذلك هو انه لا بد لكل مجلس من قاضٍ يترأس عليهِ ويحسم المسائل التي تتداول فيها الاعضاء بحيث لا يكون لرأي كل من الاعضاء قوة النفوذ ما لم يثبته الرأس كذلك في المجامع المسكونية لا يكون لرأي الاعضاء نفوذ ولا عصمة ما لم يثبته وينهي به الرئيس وهو الحبر الاعظم بابا رومية كما جرى ذلك في الكنيسة منذ اوائلها الى ايامنا هذه فكل من يأبى والحالة هذه ان يؤمن بما تحدده المجامع من القضايا وتثبته الباباوات عُدَّ هرطوقيًا

ولا يخفى ان للبابا ان يسوس الكنيسة باسرها ويسهر على ايمان الاساقفة والبطاركة وان يخلعهم عن كراسيهم اذا ضلوا او شككوا الشعب بتتبع ارائهم. ولا يخفى ان سيامة الاساقفة والبطاركة انما تكون على طول حياتهم وليس للملوك ان يخلعوهم عن كراسيهم انما لهم ان يرفعوا دعاويهم الى رومية وللكاهن ان يشتكي من اسقفه والاسقف من بطريركه وقد دافع الباباوات في كل جيل عن الاساقفة ضد ما أُلحق بهم الملوك من المظالم والاضطهادات. لقد غضبت الملكة اودوكسيا على القديس يوحنا فم الذهب لانه كان يوبخها على ما تزدرعه من العثار بين الشعب القسطنطيني فسجنته وطلبت اليه ان يتنزل عن كرسيهِ ويسلمها خطًّا بدونه لم تكن تتمكن من انتخاب غيره لعلمها ان البابا لا يثبت اسقفًا جديدًا قبل موت من يخلفه او عزله بمقتضى القوانين فأبى القديس ان يسلمها خطًّا وفضّل ان يتألم ويتحمّل اهوال السجون ولا يسلم كرسيه لاهواء ملكة فاجرة. فاستدعت الملكة حينئذٍ تاوفيلس بطريرك الاسكندرية وجملةً من اساقفة مصر واليونان وحملتهم على عقد مجمع خاص خلعوا فيه القديس يوحنا فم الذهب عن كرسيه لذنوب كاذبة شهد بها شهود زور.

اعدوهم لذلك واقاموا موضعه اسقفاً جديداً فاقام القديس الحجة عليهم ورفع دعواه الى حكم البابا فلما استقصى البابا وتعة الحال أبى ان يثبت الاسقف الجديد وكسر ما كان قررهُ فخافت الملكة من طعنها بسيف الحرم ومن الزلزلة العظيمة التي حدثت وقتئذٍ في القسطنطينية فردت الاسقف الى كرسيه غير ان ذلك لم يطل حتى غضبت عليه ثانية فنفتهُ ومات منفياً

الفصل الثامن

• في انفصال الكنيسة اليونانية •

قد علمت مما اوردناه عن المجامع كيف حدث انفصال القبط والحبشة والكلدان والسريان والارمن فانظر الان كيف كان انفصال الكنيسة اليونانية. اعلم ان اساقفة القسطنطينية قد بذلوا مجهودهم في ما كانوا يبتغونه من الحصول على لقب بطريرك وقد توعدوا مراراً البابوات في الانفصال واقامة كنيسةعلى حدتها ولم يلجحوا في ذلك الى ان ظهر فوتيوس. وهذه قصتهُ: انه كان في ايام الملك ميخائيل الذي يسميه اليونان السكير لفرط تمرغه في ملاذ الدنيا رجل اسمهُ برداس ابنُ عم الملك من امرأتهِ قابضاً على زمام الاحكام يدبرها كيفما اراد وشاء فترك هذا الرجل امرأته الشرعية وصار متسرّراً لارملة ابنه ففشا العثار بين الشعب ولم يعبأ به برداس ولم يصغ لمناخس ضميره. فلما حضر عيد الغطاس سنة ٨٥٧ ذهب هو والملك الى الكنيسة وتقدم لتناول الاسرار الالهية فأبى البطريرك اغناتيوس ان يناوله لما كان يعهده من قبح آدابهِ وكثرة ما ينشأ عن افعاله من العثار فهاج غيظ الوزير ووضع يده على سيفهِ فصرخ به البطريرك ان اضرب ولكن لا اسلمك جسد السيد المسيح فتوقف اذ ذاك عن سلّ سيفهِ وأمر بحبس البطريرك. ثمَّ استدعى فوتيوس احد اقاربه وكاتب اسرار الملك ليرقيه الى السدّة البطريركية ولكن لما كان فوتيوس عاميًّا لم يمكنه ان يترقى الى البطريركية فاستعان برداس والحالة هذه بغريغوريوس رئيس اساقفة سيراكوزا وقد كان خلعه من كرسيه القديس اغناتيوس لقبح آدابه فأتى طبق المراد فرسم فوتيوس ولم تمر عليه ستة ايام الاّ رأى نفسه جالساً على السدّة البطريركية. الاّ انه لم يكن يخفاه ان انتخابه لا يكون شرعياً الى ان يثبته البابا بمقتضى القوانين وان البابا لا يثبته في حياة سالفهِ الشرعي فلزمهم والحالة هذه ان يستخلصوا خطاً من القديس اغناتيوس به يطلب الى البابا ان يعفيهُ من البطريركية فأبى القديس اغناتيوس ان يكتب شيئًا بهذا الخصوص فعذبوه بالحبس والجوع

والضرب فتحمّل كل ذلك ولم يشأ ان يسلم خرافه للذئب اقتداء بما صنعه القديس يوحنا فم الذهب. فمالوا اذ ذاك الى المكر والحيل فالفوا لجنة ورأسوا عليها إستابر عم فوتيوس وصهر برداس وارسلوهم الى رومية مستصحبين هدايا فاخرة الى قبر القديس بطرس واصحبهم الملك بكتاب الى البابا يطلب اليه ان يثبت فوتيوس بطريركًا على القسطنطينية لان اغناتيوس قد هرم وأضنته الامراض فاوقفته عن الاقامة بما توجبه اعمال البطريركية حتى انه قد اعتزل عن الناس في بعض الاديرة يسأل الله الصفح وانتصار الكنيسة. وكتب فوتيوس ايضاً وارسل قانون ايمانه الى البابا حسب مألوف العادة. وقد ذكرت صخرة الشك هذه الرسالة الى رومية بخصوص تثبيت فوتيوس. اما البابا فان بلغهُ ذلك تحيّر من تنازل اغناتيوس بدون اذنه ولمّا لم يرَ كتاباً منه قال في نفسه ان ذلك لا يخلو من المكر والخداع فأبى ان يثبت فوتيوس قبل الفحص عن ذلك. فلما عرف ما أبدوه من الخداع أرسل يأمر فوتيوس بترك الكرسي البطريركي والملك والوزير بترجيع البطريرك اغناتيوس وتهددهم بالحرم ان تاخروا عن الامتثال لامره فلما أبى فوتيوس ان يمتثل لاوامر البابا حرمه بصفة انه دخيل وبطريرك كاذب اما الحرم فلم يلقِ المذلة على قلبه ولا على قلب برداس بل اثارهما روح الكبرياء فضلا واضلّا الكنيسة اليونانية وفصلاها عن الكنيسة الجامعة وقد تمّ هذا الذنب الفظيع سنة ٨٩٠

لم يقم نكير على قداسة اغناتيوس وعلى خلعهِ زوراً عن كرسيه لانه تمّم ما كان مترتباً عليه من الواجبات بكونهِ البطريرك الشرعي وقد جرى ما جرى بينه وبين برداس في الكنيسة امام جمهور عظيم من الشعب وعليه فأبى جمهور الشعب والاكليريكيين الافاضل ان يشتركوا مع فوتيوس ويعترفوا برئاسته عليهم. ولا موضع هنا لاستيفاء ما ابتدعه فوتيوس من الحيَل والكذب لتوطيد اختلاسهِ من عقد مجامع خصوصيّة وحبس الاساقفة الذين لم يقرّوا برئاستهِ ونفيهم عن كراسيهم واقامة غيرهم موضعهم الى غير ذلك من الاضطهادات التي كان يعاونه عليها برداس بما كان يجريه من عزل افاضل القوم من مناصب الحكومة واستعاضتهم بآخرين يأتون طبقَ خاطرهِ فضلاً عما كان يُبديه من الاعتساف والجور ضد كل من لم يوافقه على ظلمه حتى امتلأت السجون اناساً لم يسرّحوا لهم بالخروج منها قبل اعترافهم بان فوتيوس هو بطريركهم الشرعي

اما الساكن في السماوات فسمع تنهد الابرار فاغاثهم وحطّم الاشرار كاناء خزافٍ فقُتل برداس بامر الملك ميخائيل ثم قتل باسيليوس المقدوني الملك نفسه

وتولّى الملك موضعه فطلب الشعب اذ ذاك اليه ان يرجع لهم بطريركهم الشرعي القديس اغناتيوس فرجّعه وحبس فوتيوس موضعه ☆

الفصل التاسع

• في المجمع الثامن المسكوني الذي تمّ فيه رجوع الكنيسة اليونانية •

قد قدمنا ان كل من لم يتبع فوتيوس من الاساقفة والرؤساء والكهنة قد أُودع السجن وأُقيم موضعهم اسافل الاكليريكيين فكثر العثار وفشا الفساد في الكنيسة اليونانية فعجز الافاضل عن اصلاحهِ فرفعوا امرهم حينئذٍ الى بابا رومية فامر بالتئام مجمع مسكوني يصلح احوال الكنيسة فاجتمع الاساقفة في القسطنطينية وعقدوا المجمع الثامن سنة ٨٦٩ حضره ١٠٢ من الاساقفة. اما البطاركة الثلاثة فلم يتمكنوا من الحضور اليه لان العرب كانوا قد فحصوا مدنهم ومنعوهم عن الحضور فارسلوا نوابهم وكان العدد الكبير من الاساقفة اليونانيين لان السريان والمصريين تاخروا عن الحضور لتولي العرب على بلادهم. فلما تم انعقاد المجمع حكم اباؤه على فوتيوس بانه دخيل وبطريرك كاذب لاختلاسه البطريركية في حياة البطريرك الشرعي وردوا جميع الاساقفة القدماء الى كراسيهم وضموا الكنيسة المنشقة الى وحدة الكنيسة الكاثوليكية وقد ثبّت البابا اوربانوس الثاني اعمال هذا المجمع وامر باذاعتها

اعلم ان الملك باسيليوس قد وُلد في مقدونية من ابوين حراثين فلمّا بلغ اشده انضم الى العسكرية وما زال يترقى الى ان ارتقى الى المناصب العالية وصار ملكاً لقتلهِ الملك ميخائيل. ولا يخفى ان الثورات كانت متواصلة في القسطنطينية وكان من العساكر في غالب الاوقات ان يقتلوا الملوك ويقيموا موضعهم احد قوادهم فاذا ما انتصب الملك وراقت له الامور اقام في البطريركية والاسقفيات اناسًا من اخص اقاربه ليكون لفيف الاكليريكيين معاونًا له في احكامه ومانعاً لوقوع العصيان فحدث ان اكثر الاوقات لم يكن المدعوون اهلاً لما دُعوا اليه ولا هم على جانب من المعارف والقداسة بل عثروا الشعب بما كانوا يرتكبونه من القبائح فسعى الاحبار الرومانيون في ملاشاة هذه العوائد السيئة فلم يتمكنوا دائمًا من اصلاحها وقد ألجأهم الامر مرارًا الى ان يثبتوا من لم يعهدوا فيه الكفاءة خوفًا من الانشقاق وتمزيق احشاء الكنيسة فتساهلوا

اما الملك باسيليوس فقد خجل من دناءة اصلهِ فسعى في اخفائهِ وكان لفوتيوس اصدقاء يدنون من الملك ثم يطلعونه على كل ما يخيله الملك. فلمّا

بلغة وهو مسجون ان الملك يسعى في اخفاء اصله ألَّف كتاباً وكتبه بحروف قديمة وسلَّمه الى احد اصدقائه امين مكتبة الملك وأعلمه كيف يصنع. فامين المكتبة قدمه الى الملك مورداً له انه من الكتب القديمة وان لا بدَّ من ان يكون فيه من النوادر ما يلذّ الاطّلاع عليها فغرَّ الملكَ ما رواه الامين فاستدعى اليهِ اناساً يعهد بهم معرفة الحروف القديمة فلمّا عجز الجميع عن قراءته ذكر له امين المكتبة ان المسموع ان فوتيوس من المهرة في قراءة الحروف القديمة فاستدعاه الملك. ولمّا فحص الكتاب قال انه من كتب النبوات القديمة وذكر شيئاً من النبوات التي قد كانت تمّت وقال ان من النبوات المودعة فيه انه يتولّى مملكة الشرق ملك اسمه باسيليوس ويكون قويّاً عالماً يلقي السلم بين شعبه ويجرّ اليه المنافع والسعادة وهو من سليلة ملك ميتريداتوس القديم ملك الارمن فطاب ذلك الى الملك وشمله من السرور ما لم يكن يخطر في بالهِ وهنأه من حضر من ارباب دولته عند قراءة هذه النبوة ثمّ امر بنسخها واذاعتها حالاً. فاغتنم اذ ذاك اصدقاء فوتيوس الفرصة فطلبوا الى الملك ان يرجعه الى ما كان عليه فامر باخراجه من السجن فقط الا انه قد احتال شيئاً فشيئاً حتى استمال اليه رضاء الملك وصار من اخص حاشيتهِ

ولكن بعد وفاة القديس اغناتيوس بدأ فوتيوس واصدقاؤه يعرضون للملك ان فوتيوس قد سم بطريركاً على القسطنطينية وانه يكون من اخص أمنائهِ المتعلقين بدولته لانه انقذه من السجن وانه لا ينقصهُ سوى تثبيت البابا اياه على كرسي القسطنطينية. فغرَّ الملك ما اتوا بهِ من الاحاديث المموّهة فأجبر كثيراً من الاساقفة بان يكتبوا الى البابا يطلبون اليهِ ان يثبت فوتيوس على كرسي القسطنطينية فمنهم من أبى ومنهم من كتب وأكد ان فوتيوس لم يُرد ان يصير بطريركاً ولا ان يفصل الكنيسة اليونانية عن وحدة الكنيسة الرومانية غير ان الملك ميخائيل وبرداس قد اقسراه على ذلك وقد ارسل فوتيوس نفسه صورة ايمانه وقسمهِ بالطاعة لخليفة القديس بطرس طالباً الصفح عمّا فرط منه من الزلل. فلمّا وردت هذه التوسلات الى رومية استمالت البابا الى فوتيوس فثبتهُ إما اعتقاداً باستقامتهِ واما خوفاً من وقوع شرور اعظم غير انه فرض عليهِ كفارة عما ارتكبه من الذنوب فيما مضى وصار اذ ذاك فوتيوس معروفاً بطريركاً شرعيّاً على القسطنطينية

اما فوتيوس فقد كان أكمن غضبه ضد الباباوات بما لا مزيد عليهِ من الحنق لما لحقه من المذلّة والهوان فلما انتصب بطريركاً ورافقت له الامور عزم

على ان يكون مستقلاً وان ينفصل الكنيسة اليونانية عن وحدة الكنيسة الرومانية الاّ انه لم يكن يتمكن من ذلك بدون حجة يتوطد عليها او مسئلة تناط بعقائد من الايمان فاخذ يتحصب مع الاساقفة الذين قد كان رسمهم ونزلهم المجمع الثامن ويعدهم في اعادتهم الى كراسيهم ويحرضهم على ان يكتبوا ويندّدوا بالبابارات واللاتين قائلين ان اليونان غير ملتزمين بالطاعة الى البابا وان السيد المسيح لم يقم بطرس نائباً لهُ ورئيس الرسل وان رئاسة الشرق لحبر رومية لم تكن الاّ لمجرد عظمة رومية وانها الان من حقوق كرسي القسطنطينية وان البابارات قد ضلّوا في الايمان لانهم اضافوا كلمة «والابن» على قانون الايمان وعليه فقد امسوا اراطقة وقد قدّم اولئك الاساقفة المخلوعون الى فوتيوس رقيماً يطلبون اليهِ بحجة الغيرة ان يعقد مجمعاً يفحص هذه المسائل. فتظاهر في بادىء الامر انه يدافع عن البابا وانه اضطر في اخره الى عقد مجمع خصوصي استدعى اليه المحازبين له فحرموا حينئذٍ البابا واللاتينيين وكتبوا الى ملوك الغرب وحرضوهم على ان ينفصلوا عن مشاركة البابا لانه واقع في الهرطقة ففاز والحالة هذه فوتيوس بما كان يتمناه وفصل الكنيسة اليونانية ثانية. والملك اما لكونهِ ارتقى الى السلطة وهو عسكري جاهل او انه اعتقد بان البابا قد ضلّ تركهم يتحاجون ولم يشأ ان يردعهم عن الافساد ✽

الفصل العاشر

« في تقلبات الكنيسة اليونانية بين رجوع وانفصال »

اعلم ان بعد وفاة الملك باسيليوس وارتقاء ابنه يوحنا المدعو الفيلسوف على السدّة الملوكية تقدّم اليه جمهور الشعب والاكليريكيين عريضة يسالونه خلع فوتيوس الدخيل وضمّ الكنيسة الى الوحدة الكاثوليكية فاستجابهم الملك يوحنا لاطلاعه على مكر فوتيوس وحيله فالقاه في السجن وكان ذلك سنة ٨٨٦ ثم انتخبوا بطريركاً اسطفانوس اخا الملك وكتبوا الى البابا فثبتهُ وانضمت الكنيسة اليونانية ثانية الى الوحدة الكاثوليكية بدون التجاء الى عقد مجمع مسكوني لعلم الجميع ان كلمة «والابن» لم تكن الاّ حجة فارغة اخترعوها للافساد وان البابا لم يضل في الايمان ولا اللاتينيون. اما فوتيوس فمات مسجوناً

فاستمرت الكنيسة اليونانية متحدة مع الكنيسة الرومانية مدة ١٦٨ سنة الى ان سيم بطريركاً على القسطنطينية ميخائيل تيرولاريوس سنة ١٠٤٣ وكان ميخائيل من عائلة فوتيوس قد رباه والداه منذ صغره على بغض البابارات

لما حلَّ بعائلتهم من العار بشخص فوتيوس. وكان الملك اذ ذاك ضعيف العزم فاغتنم الفرصة ميخائيل وسعى في ان يكون مستقلاً رئيساً للكنيسة اليونانية بمعزل عن البابا فأثار لذلك مسئلة انبثاق الروح القدس ولكن لما رأى انها لم تكن كافية لتهييج الاقطار والقاء الفساد اضاف مسائل اخرى تتعلق في الخبز الفطير والطقوس وأبى ان يخضع للبابا ويقبل تثبيته. فارسل حينئذٍ البابا قصاداً الى القسطنطينية ولمّا وصلوا قبلهم الملك بما لا مزيد عليه من الاكرام واعتذر انه لا يقدر على قهر البطريرك واجبارهِ خوفاً من وقوع الفتنة وخلعه عن السلطنة لكثرة محازبي البطريرك في المدينة. ولمّا لم يقدر القصاد على اصلاح ميخائيل واستجلاب الملك الى معاونتهم وضعوا الحرم المبرز ضده على مذبح القديسة صوفيا وتحت حضر جمهور من الشعب والاكليريكيين فلم يرتدع قيرولاريوس بل قام وحرم هو نفسه البابا مدعياً انه البطريرك المسكوني لكنيسة المسيح كلها وهكذا تمّ الانفصال مرة ثالثة سنة ١٠٥٤ اما قيرولاريوس فلما رأى ان فعله هذا قد اغاظ الملك وجمهوراً من الشعب أثار فتنة في المدينة انتهت بقتل الملك واقامة اسحق كمنين موضعهُ وكان من اصدقاء قيرولاريوس ومحازبيهِ ولكن لما تجبَّر البطريرك وطغى واراد ان يدبر امور المملكة على ما يرضاه سجنه الملك فمات وهو في السجن سنة ١٠٥٨ واقاموا من بعد موته بطريركاً اخر لم يطلب التثبيت من رومية وهكذا تمّ الانشقاق ☆

فصلٌ

☆ في ذكر الذين هرطقوا من بطاركة القسطنطينية ☆

ان كثيراً من بطاركة القسطنطينية قد وقعوا في الارطقات ونحن نذكر من وقع منهم فيها وحرمه الباباوات والكنيسة اليونانية نفسها اذ لم يكن حينئذٍ الآ كنيسة واحدة واليونان لا يزالون الى ايامنا هذه يعتبرونهم اراطقة وهم:

١ اوسابيوس من نيقوميديا الذي اعتنق الاريوسية واضطهد القديس اثناسيوس سنة ٣٤٠

٢ مقدونيوس الذي انكر الوهية الروح القدس سنة ٣٥١

٣ اوفدوسيوس الذي كفر بالله الاب سنة ٣٦٠

٤ ديموفيلوس الذي اعتنق الاريوسية سنة ٣٧٠

٥ نسطوريوس الذي انكر لاهوت السيد المسيح وكون مريم ام الله سنة ٤٢٨

٦ اكاسيوس الذي انتصب اراطيقياً ضد المجمع الخلقيدوني سنة ٤٧١ وخليفته
قد استمر على الغي نفسه سنة ٥١١

٧ انتموس الذي تبع بدعة افليكيوس وسارس سنة ٥٣٥

٨ سرجيوس الذي صار رئيساً للشيعة المونوتولية سنة ٦٠٨

٩ بيروس سنة ٦٣٩

١٠ بولس سنة ٦٤٢

١١ بطرس سنة ٦٥٢

١٢ توما سنة ٦٥٩

١٣ تاوادوسيوس سنة ٦٦٦

١٤ يوحنا سنة ٧١٢

(من ٩ الى ١٤) الذين اعتنقوا البدعة المونوتولية بان ليس في السيد المسيح سوى ارادة واحدة

١٥ انستاسيوس

١٦ قسطنطين

١٧ ليليا

١٨ تاوادوسيوس

١٩ يوحنا

(من ١٥ الى ١٩) الذين تبعوا بدعة مكسري الايقونات

وقد اجتهد كل من هولاء البطاركة في فصل الكنيسة اليونانية عن اللاتينية ولم يلجم منهم زماناً طويلاً سوى ميخائيل تيرولاريوس الذي تتبع اثار فوتيوس كما اسلفناه ٭

فصلٌ

٭ في حلول الصليبيين في القسطنطينية ٭

قد تدرّع سبعة وعشرون الفاً افرنسياً قاصدين تخليص القبر المقدس فلمّا ركبوا البحار على مراكب قدمتها لهم البندقية سافر لملاقاتهم الكسيس ملك القسطنطينية يطلب اليهم ان يعاونوه على قهر احد اقاربه الذي اختلس المُلك من ابيه وسمل عينيه ِ وتولّى أمر السلطنة موضعهُ. فتوقف الصليبيون في بادىء الامر عن ذلك لاضطرارهم والحالة هذه الى تغيير الطريق واضاعة الزمان وفقدان الذخائر ومكابدة كثير من الخسائر في دفع أُجور العساكر فوعدهم ابن الملك باداء كل ذلك وانه بعد انقاذ والده ِ وتنصيبه في السلطنة يرافقهم هو نفسه الى اورشليم ويجر معه عساكر كثيرة. فصدقوه وحولوا طريقهم ولكن لما وصلوا الى القسطنطينية وجدوها محصنة ومائتا الف من العساكر متاهبة للدفاع لان الملك

الجديد قد كان خبّر من ذلك فجمع العساكر واستعد للدفاع وكان سكان هذه المدينة العظيمة يستهزئون بالعساكر الفرنساوية ويقولون انهم من ذريّة الرومانيين القدماء وليسوا من ذوي البسالة لانهم شعب متوحش بربري وان جانباً منهم كان مريضاً والآخر مترتب عليه صوت المراكب الآ انه قد تفرغ جمهور من العساكر وحاصروا المدينة وافتتحوها وانقذوا الملك اسحق ونصبوه ملكاً وهو أعمى ذلك على اتم نظام واسرع زمان اما الكسيس ابن الملك فبدأ يتأخر عن انجاز ما وعد بهِ والصليبيون ملحّون على السفر الى اورشليم ولم يخطر في بالهم ان هذا التأخر يعقبه نسيج حيَلٍ مؤداها إهلاكهم الى ان وثب عليهم في ليلة معتمة عساكر اليونان قاصدين قتلهم عن اخرهم واحراق مراكبهم فدفعهم الفرنسيون بعظم البسالة بعد ان قتلوا منهم جمهوراً كبيراً. فلما اصبح الصباح ابتدأوا يتداولون في الصلح وقبل ان يعقدوه تمرّد احد الامراء مورسيفل وقتل الملك الاعمى وابنه وقبض على زمام الاحكام ووثب احدى الليالي على عسكر الصليبيين ليقتلهم عن آخرهم. اما الصليبيون فثار غضبهم لما رأوه من المكر والخيانة فدفعوهم بما لا مزيد عليه من الشجاعة وافتتحوا المدينة وتسلموها وولّوا عليها بدوين امير فلاندرا. وما روت التواريخ قط ان شرذمة من الرجال تفتح مملكة قد كانت اسكرتها عظمتها. اما بدوين هذا فقد حارب فيها بعد البلغار فانكسر ومات وتشتت عساكرهُ وعليه فتمرد اليونان على من بقي من الصليبيين في القسطنطينية وطردوهم بعد ان استمرّ ملكهم ٥٧ سنة. واقاموا ملكاً جديداً كما روت تواريخ تلك القرون ❊

الفصل الحادي عشر

❊ في رجوع اليونان في مجمع ليون وفلورنسا ❊

تد كان يعتقد اليونان انهم اول شعب على سطح الارض اما انتصار الصليبيين عليهم واستيلاؤهم على مملكتهم فقد أذلّهم واغاظهم كثيراً وكان ذلك من الموانع القوية التي تصدت لمصالحتهم مع الكنيسة ورجوعهم الى الوحدة الكاثوليكية فاستمروا منشقين عن الكنيسة مدة ٢٢٠ سنة والباباوات مع ذلك يدعونهم الى المجامع المسكونية التي تلتئم ولم يريدوا ان يحضروا للمداولة في امر الاتحاد. فبقوا والحالة هذه مُصرين على ما كانوا عليه الى ان الجأهم الامر فطلبوا هم انفسهم عقد مجمع عام فحنَت الكنيسة اليهم فصار التئام المجمع في فرنسا في مدينة ليون سنة ١٢٧٤ وقد حضره البابا نفسه وخمسة عشر من الكرديناليه

وبطريرك القسطنطينية وانطاكية ونواب بطريرك اورشليم والاسكندرية وسبعون رئيس اساقفة وخمسمائة اسقف والف كاهن وكان من اعظم المجامع التي سبقت عدداً. فحددوا فيه ان الروح القدس منبثق من الآب والابن كأنه من مبدإ واحد ورتبوا وقرروا سائر ما كان جال عليه الجدال وقد امضوا ذلك جميعهم وهكذا تمّ الاتحاد مرة ثالثة. اما هذا الاتحاد فلم يلبث الا قليلاً من السنين لان الكبرياء نفخ روحها اليونان فانفصلوا محتجين بان المجمع لم يصادق على ما يدّعونه

فلبث اليونان والحالة هذه يتسكعون في دياجي الانشقاق الى ان مرت عليهم ١٦٥ سنة فاستفاقوا اخيراً من سكرتهم وطلبوا التئام مجمع مسكوني يجعل الاتحاد على اركان ثابتة فاستجاب البابا طلبهم وعينوا ايطاليا محل الالتئام وقد طلب البابا الى اهل البندقية ان ينقلوا الاساقفة على مراكبهم من جميع الجهات وتكفّل بكل ما يلزم لهم وللاساقفة من لوازم السفر والمعاش ذلك من خزائن القديس بطرس. فلمّا تمّ اجتماع الاساقفة عقدوا المجمع في مدينة فلورنسا سنة ١٤٣٩ وقد حضره البابا والكردينالية واساقفة الغرب وباليولوغ ملك القسطنطينية وبطريركها يوسف وباسيليوس بطريرك اورشليم ونواب بطريرك الاسكندرية وانطاكية وايزيدوروس ميتروبوليت روسية وعدد كبير من رؤساء اساقفة واساقفة يونانيين فبحثوا وفتشوا واستقصوا بما لا مزيد عليه من التدقيق قانون ايمان الكنيسة القديمة ذلك مدة خمسة اشهر وقد بحثوا في كتب الاباء اليونانيين واللاتينيين كلمة فكلمة فوجدوها في غاية من المطابقة وفي الكتاب المقدس وقابلوه بجميع المسائل. فمرض في غضون ذلك بطريرك القسطنطينية فاستدعى اليه جميع اساقفة اليونان واعترف امامهم علانيةً ان الكنيسة الحقيقية هي الكاثوليكية وانه يموت معترفاً بان البابا خليفة مار بطرس هو رأس كنيسة يسوع المسيح فأثر هذا المثل كثيراً في الحاضرين من اليونان وكان من اكبر المحرضات على الاتحاد فحددوا:

اولاً ان الروح القدس منبثق من الاب والابن كمن مبدإ واحد. ثانياً ان الخبز فطيراً كان او خميراً يستحيل عند تقديسه الى جسد يسوع المسيح. ثالثاً ان انفس الابرار تحصل على السعادة حالاً بعد انفصالها من الاجساد وتتمتع بمشاهدة الله وانفس الاشرار تذهب الى جهنم وانفس الذين يموتون بحال النعمة اي بدون خطية مميتة تذهب الى المطهر اتماماً لما نقصهن من الوفاء في حياة الدنيا وصلوات الكنيسة قادرة على انقاذها من عذاباته.

رابعاً ان البابا اسقف رومية هو خليفة القديس بطرس حقاً ونائب السيد المسيح ورأس الكنيسة ومعلمها في العالم كله. وقد قرروا جملة قوانين متعلقة بتدبير الكنيسة. وعليه فقد انضم اليونان الى الكنيسة مرة رابعة وقد اجمعوا على ان يمضوا ما قرروه وحددوه بدم السيد المسيح بان قالوا: ليقاصص دم السيد المسيح كل من يشكك او يعلّم ضد ما حدده المجمع بما له من العصمة ويمزق احشاء الكنيسة. فامضوا جميعهم بهذه الصورة ما عدا رئيس اساقفة افسس. وعند نهاية المجمع وصل الى فلورنسا نواب بطريرك الارمن اجابة لدعوة البابا لهم الى حضور المجمع معتذرين بان بطريركهم لم يقتدر على الحضور وانهم تأخروا لتولي الاتراك على بلادهم وقد استصحبوا رقيماً من بطريركهم مآله. انه قد فوض نوابه هو واساقفته وشعبه بان يحضروا المجمع ويمضوا ما يقرره باسمهِ واسم شعبهِ لتيقنهِ بان المجمع لا يغش ولا يُغش فامضى النواب ما كان قرره المجمع وحدده وهكذا تم انضمام الكنيسة الارمنية الى الوحدة الكاثوليكية

فلما انتهى المجمع رجع الملك والاساقفة الى القسطنطينية فوجدوا جمهوراً كبيراً من الرهبان ينتظرونهم على شاطىء البحر فقبل ان يحيّوهم صرخوا بهم: أغلبتم اللاتينيين ام غلبوكم. ولما دخلوا المدينة وهجمت الحال اذاعوا تقريرات المجمع واشهروها فأبى جمهور قبولها واخذ الهياج يتطاير شراره بين الشعب فصدمه الملك بما اجراه من العقوبة على المهيجين والاساقفة بالارشادات والمواعظ فلبثت الكنيسة متحدة تسع سنوات الى ان توفي الملك وتولّى اخوه قسطنطين موضعهُ. وقد عرفت ان مرقس اسقف افسس لم يمضِ المجمع فلما توفي الملك يوحنا خلع ثوب الحياء وستار المخافة وبدأ يثير الفتن بين الشعب والرهبان يعاونونه فصدمهم المتمسكون بالمجمع وطار شرار الجدال بين الفريقين وتعاظم الخصام وكثرت الشرور حتى عجز الملك والاساقفة عن ردعهم اما البطريرك فصيانة لحياته ترك القسطنطينية وتوجه الى رومية فمات هناك. وهكذا تمّ الانفصال الخامس ولكن لم يمضِ اربع عشرة سنة من المجمع الفلورنتيني حتى افتتح الاتراك القسطنطينية وتولوا عليها ونزعوا عنهم حريّتهم فعرف افاضلهم ان الله لن يرقد وان مكراتهم قد استوجبت ما حلّ بهم

يندهش القارىء مما شاهده من مكر اليونان وكفرهم وكثرة تقلباتهم فلا غروَ ان يكون هذا دأبهم وقد كان بلغ هذا الشعب في قديم الزمان قمة المجد والسطوة وعلى الخصوص في عهد الملك اسكندر الكبير فغلبهم الرومانيون ثم قبضوا على زمام المملكة الشرقية الرومانية بعد انفصالها من الغربية فمالوا الى قراءة ما كان

كتبه جدودهم فهاجت كبرياؤهم وبدأوا يتخيلون انهم هم القدماء انفسهم. ولما تمّ الانفصال الاخير اذاعوا كتباً كثيرة طعناً بالباباوات واللاتينيين فهيجت تلك الكتب كبرياء الأمة وحملتهم على خلع نير الطاعة والنفور من الغربيين وازدرعت في قلوبهم بغضاً يعم جميع الافرنج حتى ان احد مورخيهم دوكاس الذي شاهد حصار القسطنطينية وافتتاحها قال عنهم: ان الشعب قد التجأ الى كنيسة القديسة صوفيا فلو ظهر لهم والحالة مخيفة ملاك يخيّرهم في الخضوع الى الاتراك واللاتينيين لصرخوا جميعهم: عمامة الاسلام ولا برنيطة اللاتينيين

اما الامير توما احد اقارب ملك القسطنطينية ووالي اثينا وسائر اغريقية فلما رأى انه غير قادر على مصادمة ما كان للاسلام من القوات العظيمة وكان من المتحدين بالكنيسة الرومانية ترك بلاده وذهب الى رومية حيث مات بعد ان اقام البابا وصيًا على اولاده فلما بلغت ابنته صوفيا اشدّها زوّجها الحبر الاعظم على يوحنا امير روسيا وقد كان ارتدّ الى وحدة الايمان في مجمع فلورنسا. وروسيا لم تكن حينئذٍ مملكة مستقلة *

الفصل الثاني عشر

• في حالة الكنيسة اليونانية بعد افتتاح القسطنطينية •

اعلم ان جمهوراً من الاساقفة والشعب قد استمرّ متحداً بالكنيسة الكاثوليكية منذ مجمع ليون اما بعد ان افتتح الاتراك القسطنطينية صار الانفصال تامًا على ان السلطان لمّا عرف من جهة ان الباباوات يحرّضون الملوك المسيحيين على تجهيز عساكر منها لمحاربة العرب في اسبانيا ومنها لتخليص اورشليم ومنها لممانعة الاتراك عند قطع البحر ومن الاخرى ان ملايين من رعاياه من قبط وكلدان وارمن ويونان لا يزالون متحدين بالكنيسة الكاثوليكية حملته احوال السياسة على منع رعاياه عن الاتحاد بالكنيسة اللاتينية واجبار كل من الطوائف الشرقية على الخضوع لبطريركها المنشق عن كنيسة رومية. وقد اقتدى بمثله ولاة العرب في سورية ومصر وافريقيا بان منعوا كل اتحاد بالدين البابوي ولم تبقَ الكنيسة الكاثوليكية حرة الّا في الجبال فاصبح والحالة هذه الاتحاد متعذراً ولم يؤذن الّا فيما بعد الى القناصل فقط ببناء معابد في بيوتهم لعيالهم ثم ببناء كنائس لاجل تجار الافرنج وكان في غالب الاحيان يدخل اليها القواصة فيخرجون منها كل من يجدونه فيها من الشرقيين ويلقونه

في السجن فمن الكاثوليكيين والحالة هذه من كان يحفظ ايمانه سرًّا في ضميره ومنهم من كان يجلو عن وطنهِ ويترحّل الى غير اماكن

غير ان السلطان قد فوّض في بادىء الامر اليونان بدون تقييدٍ انتخاب بطريركهم فاقاموا جرجس سكالاريوس فتسمى جناديوس وكان هذا البطريرك قد حضر مجمع فلورنسا وتمسك بهِ وألّف ضد مرقس اسقف افسس كتابًا فلما اطلع السلطان على ذلك استدعاه اليهِ وقال له: اني اثبتكم انا من الان فصاعدًا في مناصبكم فلا حاجة لطلب الاثبات من رومية ثم استقربه وقال: اني أسمّك باسم الله الذي اعطاني الملك بطريركًا مسكونيًا على جميع الرومانيين ثم البسه رداء ثمينًا وعيّن له جعالة وسمّاه ميلّي بَشا اي رئيس الامّة وسلطانًا على الطائفة المنتشرة في المملكة العثمانية. فالبطاركة الخمسة الاولون قد تمّ انتخابهم قانونيًا اما خلفاؤهم فلم يتصلوا الى البطريركية الّا بطريق السيمونيًا وهو نفاق حاول ان يدخله في الكنيسة سيمون الساحر اذ طلب الى القديس بطرس ان يَهبه الروح القدس بدراهم يدفعها اليه كما جاء في اعمال الرسل ف ٨ ع ٢٠ و ٢١ فقال له بطرس لتذهب فضتك معك الى الهلاك لانك ظننت ان موهبة الله تقتنى بالنقود فلا حصة لك ولا نصيب في هذا الامر لان قلبك غير مستقيم امام الله. فالسيمونيًا اذًا هي اشتراء ما هو روحي بما هو زمنيّ

عود: فبدأت والحالة هذه المزايدة بين الاساقفة والقسوس وكان كل من زاد انتصب بطريركًا. فمن جملة اخبارهم انه ظهر سنة ١٤٦٧ راهب من تريبيزوندا اسمه سمعان وتعهد بواسطة احد اصدقائهِ الجاحدين انه يدفع كل سنة الف دينار الى الخزينة السلطانية فأُقيم بطريركًا فحسده دانيس اسقف فيلوبيلى فتصدر لدفع ألفي دينار فنصّبوه وخلعوا سالفه سمعان فلما رأى احد الرهبان اسمه رافائيل ان للمزايدة سبيلًا مفتوحًا تعهد بدفع الفين وخمسمائة دينار فقبلوه ونزلوا سالفهُ وكل ذلك كان يجري بوقاحةٍ ودناءة اغاظت السلطان اخيرًا فكره ان يثبتهم هو نفسه ففوض الامر في ذلك الى احد وزرائهِ

فاتخذ والحالة هذه البطريرك لقب ميلّي باشا وقام رئيسًا على كل محازبيه في دينه في الامصار العثمانية كافة. وقد كان له قبل ان يضع السلطان محمود التنظيمات ان ينتصب ويخلع البطاركة والاساقفة كما يهوى وان يحكم في الامور الروحية والزمنية ولا مردّ لحكمه على كل من يحكم عليه ما لم يَصِر مسلمًا فيعفى. وكان في الزمان القديم مترتبًا على البطريرك ان يجمع الجزية ويوردها

ى الخزينة السلطانية فيكلف في هذا الامر الاساقفة فياخذون اذ ذاك يعتسفون شعب بما يفرضونه عليهم من التكاليف الباهظة ليتمكنوا من وفاء ما يكون ليهم من الديون التي يحملونها في تحصيل الاسقفية واداء الجزية. وعلاوة لى ذلك فانهم كانوا يفرضون على الشعب فرائض كنائسية اشدّ قسوة في بعض لاماكن اذ قد رتّبوا على عقد الزواج ودفن الموتى ومباشرة سر العماد فرائض جسيمة يضطرّ الطالبون الى ان يحملوها. فلمّا رأى السلطان محمود ما في ذلك ن الجور والاعتساف آمر بالغاء ذلك ورتب رسوم الجباية والتحصيلات وانقذ شعب ممّا كان يحلّ به من الاعتساف وأمر بان يكون انتخاب البطاركة والاساقفة ؤبداً طول حياتهم وللاكليريكيين القسطنطينيين بمعية العوام ان يستقروه غير ان لعطافة لم يجد عنه كبير فائدة لاضطرار المرشحين والحالة هذه الى استرضاء زهاء لثمانية منتخب فصار على كل من الطالبين ان يتعاهد اما بذاته واما بواسطة السماسرة دفع مبلغ الى المنتخبين فمن زاد كان الصوت له. ولا يخفى ان المنتخبين عند احتياجهم الى النقود يقدمون كل سنتين او ثلاث عريضة الى نادي لصدارة العظمى يشتكون من سوء تصرّف البطريرك ويطلبون عزله واقامة آخر. كثيراً ما نجحت مساعيهم بدليل ما يشاهد من تغيير البطاركة كل ثلاث او ربع سنين وهم ينشرون مع ذلك في الجرائد ان البطريرك الفلاني قد استعفى ن منصبه واعتزل عن الاشغال فترى دائماً في القسطنطينية اكثر من خمسة و ستة بطاركة متنزلين وداعي تنزيلهم واشتراء البطريركية قد صارا مشهورين حتى ان الجرائد اليونانية تعين ما يودّي من الدراهم في مثل هذه التغييرات كل من البطاركة. قالت احدى الجرائد اليونانية المسماة بيزنتينا ان سنة ١٨٦٥ تد تكبّد بواكيم من المصاريف ......٨٠ الف قرش ليصير بطريركاً وزهاء مليون قرش ليثبت في منصبه لانه التزم ان يستدين من بنوكة اليهود المائة بستين واصحاب البنوكة يضربون عليهم هذه الفوائض الفاحشة خشية من فقد مالهم اذا ما عزلوا قبل تأدية المال وعليه فيضطرّ البطريرك الى دفع المال سريعاً لئلا يتكبد هذه الفوائض فيرسم اساقفة كثيرين في القرى والمدن الصغيرة حيث لا حاجة اليهم ويحتال ما امكنه في اخذ النقود منهم ومن رؤساء الاديرة والكهنة واذا اتفق ان تأخر الواحد عن تأدية ما يطلبه خلعه واقام موضعه آخر يكون اكثر مالاً واسرع تأدية. وهذا الخلع لا يتملّص منه البطريرك القسطنطيني نفسه كما اشرنا اليه فان كيرللوس وان كان من جزيرة اكريت قد سيم بطريركاً على الاسكندرية ثم انتخب سنة ١٥٨٥ بطريركاً على القسطنطينية الّا انه خلع

عن منصبه ست مرار بمدة ست عشرة سنة استمر فيها بطريركًا. ولمّا سعى في إدخال شيعة الابروتستان بين اليونان خلعوه ومات أعمى

اعلم ان بطريرك اورشليم قد بلغ دينه سنة ١٨٣٠ عشرين مليونا من القروش وقد كان مرَّ عليه عشر سنين ولم يدفع ما هو مرتب عليه من الفوائض فارسل يلتمس صدقات لاسيما من روسية فلمّا بلغ ذلك السلطان محمود تحرك قلبه شفقةً فانعم عليه بمالٍ كثيرٍ لان جانباً كبيراً من المال كان يخص الارامل والايتام قد ودعوه في دار البطريركيّة. ولكن هل دفع البطريرك ما كان عليه من الديون. هيهات هيهات فانه دفع خمسة عشر في المائة وعليه فقد اخرب عيالاً كثيرة وجعلها في الفقر المدقع والبطريركية مع ذلك افضل البطريركيات مالاً وارزاقاً. فان هؤلاء البطاركة لا يعبأُون بما يرتكبونه من مثل هذه الافعال اذ لا يقع الانتخاب على من هو اشهر قداسةً وعلماً بل على من يكون اجزل مالاً واسرع تأدية. وقد قال السيد له المجد (يوحنا ف ١٠ عـ ١) ان مَن لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف بل يتسوّر من موضع اخر فانه سارق ولصّ فالاساقفة الشرعيّون يدخلون بالانتخاب القانوني الشرعي اما اللصوص فيدخلون بالسيمونيا فيشتري الاسقف اسقفيته فيكون دخوله ضد ارادته تعالى. اما انا فلم اذكر هنا الاّ ما قلّ واشتهر من مثل هذه الحوادث ولكن من يطلب مزيد بيان فعليه بما كتبه بيزابياس احد معلمي اثينا عن بطاركة القسطنطينية واساقفة اليونان في ثلاثة كتب بيّن فيها ما هم عليه من سوء التصرّف واني اضرب عن ذكرها خجلاً وحياءً وقد طبعت هذه الكتب في جزيرة مالطة سنة ١٨٥٨ ✩

الفصل الثالث عشر

• في اورشليم •

اعلم ان الملكة هيلانة بعد ان تنصَّر ابنها الملك قسطنطين سافرت من رومية الى اورشليم ففتّشت ووجدت الصليب المقدس سنة ٣٢٤ فبنت كنائس واديرة كثيرة واستمرت تحت سلطة الرومانيين الى ان افتتحها العرب سنة ٦٣٦ فقاموا مستولين عليها الى ان افتتحها الصليبيون سنة ١٠٩٩ وقد استمروا قابضين على زمام احكامها حتى تغلب عليهم صلاح الدين سلطان مصر فاستولى عليها سنة ١١٨٧ غير ان روبير ملك نابولي قد اشترى من العرب جميع الاماكن المقدسة بكثير من المال وسلّمها الى الرهبان الفرنسيسكان حفظًا لها وصيانةً. فاتفق في ١٢ تشرين الاول سنة ١٨٠٨ ان شبّت نارُ حراقٍ (لم تبرأْ ساحة الروم منها

على دلالة الظن) فصدعت القبر المقدس واتلفت القبّة فوقهُ واوروبا عامئذٍ في حربٍ عوان نشبت في عامتها تقريباً فصدّت واردات الخير والاحسان عن المسيحيين فتعسر على الآباء الفرنسيسكانيين ترميم ما أتلف من الكنيسة فاغتنم الروم ان ذاك الفرصة والتمسوا بذريعة الدرهم والدينار من القسطنطينية ان يجددوا الأبنية المحروقة فأُجيبوا واصلحوها ومحوا الكتابات اللاتينيّة التي كتبها الصليبيون والقديسة هيلانة ووضعوا عوضها كتابات اخرى يونانيّة خداعاً للشعب البسيط بان الاصل قد كان يونانيًا

من المعلوم ان تابعي الطقس الروماني في جميع كنائس العالم يبطلون قرع الاجراس مدة اسبوع الالام مستعضينهُ بقرع على الحجارة او بقرع الاخشاب ويطفئون الاضوية ثم ينجّرون النار فيضيئون الشمع والقناديل في الكنيسة علانيةً امام الشعب كله وفي القبر المقدس نفسهِ والبونان يفجّرون ايضًا نارًا جديدة نظير اللاتينيين الّا انهم على خلاف في العمليّة لانهم يتوارون عن الشعب محتجبين في القبر مع الارمن ثم يأتون بنارٍ يدّعون انها نور أفاضه الروح القدس بحيث يُشعل قناديل القبر بما لا تراه عين ثم يخرج الاسقف والارمن معًا شموعًا مضية من منافذ مدعين انها قد اشتعلت من النور الفائض فيدنو الشعب ويشعل ما في يده من الشموع والقناديل مُوقنًا انه قبسٌ من فيضان النور الالهي ويطوفون بالنور تبرّكًا حول اللحى والشعور فمن التهب كان لديهم قليل الايمان وان التهب معترفاً بالايمان قيل ان شدة الايمان احرقته. وقد عثر احد الاساقفة سنة ١٨٦٤ وهو خارج من القبر فسقط ملتهباً فلحقه من الفشل ما شكك جمهور الحاضرين.

واعلم ان من اليونان من يزور أملًا برؤيـة النور فقط ظنًّا انه من المعجزات التي لا يؤتى بها الّا في كنيستهم التي هي الحقيقيّة فلا ينتظرون عيد القيامة بل يسافرون حالما تنتهي الرتبة الى يافا فيركبون البحر ويرجعون الى اوطانهم. ومنهم من يشترون ما ينيف على مائة شمعة يوقدونها برهةً من الزمان بل نرى البعض يحفظون ذلك الضوء في فوانيس مضبوطة فينطلقون بها الى اقاصي روسيه ويبيعون نورها لمن يروم التبرّك منه. ولا يخفى ان هذه الشموع تباع على حساب البطريرك وفي القبر نفسهِ

قد كان قديمًا لليونان وحدهم ان يعملوا النور المقدس اما سنة ١٢٠٠ فقد استمد الحبشة فأذن لهم ان يعملوه وحدهم ثم استأذن اليونان ثانيةً فرجعوا يعملونه بمعية الحبشة فحسدهم الارمن فاستمدوا الاذن بعمله معهم ثم تغلبوا على الحبشة فابعدوهم اما سنة ١٦٦٤ فقد رخّص باشا المدينة لليونان والارمن والحبشة والقبط والكرج بان يصنعوه معًا ولكن من العجيب كيف ينيض الروح القدس نورًا

يرسله من سرادقه السماوي لطوائف تتنافى معتقداتها وكل منها تدعي ان فيض النور لم يكن لولاها وما من احد يرى النور نازلاً من السماء. واعلم ان النور متوقف فيضانه على حضور الباشا وعساكره للمحافظة وروح القدس ينتظر ريثما يأتون. ومن الباشاوات من كان يُبطىء مجيئه وروح القدس مع ذلك ينتظر ريثما يأتي فيأمر بالفيضان. وكل لبيب يرى ما في ذلك من الخزعبلات التي يختلقونها

يأوي اللاتينيون او الكاثوليكيون جميع زوار اورشليم ويصرفون عليهم مجاناً ولا يُباح لهم ان يطلبوا شيئًا من الدراهم اما بطاركة اليونان فعلى خلافه فانهم لا يقدمون شيئًا الى الزوار مجانًا بل يأجرونهم كل شي ويبيعونهم الماء نفسه مع ان املاكهم جزيلة ولهم في الخارج عن المدينة من الارزاق ما لا يحدّ فضلاً عما يصيبهم من الصدقات وما كان لهم من الاملاك الكثيرة في فلاشيا وسربيا. ولا يخفى ان البطريرك الاورشليمي اليوناني يبيع اليونان والروس تذاكر مرور من الارض الى السماء للاحياء والاموات وقد يبلغ احيانًا ثمن التذكرة من ثلاثمائة قرش الى العشرين الفًا ذلك بالنسبة الى المحل الذي يكتسبه المشتري في السماء ثم تذاكر دخول الى القبر المقدس. ولمن يحب ان يُطفيء شمعته قبل غيره او يصير ذكره في احتفال القداس وقد يبلغ ثمن القداس على قبر العذراء عشرة آلاف قرش بشرط ان يحتفله الاسقف الذي يكون قد احتفل فيضان النور وعليه فانهم يعرّون الزوار ممّا يصحبونه من الدراهم بحيث قد يتفق مرارًا ان يفتقر زوار الروس فيتعذر عليهم الرجوع الى اوطانهم لولا مساعدة الدولة الروسية بنقلها اياهم مجانًا او دفع ما يحتاجون اليه من النقود. وقد بلغ بهم الامر الى ان الحكومة الروسية قد اوصت القنصل الذي لها في يافا بان لا يأذن لزائر روسي بالتوجه من يافا الى اورشليم قبل ان يأخذ منه مبلغًا من الدراهم يكفيه بعد عودته من اورشليم لمصاريف انطلاقه من يافا الى وطنه وهذا انما هو ضرب من الحكمة بل من الرحمة. ومما يجدر ذكره ان الكاثوليكيين ليسوا باقل عددًا في الاراضي المقدسة من اليونان مع ان لهم بطريركًا واحدًا يسوسهم ويدبّر امورهم اما اليونان فلهم بطريرك واربعة عشر اسقفًا وجمهور من الارشمندريت وسببه ان كل من ادّى الدراهم فاز بما يتمناه من المناصب

اعلم ان كهنة اليونان غير اولاد العرب كلهم رهبان ينذرون العفة والفقر والطاعة بحيث لا يمكن لاحدهم ان يملك شيئًا من الدراهم والاموال من دون ان ينكث بنذره ويرتكب كبيرةً لان الدير الذي يسكنه يلتزم بان يقدم له جميع ما يحتاج اليه من امور المعاش اما رهبان اورشليم اليونانيو الاصل فهم اغنياء

ثروتهم عظيمة يملكون بيوتًا ودكاكين واراضي كثيرة ولديهم كثير من النقود التي يضعونها في البنوكة. ومما يسوء ذكره هو انه كل سنة يجعلون رئاسة الاديرة تحت المزايدة فمن كان اوفر مالاً واسرع اداء رُئس على احد الاديرة اما على القبر المقدس واما على قبر السيدة مريم واما على كنيسة الجلجلة واما على محل آخر فياخذ جميع ما يَرد من النذور والاحسانات وثمن الشموع التي يدفعها الزوار. هذا وليس لجميع الكهنة ان يعرّفوا الزوار بل فقط لاولئك الذين يشترون الاذن من البطريرك فيسمعون الاعترافات باجور معينة مع انّ البطريرك في غنًى عن ذلك لما له من الاملاك الكثيرة فلمّا رأيت ذلك سألت لماذا لا يسلّم البطريرك هذه الاديرة والاوقاف الى من يثق بهم من الرهبان وهم يؤدون له حساباً عن الخارج والداخل فقيل لي ان ليس له ثقة باحد منهم فانه يخشى من ان يستبقوا من المداخيل اكثر مما يؤدون له

ومما يسوء ذكره ايضاً هو ان الكهنة اليونانيين يمتازون عن كهنة الروم العرب امتيازاً يذلّ اولاد العرب على انك ترى الكهنة اليونانيين ذوي ثروة عظيمة وسعة شهيّة يتولّون المناصب العالية والاديرة الغنيّة ويعيشون هنيًّا بينما ان الكهنة اولاد العرب هم في ذل عظيم وفقر مُدقع يخدمون الرعايا الفقيرة ويتحملون مضض المعيشة وهم بمنزلة خدم للكهنة اليونانيين لا يستحقون الارتقاء الى المناصب العالية من بطريركية او اسقفية او رياسة دير غني وعليه فماذا يصنع هولاء الرهبان اليونانيون وكيف يصرفون مبالغ عظيمة يستخلصونها من الاوقاف والاحسانات التي يستجلبونها من روسيه وغيرها

قد ورد في كُتيّب عنوانه: جواب الكنيسة الارثوذكسيّة المسيحيّة عن دعوى الكنيسة الغربيّة الباباويّة تأليف احد ابناء سوريّة الارثوذكسيين ما نصّه: لا يوجد بينهم (اي اكليروس اليونان) نظير ذاك الاب الكبوشي الذي ظهر تصرفه الردي في بيروت في الربيع الماضي مشتهراً علانيةً ولو ان الامر غير مُشاع لما اتيت بذكره اه

لقد اورد المؤلف هذه القصة تقريعاً بالاكليروس الكاثوليكي ليبيّن ان كنيسةً تحتوي على مثل هولاء الاشخاص لا تكون كنيسة طاهرة يسوغ الدخول فيها. نحن لا ننكر ان الانسان لا يزال انساناً مهما كان الامر من حاله. ولكن هل أمكن صاحب الجواب ان يأتي بمثل آخر غير الذي اورده من بين جميع الرهبان اللاتينيين الذين يسكنون سورية واورشليم فلو امكنه لما تأخر عن ذكره ثم هل صار رفع هذا الحادث الى مجلس يتفحصه ويحكم بصحته فان المؤلف

نفسه يقول انه قد سمعه عن لسان الجمهور بالتناقل فلم يقض به مجلس ولم يحكم بوقوعه حقيقةً. وليكن صاحب الجواب على يقين ان الكنيسة الكاثوليكية الرومانيّة لا تتحمل نظير اليونانيّة ما قد يرتكبه اكليروسها من الافعال الرديّة فاذا لا سمح اللّه وقع احدهم في ذنب تأصّته حالاً وقطعته من شركتها. ومع ذلك قد استباح صاحب الجواب ذكر هذا الحادث الذي لم يتثبّت ونشره ألاَ يحقّ لنا والحالة هذه ان ننشر نحن ما نسمعه ونتأكده من مثل هذه الاخبار عن اكليروس اليونان. لا ريب في انه يحق لنا الدفاع عن شرف امنا الكنيسة الكاثوليكيّة ولو باظهار عدوتها الكنيسة اليونانيّة غير المتحدة ولكن ما ترى الفائدة من ذلك سوى تلطيخ قلمنا في اقذار تقزّ منها نفسنا وتشمأز ثم تعثير كثيرين من السذج وسالي الطوية ثم اخيراً صبّ زيت على سعير غيظكم وتهييج بغضتكم العمياء الكلبة فعليه فانّا نقتصر على ذكر اسماء الشبينات والحجيّات الخاصة لجماعتكم دون غيرها والمتعذّر عليكم الافتخار بهنّ

فيا للعجب من كون روسآئكم مطلعين على كل ذلك وعلى امور اخرى كثيرة تستوجب المذمة بل والتأديبات الكنائسية دون اجراء قصاص على المذنبين واجبارهم على الارتداع عن غيّهم فتباً لمريض لا يعالجه طبيب ولا يهتم احد في مداواة علته المهلكة. أليس هو عكس ما يجري في الكنيسة الكاثوليكيّة هل يُبدي راهب او كاهن عاليّ كاثوليكيّ ما يُشكك القريب ولا يبادر رئيسهُ الى معاقبته ويهتمّ كلّ الاهتمام في اصلاح سيرته بما يتيسر له من الوسائط الفعّالة وإزالة الشكوك الحاصلة ممّا سآء به فعلاً

لا يتصوّر القارى ان ما اتيت به يتجاوز حدّ التصديق او يتخيّل ان هذا انما هو افتراء يختلقه الكاثوليكيّون تقريعاً بالاكليروس اليوناني فان بطريركهم يقول عنهم اكثر مما قلت وهو يعرف احوالهم ولا تخفى عليه خافية مما يرتكبونه فان البطريرك كيرللوس الذي قد صار تنزيله لانه تظاهر في الميل الى البلغاريين عندما طلبوا ان تكون اساقفتهم من نفس ملتّهم قد كتب كتابين الواحد في الافرنسية والآخر في العربيّة فنرى في الكتاب الافرنسي في الصفحة الثامنة والاربعين ما تعريبه: « مسكينة اورشليم لانكِ سقطتِ بين ايدي رهبان اخص فضائلهم نكران وجود اللّه » وقد توزعت هذه الكتب مجاناً على سكان اورشليم فاشغل ذلك افكار الاكليروس فبذلوا عن كل كتاب يُسحب من ايدي الشعب عشرين فرنكاً. فتأمل ايها القارى اللبيب المنصف واحكم ما بين الكنيسة اليونانية والكنيسة الكاثوليكية التي لا تزال متيقظة ساهرة دواماً على بنيها ولاسيما

على الاكليروس وبجريةً على الائمة ما يستوجبونه من القصاصات والتأديبات حذرًا من سريان وباء الفساد وتجشُّم الخللَ وعثور الكثيرين وهلاك انفسهم نشتدك الله ايها اللبيب اليس في ذلك دليل كافٍ على كون الكنيسة الكاثوليكيّة رعية المسيح الحقيقية ✿

الفصل الرابع عشر

• في الكنيسة الروسية •

اعلم ان روسية لم تكن قبل القرن السابع سلطنة بل امارةً توسع نطاقها شيئًا فشيئًا بما اتت به من الفتوحات الى ان صارت مملكة عظيمة. اما كنيستها لما كان تدبير امورها متعلقًا بالبطريرك القسطنطيني فقد اضطربت احوالها الدينية عند انفصال الكنيسة القسطنطينية عن الكنيسة الكاثوليكية وقد قدمنا ان البابا سِكستوس قد زوّج مريم ابنة امير اتينا على ملك روسية لاثنتي عشرة سنة بعد افتتاح القسطنطينية لان الكنيسة الروسية قد لبثت منضمةً الى الكنيسة الكاثوليكيّة ولكن لما كان البطريرك القسطنطيني قد اقام اكثر اساقفة روسية اوعز اليهم ان يحركوا الشعب ويغرّوه مستميليه الى الانفصال عن اللاتينيين والبابا. اما ايزيدوروس متربيوليت كياف ورئيس اساقفة روسية من كونه قد كان حضر مجمع فلورنسا وازال عن فكره ما كان يتوهمه فجمع جملة من الاساقفة ووضح لهم حقيقة الحال بادلة صدعت رداء كل شك عن افكارهم فاذعنوا للحق لما أتى به من الادلة التي القاها من الكتاب المقدس والاباء القديسين فلبثوا متحدين بالكنيسة الكاثوليكيّة ولكن لمّا لم يكن هذا الاتحاد عامًّا لجميع الاساقفة انشقت الكنيسة الروسية الى كنيستين الواحدة كاثوليكيّة والاخرى يونانيّة فانتخب الحزب اليوناني رئيس اساقفة وجعل كرسيه في مسكو واما ايزيدوروس فلبث رئيس اساقفة الكنيسة الكاثوليكيّة

قد حدث بغضون ذلك تنزيل ارتيموس البطريرك القسطنطيني فاعتزل عن وطنه وذهب الى روسيا فعاقده الملك على مبلغ من الدراهم على ان يرسم يعقوب رئيس اساقفة مسكو بطريركًا على روسية بان يعطيه لقبًا وسلطانًا قد فقدهما منذ عزله وقد تمَّ ذلك في ١٥ من ك ٢ سنة ١٥٨٨ في كنيسة السيدة حيث اخذ التاج والعصا وسلّمهما اليه معلنًا برقيم انه تخلّى له عن لقب بطريرك. فقد تخلّى عن شيء فقده فكأنه لم يتخلَّ عن شيء. اما سنة ١٥٩٣ فقد اجتمع بطريرك روسية والاساقفة وارسلوا الى البابا اكلمنضوس الثامن رقمًا به

يُفصحون انهم يقبلون ما قرَّره مجمع فلورنسا ويقرّون ان البابا انما هو خليفة القديس بطرس ورأس الكنيسة كلها فتمَّ حينئذٍ انضمام هذه الكنيسة ثانيةً الى حضن الكنيسة الكاثوليكيّة

قد كان الروس اذ ذاك شعبًا جاهلاً ليس له في العلوم المامٌ وليس له علائق مع بقية الدول الاوروباويّة فعزم ملكهم بطرس الكبير على ان يمدّنهم فتنكر وسافر الى سردام من مملكة هلندة قصد التفقه والتحلّي بأخلاق اهل الادب فلمّا وصل الى مملكة السُّويد بدأ يشتغل نظير الفعلة في عمل المراكب فعرفوه فاضطرّ اذ ذاك ان يجول اوربا لا نضير متنكر بل نظير الملوك فلمّا نظر وعرف الامور رجع الى مملكته مستصحبًا كثيرًا من الفعلة الماهرين ليفقهوا شعبه ويدرّبوه في معرفة الصنائع فاخذت شعوب روسيه من ذاك الحين تتدرج في التقدم شيئًا فشيئًا بين الشعوب الاوروباويّة غير انهم لم يتصلوا الى ما اتصلت اليه امم الافرنج بدليل توقف اخص تجارتهم على مبيع قليل من الحنطة وهم يشترون من اوربا او امركا اخص ما يحتاجون اليه من المراكب التجاريّة والحرب بخلاف ما آلوا اليه آلان. اما الملك فعند رجوعه اراد ان يُصلح كل شيء بحسبما يهوى في السياسة والدين فحكم على ابنه الكسيس بالموت لانه صادمه في بعض المسائل وقتل الكونت لابوكي اخا امرأته التي قد كان طلّقها ومرشدَه وعسكر سترليس وثمانين من الشرفاء الذين أبوا ان يحلقوا لحاهم وامر بتعميد كل من يرتدّ من الابروتستانتيّة الى الكنيسة الروسية كما تراه في طهر في الصفحة ٢٤٥. ولا يخفى ان الروس لا يعمدون اللاتينيين الّا انهم بدأوا منذ امد يعمدون البروتستان لان منهم من لا يُعمّد البتة ومنهم من لا يعتقد بضرورة العماد ورسمه صودْ. وقد اراد هذا الجبار ان يُصلح الدين على ما يهوى ويُدخل فيهِ تعاليم ابروتستانيّة الّا انه حذرًا من وقوع الهياج قد اكتفى بان يكون راسًا للكنيسة الروسية فلمّا مات البطريرك وقبل انتخاب خليفة له جمع الاساقفة والكنيسة اذ ذاك كاثوليكية وأعلن انه من الان وصاعدًا لا يكون لهم بابا ولا بطريرك ولمّا عارضهُ بعض الاساقفة بان الكنيسة لا تكون بلا راس قام مغضبًا ووضع يده على سيفه وقرع صدره وقال نعم. ولكن انا سيدكم ورئيسكم وبطريرككم والبابا الذي ترجعون اليه في جميع اموركم فصمت الاساقفة خوفًا وقد تذكروا كيف ان الملك جون قد أُجبر الاساقفة على ان يحكموا على البطريرك فيلبوس وكيف أخاط بجلد دبّ ليونيدا اسقف توكسوكار واطعمه الكلاب. هذه احوال الكنيسة الجامعة التي يفتخر بها الروسيّون ✫

فصل

• في الاكليروس الروسي •

اعلم ان الكنيسة الروسية هي على هيئة العسكرية يسوسها ٦٦ استقفاً كلهم يخضعون الى المدير الأعلى رئيس السينودوس الذي له ان يعاقبهم وان ينزلهم من كراسيهم. فكل كاهن يخضع الى اسقفه خضوع الجندي الى ضابطه وللاسقف ان يعاقبه كما يشاء وان يرسله اذا اراد يحرث الارض بدون اجرة البتة. وقد يجبر في غالب الاوقات الواحد على ان يصير كاهناً متزوجاً بابنة كاهن والقديس بولس يقول صريحاً: وليس احد يأخذ لنفسهِ هذه الكرامة (بان يصير كاهناً) الّا من دعاه الله كما دعا هرون. قال احد الكتبة الروسيين وهو العلامة كوسيلف ما ترجمته: ما اشدَّ شقاوة الكنيسة الارثوذكسيّة فان كهنتها لا يستتمون واجباتهم الّا طلباً للدراهم نظير الاساكفة وغاية اساقفتها لا الاهتمام في خير الانفس بل في جمع الدراهم وتحصيل وسام الشرف وهم يعاملون الكهنة معاملة عبيد رق ويتكامون عن الاهمال نظير الكفرة العدميين الذين اضاعوا ايمانهم. وقد كتب السيد ملكينوف الى الامير قسطنطين بين سنة ١٨٣٧ وسنة ١٨٤٧ ما ملخصه: ان الكهنة يسكرون ويتضاربون ويسرقون اموال الموتى وانهم يأتون بوصيّات كاذبة وشهادات زور ويكتبون تذاكر نفاقيّة تهرب من المناولة الفصحيّة كما تراه في كتابه من وجه ١١٠ الى ١٤٨ اذ لا بدَّ لجميع الروسيين ولاسيما المتوظفين في الحكومة من اخذ مثل هذه التذاكر تمييزاً لهم من اصحاب البدع انما ذلك يحمل الكثيرين على اخذها نفاقاً تجنباً للعقوبة ورفع الشبهة وقد جاء مصداقاً لما نحن فيه ما كُتب في شفيلتا مجلد ٥ وجه ١٢٤

ليس لاحد في روسيّة ان يصطنع العرق او يبيعه الّا الحكومة وهذا الحجز يؤدي اليها ثلث مداخيلها لحسن رواجه على انها تتساهل ببيعه وتخفيض اثمانه فيكثر الطالبون له والسكر معاً زيادة عمّا يشاهد في سائر الممالك. فقد اتفق في اقليم ادبلن ان نذر الانقطاع من شرب العرق ٥٠٠٠٠٠ نسمة من ٩٠٠٠٠٠ فجرّ ذلك كساداً في مخازن الحكومة وخسائر في مداخيل الحكومة فأمر بالغاء هذه النذور ولمّا أبى البعض ان يذعنوا لاوامر الحكومة اجبرتهم العساكر على شراء العرق وشربه واخذت الكهنة يحلون في الكنائس بحلّ هذه النذور لانها مضرة بصالح المملكة وقد ذكر ذلك الامير درلكوروكوف في كتابه وجه ٢٥١ وما يليه. وكاسكور في كتابه وجه ١٤٧. هذا وكثيراً ما يُشاهد وسط الازقة كهنة سكارى اما

نهار السبوت فيحبسونهم عن الجولات والشرب لئلا يتعذر عليهم تلاوة القداس نهار الاحد. وقد ذكرت الجريدة الارثودوكسية في سنة ١٨٣٢ ان احد الاساقفة قد اوعز الى السينودس المقدس بان يعد بوسام الشرف كل كاهن يمتنع عن الشرب المسكر. وقال القائد اكماتوف سنة ١٨٦١ في تلخيصه السنوي الى الملك ان ٢٤٤٢١٦٧٢ من ٣٢٥٢٤٦٥٠ ارثودوكسي لم يقبلوا المناولة الفصحية فضلاً عمن يقبلها حياء ويستخلص من الكهنة تذكرةً على المخاتلة والنفاق كما ذكرته شفيلتا مجلد ١٢ وجه ١٢٧ تبعاً لما ذكره السيد طهر واما المحكوم عليهم لذنوب مفضحة فما يتجاوز عددهم ١٣٤٤٣. ذلك من سنة ١٨٣٦ الى سنة ١٨٣٩ كما ذكره السينودس المقدس نفسه في تلخيصه السنوي الى الملك ☆

الفصل الخامس عشر

• في ترتيب الكنيسة الروسية •

هذا الفصل ينبئك كيف ان الملك بطرس الكبير قد رتّب الكنيسة الروسية ترتيباً لا يزال محفوظاً فيها الى ايامنا هذه:

قد انتخب هذا الملك ثمانية اساقفة آلف بهم السينودس المقدس فكل من دخل في زمرتهم لزمهُ ان يقسم بالاناجيل المقدسة قائلاً: انا الاسقف الفلاني اقسم بالانجيل المقدس اني اقر معترفاً بان ملك روسية الكليّ الرأفة هو الرئيس السامي لهذا المجمع فلا بدَّ والحالة هذه من الرجوع اليه في جميع الامور لانه الرئيس السامي لا الى المجمع نفسه ولا الى البطريرك القسطنطيني. وعليه فقد نزع عن السينودس كلّ سلطة في المسائل الكنسيّة ولم يتنازل الملك مع ذلك ان يحضر المجمع بل اقام نائباً عنه احد العوام لعدم ثقته بالاساقفة وفي غالب الاوقات يكون النائب من العسكريّة فيحضر المجمع ويقضي وينهى كما يشاء وقد ذكرت جريدة روسية سنة ١٨٦٠ في الثاني من شباط فقالت: قد توفي بروتوساف امير آلاي الفرسان الذي كان نائباً عن الملك في السينودس المقدس ورئيساً للكنيسة الروسية فان مآثرهُ كثيرة منها مصادمته الدائمة لطغمة الاكليروس القديم واعتناؤه بترقية شبان متمدنين الى الكراسي الاسقفية (طالع نسكور وجه ٣٢٣) ولكن اما كان الاجدر بالكنيسة ان تُبعد مثل هؤلاء الشبان عن الترقي الى الاسقفيات. على ان مثل هذه الاحوال قد ادّت الى فساد جاء بهبوط الاكليروس الى ما لا مزيد عليه من الاحتقار وقد اثبتت ذلك الحكومة نفسها بان اذاعت ان منذ سنة ١٨٢٢ الى سنة ١٨٣١ قد تزايد عدد الاولاد غير الشرعيين

الذين صار قبولهم في المآوي العمومية الى ان بلغ ٣١٦٦٣ في بطرسبورج ومسكو فقط فمات منهم ضمن المآوي ٦٦٤٩٤٠ هذا والله اعلم كم قد ذبح من هولاء الاولاد وقت ولادتهم تجنبًا للعار والفضيحة

اعلم ان كل من يرتقي الى الدرجة الكهنوتية يتحتم عليه عند تكريسه ان يحلف انه يُوشي الى الحكومة بكل من يعرفه بطريقة من الطرائق مؤتمرًا مثلًا على الملك او الحكومة وان يتفحص النساء والاولاد حتى اذا ما اكتشف شيئًا بتوسطهم يعلم به الحكومة. وكل كاهن يكشف شيئًا ويعلم به الحكومة يكون جزاؤه عظيمًا. نعم ان مثل هذه الوشيات تجري خفيًا الّا انها قد نشت اخيرًا في روسية لكثرتها وعليه فقد صار الامر معلومًا لدى الجميع. فان الامير الكوروكوف قد الّف كتابًا في الحكومة والكنيسة الروسية وطبعه في باريس فنرى في الصفحة ٢٣٦ انه يتشكى من معلم اعترافه لانه اخبر الحكومة عن بعض سرائر قد كان اطلعه عليها واللبيب يفهم ما تكون ثقة العوام بكهنة لا يحفظون السرّ

اما نظام هذه الكنيسة فعلى الهيئة العسكرية على انه من المحتم على اولاد الكهنة ان يصيروا كهنة وان يتزوجوا ببنات كهنة وان اتفق ان ماتت امرأة الكاهن فيجبر اما على اعتناق الرهبانية واما على الرجوع الى الحالة العاميّة فيمكنه حينئذٍ ان يتزوج. وللملك ان ينتخب الاساقفة ويعزلهم ويردهم الى الحالة الرهبانيّة. فان مات الملك وخلفته امرأة فانها تتولى على الكنيسة وتقيم نفسها رئيسة عليها في جميع امورها. فالملكة كاترينا الثانية خلعت داستوف وبارستوكس وهما رئيسا اساقفة لانهما أبيا ان يذعنا الى اوامر اطلقتها ضد قوانين الكنيسة وقد حكمت بالموت على رئيس الاساقفة أران مسجونًا لانه قال لها ان السيد المسيح لم يفوّض الملوك والملكات تدبير الكنيسة بل الرسل والاساقفة خلفاءهم. وقد قدمنا ان للاساقفة في روسية سلطانًا مطلقًا على الكهنة يعاقبونهم ويعزلونهم وليس لاحد ان يعارضهم فيما يرتكبونه من مثل هذه الافعال المغايرة لكل حق

ان الملك نقولا قد نسخ جملة موانع بين الاقارب تجعل الزيجة باطلة في الكنيسة اليونانية. قال مرقس البشير ف ١٠ عدد ٩ وما جمعه الله لا يفرقه انسان على ان الامرأة تبقى مقيدة ما دام رجلها حيًا اما الملك فقد قرّر ان كل من حُكِم عليه بالنفي الى سيبيريا او بالليمان او غاب اكثر من ثماني سنين قد عتقت امرأته وامكنها ان تتزوج بمن تشاء وبطلت الزيجة الاولى. فالمَح اخو الملك اسكندر عليه فأُبطل زيجته على الاميرة دي ساكس كوبور بدون

ذنب ارتكبته وألزم السينودس المقدس بان يُمضي فسخ الزيجة وتقرير الملك. ولا يخفى ان الملك قد امر سنة ١٨٣٢ بطبع كتاب التعليم المسيحي فأدخل فيه ان سلطنة انما تصدر دائمًا عن ذات الله عزّ وجلّ وانه يتحتم على كل ان يخضع له وان يقدّم لعظمته الملوكية افعال الحبّ والشكر والدعا حتى الجثو والخرور امام اقنومه وان لا يتهامل عن اكرام كل من يرقّيهم الى المناصب العالية لان سلطتهم انما تصدر عن ذاته الملوكية وهو نائب الله على الارض وقهرمانه والقائم مقامه دون غيره. هذا فان خامر القارىء بعض الريب فيما اقوله فعليه بمطالعة المورخ الشهير كنتو الايتاليانى مجلد ١٩ وجه ٨٠

من عهد ما ينيف عن مائتي سنة قد هاج اليونان ومالوا الى الاجتماع والانضمام الى حضن الكنيسة الكاثوليكية فانتصب اذ ذاك بطريرك القسطنطينية وقرّر في مجمع عقده ان البابا وسائر اللاتينيين ليسوا مسيحيين بل وثنيّين وحتم بالاعتقاد به كأنه قضية من قضايا الايمان لان الكاثوليكيين انما يعمّدون بسكب الماء على الرأس فقط لا بالتغطيس وعليه فيكون عمادهم فاسداً وباطلاً ولذلك فعلى كل من يدخل في الكنيسة اليونانية ان يُعمّد ثانيةً بتغطيسه ثلاث مرار في الماء مع ان الكنيسة اليونانية قد اعتقدت في كل زمان بان العماد يكون صحيحاً وان لم يكن بالتغطيس وان الخلاف فيه انما هو من مسائل الطقوس فقط. اما الكنيسة الروسية فمن كونها مستقلة عن الكنيسة اليونانية فلم تقبل هذه القضية بل استمرت على ما كانت عليه اي انها تقبل في حضنها من الاجانب ولا تُعيد عمادهم. وعليه فان ست قضايا من الايمان تفصل اليونان عن اللاتينيين وخمس تفصل الروس عنهم بدليل ما نشاهده في كتاب عنوانه صخرة الشك في الوجه ٧٥ بحيث يقر معترفًا بان خمس قضايا فقط تفصل الكنيسة الروسية عن الكنيسة الكاثوليكية ولا ذكر للعماد لان الروس يقرون بصحته عند اللاتين والعماد من اخص القضايا التي يتوقف الدين عليها. واما انفصال الكنيسة الروسية عن اليونانية فلأن الاولى تعتقد بصحة العماد سكبًا والثانية لا تعتقد به سكبًا والحال انه لا سبيل الى الامتزاج بينهما ما لم يكن لهما ايمان واحد ومن ثم فلا بدّ من احد امرين وهما: اما ان الروسيين هم اراطقة او اليونانيين

قد ارتاب العلامة بالمر الانكليزي في صحة دينه الابروتستاني فاعتزل عن بلده وساح في الشرق مفتشًا مستقصيًا عن رسوم الكنائس القديمة بين السريان والقبط واليونان وعند رجوعه ارتدّ الى الكثلكة ونشر كتابًا يتكلم به عن جميع

الكنائس الشرقية وعمّا حمله الى الارتداد الى الكثلكة فقال عند تكلمه عن الكنيسة اليونانية : اذا امتثلت امام بطريرك القسطنطينية وطلبت اليه ان ادخل الى كنيسته فانه يقول لي انت وثني لان عمادك غير صحيح ولا بدّ لي ان اعمدك بالتغطيس ثلاث مرار فاتركه واذهب الى روسية وامتثل امام السينودس المقدس واسأله ان يقبلني في كنيسته فلا يأبى لانه يعتقد بصحة عمادي فاذا رجعت بعد ذلك الى القسطنطينية وامتثلت امام البطريرك مخبراً اياه باني دخلت في الكنيسة الروسية فيبدأ اذ ذاك يعتبرني مسيحياً واصير لديه اهلاً لان اكون كاهناً فيكون سفري الى روسية قد صيّرني مسيحياً فينتج من ذلك ان اليونان ليسوا على شيء من الايمان بالعماد. هذا ما اقتطفته جريدة الاونيفير في ٢٤ نيسان و١١ ايار سنة ١٨٥٣ عن تاليف العلامة بالمير

ان الروس وبطاركة الروم الاربعة يعلمون جيداً ما هم عليه من الاختلاف في الايمان غير ان البطاركة يسرّون ما في ضمائرهم ويتظاهرون بالاتحاد مع الروس لِما لهم من المصالح في ذلك لان الملك يدافع عن كنيستهم في تركيا ويتداخل في جميع امورهم ويرسل اليهم امتعةً كنائسية ودراهم ويأذن لهم بجمع صدقات من روسية. هذا ولا يخفى ما تنويه روسية في محاماتها عن يونان تركيا لانها لا تزال منذ بطرس الكبير تغتنم الفرص لافتتاح القسطنطينية وتركيا ولذلك فلا تزال تسعى في فصل الطوائف المسيحيّة عن الدولة العلية العثمانية وعن الخضوع الى البطريرك القسطنطيني ليتسنّى لها حينئذٍ الحصول على ما تتمناه من ضم الجميع اليها وابتلاع الكنيسة اليونانية. وعليه فلا تزال روسية تترقب الفرص لافتتاح تركيا اوروبا اولاً وقد حاولت ذلك مراراً كثيرة فوصلت مرةً عساكرها الى فيليبوبولي واخرى الى قارنة فدفعتها الدول الاوروباويّة ثم أثارت حرب سيبستوبول فلم تستفد. واخيراً لمّا هاج السربيّون وسكان جبل الأسود وكانت العساكر العثمانية عاملة في تدويخ تلك البلاد اغتنمت الفرصة وأثارت الحرب فعاونها السربيّون وسكان جبل الاسود والفلاغ وملداقيا فتقربت عساكرها الى القسطنطينيّة فاجتمعت اذ ذاك دول اوربا في برلين وبالاتفاق مع الدولة العليّة صدموها فرجعت مدحورة وانكفّ الروس عن مقاصدهم

كل مرة تثير روسية الحرب ضد تركيا تدّعي انها لم تقصد بذلك سوى المدافعة عن توابعها في الديانة وهم اليونان ذلك لتوهم الشعب البسيط من الروس واليونان ان ايمانهم واحد فتمزجهم اذا ما تمكّنت من افتتاح تركيا في كنيسة واحدة فالمتفقهون من اليونان يعرفون ما تمتد اليه مطامع روسية بان تجعل بطاركتهم واساقفتهم

كلهم روسيين. وقد بين ذلك بطاركة القسطنطينية مراراً كثيرة واشهروه على المنابر علانيةً غير ان الدراهم الروسية تفعل ما لا تقدر عليه المواعظ القوية. فليفقه اليونان ان من اراد ان يصطاد سمكةً يلقي لها طعاماً فاذا ما مسكها أكلها وكثير من الجهلة مع ذلك يميلون الى روسيّة ويودون لو انها تفتح بلادهم ولا يعلمون انهم يفقدون اذ ذاك لغتهم وعوائدهم وطقوسهم وانهم يرون اولادهم يجبرون الى العسكرية ويرسلون الى روسية وسيبيريا يتحملون ما فيها من مشاقّ البرد والجليد فيمسون اسراء نظير سائر الشعوب التي ظفرت بهم دولة الروس. انه يوجد في روسية ما ينيف عن مليون من الارمن وهم يرحلون دائماً الى تركيا اذ لا يمكنهم ان يتحمّلوا ما يجر اليهم من القسوة والمشاق على ان الروسية سلطنة مطلقة السلطة والتصرف في رعاياها *

الفصل السادس عشر

• في الارطقات الروسيّة •

اعلم ان الشعب البسيط يكرّم السينودس المقدس لاعتقاده انه يعتني بامر الكنيسة اما العقلاء منهم فيعرفون جيداً ان سلطانه اسم فقط ولا يمكنه ان يقرّر شيئاً من تلقاء نفسه وان الملك المتستّر تحته يدبّر كل شيء ويحلّ جميع المسائل ويقضي وينهي بتوسط نائبه السامي وانه محتّم على الاساقفة ان يخضعوا له في كل ما يأمرهم به والاّ ردّوا الى الحالة الرهبانيّة او أُودعوا السجون وهم يعرفون ايضاً ان السيد المسيح لم يفوض امر كنيسته الى بيلاطوس او هيرودس او الى ملك آخر بل الى الرسل والاساقفة خلفائهم. وكثيرٌ منهم يسمّون الملك بالمسيح الدجّال الذي اسر كنيسة المسيح. وقد خرج كثير منهم عن الكنيسة الروسية وألفوا جماعات خصوصيّة قد بلغ عددها زهاء ١٣٠ كنيسة كما جاء في جريدة عنوانها لسان حال الارثوذكسيّة هذا فضلاً عما تداخلها من الجماعات الابروتستانيّة وهنا اذكر بالاختصار ما آلت اليه هذه الجماعات من الجنون فمنهم المارلنشيكي الذين يحرقون انفسهم ليذهبوا رأساً الى السماء ومنهم السكوبسيّون الذين يخصون ذواتهم لئلا يخطئوا وينكرون لاهوت السيد المسيح ومنهم الألكليذيّون الذين يجعلون النساء بالاشتراك لتكون الاولاد كلهم اخوة ومنهم البكسلوفزيون وهم لا يفوهون بكلمة امام من لا يكون من حزبهم في الدين ومنهم الساباتينيكي وهم لا يعتقدون بقيامة الموتى ويستعملون السحر. ومنهم المالاكونيّون وهم لا يأكلون

لحمًا انما يشربون الحليب وليس لهم من علامات الدين الخارجة شيء لا كهنة ولا تماثيل. ومنهم الستاروفزيون ومعناه المؤمنون القدماء وقد تشعبوا الى فرق كثيرة وشيع عديدة وقد بلغ عددهم ما ينيف عن خمسة عشر مليونًا

كل سنة يقدم رئيس السنيدوس الى الملك تلخيصاً بخصوص الكنيسة الارثودكسية يصير نشره في الجرائد: قال الكنت تولوسي في تلخيصه عن سنة ١٨٧١ انه يوجد في روسية بين العشرة والخمسة عشر مليونًا من السناذوفرجي وان ثلث الشعب الروسي مرتبط بالشيع المختلفة الموجودة في روسية. اما الحكومة فتضطهد هذه الشيع بما لا مزيد عليه من القسوة الآ انها تتحمل الاكثر عدداً حذراً من وقوع الهياج والعصاوة. وقال الرئيس كيأف مشير الدولة ومدير ارزاق الملك في كتابه وجه ٢٢١ سنة ١٨٣٩ انه يوجد في احد اديرة دياتلوف في ألتر مئتا راهب وستمائة راهبة من شيعة الراسكوليت وفي آخر ثمانون راهبًا وسبعمائة راهبة من الشيعة نفسها والحكومة لا تجترئ ان تضطهدهم خوفاً من القروسيين الذين يتخذونهم بمنزلة قديسين. وقد ذكره نيليو وهو يتكلم عن طينو وجه ١٣١. فان اغلب هذه الشيع تجدد عماد الارثودكسيين اعتقاداً بان عمادهم غير صحيح لكونهم يتبعون الملك الذي هو لديهم بمنزلة المسيح الدجال لانه اختلس حق الكنيسة واتخذ الاعتراف واسطة للتجسس. ومن هذه الشيع من ايمانهم انكار الله والملك معاً

ان ادعاء الملك في الروسية الرياسة في الدين وكونه وحده خليفة الله قد أتى بانفصال كثيرين عن الكنيسة الروسيّة فأقاموا جماعات خصوصية منها العدميون وقد كثر عددهم وتعاظمت سطوتهم واكثر الداخلين في هذه الشيعة هم من الشرفاء وضباط العساكر وارباب الحكومة ومن الرجال والنساء وقد انتشرت في اقطار روسية طرّاً تبطش سرّاً بقواد العساكر وعظماء الدولة وتحرق المدن وتسبي وتنهب وعزمها في كل ما تبديه من الافعال القبيحة دك دعائم الحكومة وملاشاة الدين والاعتقاد بوجود الله

ان الشرفاء في روسية يبلغ عددهم زهاء مليون والاهالي سبعة ملايين والعبيد اربعون مليوناً. وكثير من الروسيين لايزالون على عبادة الاوثان يتقلبون في عوائد وحشيّة أمّا العبيد فمحتم عليهم حرث اراضي الشرفاء وللشرفاء ان يضربوهم ويعاقبوهم ويسجنوهم من غير معارضة وقد تمرد هولاء العبيد مراراً كثيرة واوشكوا ان يبطشوا بالشرفاء والملك نفسه فاضطروا الى ان يتساهلوا معهم في امور كثيرة خوفاً من اشتراكهم مع العدميين

اما الكنيسة الروسية التي قد امر اخيراً الملك نقولا سنة ١٨٣٩ بان تسمَّى بالكنيسة الارثوذكسية فنضرب عنها حباً بالاختصار. فمن كان على ريب فيما اوردناه فعليه بالمطالعة والمقابلة ✿

فصلٌ

• في اضطهاد الكاثوليكيين •

اعلم ان في روسية قبائل كثيرة مختلفة اللغات والاديان ففيها عدد كبيرٌ من الابروتستان الذين يجاورون بحر البلتيك ومن الارمن والجورجيين والاسلام والتتر واليهود وعبدة الاوثان. والملوك يسعون دائماً بضمّ هذه الشعوب كلها الى دينٍ واحدٍ ولغة واحدة تكون الروسية وقد غصبوا كثيرين من الوثنيين واجبروهم على قبول العماد ولكن لمّا هاج الجمهور امرت الحكومة بتركهم على ما هم عليه الآ انها سنّت شريعة وشدّدت الاوامر في بولونيا بان تقضت بطرد المعلمين الكاثوليكيين من المدارس الكاثوليكيّة وتسليمها الى الاكليروس الروسي مع تسلم جميع الابناء ليكون تربيتهم على منهج الحكومة وقد حرمت التكلم في اللغة البولونية سراً وجهراً والطبع والكتابة والوعظ في الكنائس وكل من خالف ذلك يجبر على دفع خمسة ريالات المرة الاولى فان عاد وخالف مرةً ثانيةً يدفع ثلاثمائة ريال! كما جاء في جريدة السيكل في ٢٠ حزيران سنة ١٨٦٤. ولا يخفى انه كان في روسية عدد كبير من الكاثوليكيين اللاتينيين الذين يتبعون الطقس الروماني الكاثوليكي فسعت الحكومة في إدخالهم في الكنيسة الروسية فاجبرتهم على وضع اولادهم في المدارس الروسيّة ومنعتهم عن طبع كل شيءٍ يكون مؤدّاه طعن او جواب على ما يقترح عليهم من الاسئلة وكل كاثوليكي أحاد غيره عن الدخول في الكنيسة الروسية ينفى حالاً الى سيباريا كما يفصح عن ذلك المورخ كنتو في التاريخ العام مجلد ١٨ والعلامة لسكور في تأليفه وجه ١٥. فان الملكة كاترينا وحدها قد سلبت من سنة ١٧٧٤ الى سنة ١٧٩١ من الكاثوليكيين الروسيين ١٢٠٠ كنيسة واعطتها الى الاكليروس الروسي وفي سنة ١٧٩١ قد سلبت منهم ١٤٥ ديراً و٩٣١٦ رعية وثمانية ملايين قد أجبروا على الدخول في الكنيسة الروسية. والملك نقولا سنة ١٧٣٢ قد اخذ من الكاثوليكيين الذين يسكنون ليتوا وروسيا البيضاء ٢٢٠٠ ديراً من اديرة رهبان القديس باسيليوس الكاثوليكيين وزهاء مليوني نسمة كما اوردت ذلك جريدة الشفيلتا

لقد لهجت الجرائد بما صنعه الكنت تولستي في اضطهاد الكاثوليكيين فانه أجبر

٢٣٠ من تألّم على الدخول في الكنيسة الروسية ولمّا أبى جمهور منهم الدخول تسلمتهم العساكر وقتلوا منهم عدداً كبيراً. ثم فرض على كل رجل يأبى الدخول خمسين ضربة وعلى كل امرأة خمساً وعشرين ضربة وعلى كل ولد عشر ضربات وكان من النساء من يتحملنّ الضرب الى ان يبلغ عدده مائـة ضربة ثم منع الاخرون من الحرارة ليموتوا جوعاً وقد شهد بذلك ابروتستانيان امريكانيان وهما جرنل وتيش في كتاب ألفاه واذاعاه في ٢٣ شباط سنة ١٨٧٢ كما تشاهده في وجه ٨١٤. فان جميع ملوك روسية من عهد الملكة كاترينا يبذلون مجهودهم في اغراء الكاثوليكيين وادخالهم جبراً في الكنيسة الروسية. ودونك شاهداً ما حدث في نيتبك ولاية دنيغذا: أتت الشرط والعسكر معاً فجمعوا جميع الكاثوليكيين واعملوا فيهم سنكات البواريد واجبروهم على الدخول في الكنائس الروسية ثم ألزموهم والسيوف مسلولة بان يفتحوا افواههم فناولهم الكهنة الروسيون بدون اعتراف ودوّنوا اسماءهم ثم اذاعوا في الجرائد ان الكاثوليكيين من المحل الفلاني قد فتحوا اعينهم الى الحق ودخلوا في حضن الكنيسة الارثوذكسية. وهكذا يصنعون في سائر الاماكن كما رواه الاب داكاروكوف وافصح عنه لسكور وجه ٣٥٨ ما يليه. ولمّا كان متحتماً على كل من هولاء الكاثوليكيين ان يكون بيده تذكرة مرب من مناولته اتفق ان البعض منهم كانوا يشترون هذه التذاكر من الكهنة الروسيين المشاقين مع بقائهم محافظين على ايمانهم بالقلب وكل من لم يجدوا معه تذكرة او لمحوا انه خالف الاوامر امروا بضربه وبحبسه او بنفيه الى سيباريا حيث يتحمّل قوارس الجليد منفصلاً عن اهله ووطنه كل حياته. وقد صار نفي الوف من الاساقفة والكهنة والرهبات الى تلك الاراضي الجليديّة. والثورات التي أهاجها الكاثوليكيون في روسية وبولونيا محاماةً عن ايمانهم لم تزل الآ الى اهلاكهم واعدام كثير منهم. تأمل ايها القارئ اللبيب ما اعظم تساهل حكومة السلطان مع رعاياها الكاثوليك ☆

الفصل السابع عشر

• في افاضل الروسيين المرتدين الى الكنيسة الكاثوليكيّة •

اعلم ان عدم الحرية في الدين والعقاب الشديد الجاري على كل روسي يعتنق الكثلكة لم يصدّا بعض الافاضل بل الشرفاء عن الارتداد الى الايمان القويم بانضمامهم الى الكنيسة الرومانية المقدسة فلما كان ارتدادهم لا عن غايات زمنيّة بل عن معرفة الحق وحبّه محضاً كان لا بدّ من ان مثل ذلك النموذج يؤثر حسن التأثير في المشاقين السلمي الطويّة

فهاك ايها القارئ اسماء اشهر الروس المرتدين في الجيل السابع عشر: البوبار سوتيكف واولاده والامير جرجس تروبسكي ويوحنا سوتيكف والامير كزار توريسكي وابنه نيقولاوس والامير سونكوركو كارل فورونيلكي. والامراء دوريك سلالة ملوك روسيا القدماء. والامراء سالتوبولك ميرسكي. الامير اسطفان كزنوتنسكي وابنا اخيه الامير جبرائيل والامير اسطفان. والاميران دروكي ساتوليسكي ودروكي لوبيسكي

في الجيل الثامن عشر: المارشل شرمتيف الذي انتصر في موقعة بلتارا الشهيرة والامير كائيتنرمن وابنته مريم ايرينا زوجة سفير روسيا في الاستانة. ورئيس اساقفة توّار شيو فيلكتوس لابانسكي نائب رئيس السيندوس الذي تحقق سعيه مع سائر الاساقفة في ضمّ الكنيسة الروسية الى الكاثوليكية فخلعوه عن الاسقفيّة وارجعوه الى الحالة الرهبانية ثم اماتوه مسجوناً. والامير ميخائيل كاتيزين فلما اكتشفوا انه ارتد الى الكثلكة سجنوه واذاقوه من العذابات ما افضى به الى الموت سنة ١٧٧٥. والامراء اسكندر دكاستون الستاكاليون والسكندونة برتاز امرأة الامير الكسيس باليتزين. والامير ميخائيل بائيتزين الذي كان سفيراً في اسبانيا ومات سنة ١٨٦٠. والامير ثاوادارپس باليتزين اخو الامير ميخائيل والاميرة باديه سالوكسين امرأة احد ندماء الملك والاميرة ثيره براناساف التي ماتت سنة ١٨١٤. والكونتسا امرأة والي مسكو التي ماتت سنة ١٨١٢. والكونتسا اوجينا سكير وابنتها واليصابات روستوتين ابنة والي مسكو وقد ماتت سنة ١٨٢٩ والاميرة حنّه باديا تنفسكي امرأة الامير تولستي قائد عساكر الملك. والامير عمنوئيل تولستي. والامير قسطنطين بوبوبرسكي واحدى بناته قد صارت راهبة كاثوليكيّة. وصوفيا امرأة القائد ستوثين وصوفيا امرأة الكنت بوتارلين. وترنيا ومريم وديتشوف. ومادلينا امرأة الامير اسكندر سبيلا سلشكي وامرأة الامير نقولا الكونسكي. والاميرة صوفيا سيتربانوف. والاميرة صوفيا سْليكوف التي صارت راهبة كاثوليكيّة وماتت سنة ١٨٤١. واسكندرية ابنة الكنت اندراوس ساهالوف. وبطرس ابن القائد جير مالاف. والاميرة انسطاسيا سيترباتاف. والامير بطرس كوسلوسكي. والكنت غريغوريوس سيهولاف. والامير اندراوس رسوماسكي. الذي كان سفيراً في النمسا ومات سنة ١٨٢٦. والامير كاكارين من سلالة الملك وبالايين من حجاب الملك وكلاهما ترهبا في ايطاليا. والامير تددث نيقولاوس احد القواد الشهيرين فدخل في رهبانيّة الكرتوسيّين. هذا وعدد المرتدين كثير الا اني اقتصرت على ما ذكرت. فان من الروسيين الذين ارتدوا الى الكثلكة من تفرقوا في امصار مختلفة ومنهم من رخّص لهم بعدم استماع القداس ايام الآحاد والاعياد جهاراً. ومن

الرجح ان الملك اسكندر الاول الذي حارب نابوليون الاول كان كاثوليكياً فأثمر عليهِ الاّ انه قد اكتشف الايتمار ومات سنة ١٨٢٥ وقيل انه مات مسموماً. وشهد الامير ايدوسيافي هولوغنتو بان اليصابات امرأة الملك اسكندر ماتت كاثوليكية. واذا شئت مزيد بيانٍ فأقرإ الكتاب الذي ألفه الامير كاكارينوس الروسي وذكر فيه مشاهير الروس الذين ارتدوا الى الوحدة الكاثوليكية ❁

الفصل الثامن عشر

• في سوريا •

قد أبى السريون ان يستمروا خاضعين للدولة الرومانيّة القيمة في القسطنطينية لما كان يشوبها من الانقلابات وتبدُّل الاديان فتمردوا وأبوا ان يدفعوا الجزية فأُرسلت عساكر تدوّخ بلادهم وتستميلهم الى الطاعة فافتتحت سورية الاّ لبنان لان سكانه قد تحصَّنوا في جباله دفاعاً عن حريتهم فانكسرت العساكر على جوانبهِ ولم يتمكنوا من تدويخهِ واللبنانيون لايزالون محافظين على بعض استقلالٍ يتمتعون بهِ الى ايامنا هذه وقد أُطلق على سكان الجبال اسم مَردة وهي كلمة سريانية معناها متمرّد ثم اسم موارنة نسبة الى القديس مارون الذي فاح عطر قداسته في اوائل الجيل الخامس. اما سكان المدن فأُطلق عليهم اسم ملكيين نسبة الى الملك لتابعتهم اياه في ما كان يذهب اليه وهم سريانيّو الاصل قد ارتحلوا عن الجبال وسكنوا المدن. وقد حدث ما بينهم انقسامٌ ففريق سُمّي روماً وفريق روماً كاثوليكيين وعليه فترى عدداً وافراً من الفريقين في الشام وحلب زهاء عشرين الفاً بينما ان الموارنة لا يتجاوز عددهم ثلاثة الاف نسمة في هاتين المدينتين اما حمص وحما وصور وصيدا فتجد فيها كثيراً من الملكيين. اما الموارنة فلا تجد الاّ القليل منهم وقد ارتحلوا حديثاً عن لبنان يسكنون هذه المدن. وترى ايضاً في جبل لبنان نفسهِ عدداً من الملكيين فمنهم من ارتحل من المدن طلباً للسكنى في لبنان او للتحصُّن ومنهم من ترك المارونيّة وانضم الى حزب الملكيين فتسموا باسمهم روماً او روماً كاثوليكيين.

قد افتتح العرب الشام سنة ٦٣٤ للمسيح ثم سورية ومصر فأتى الصليبيون يحاربونهم فاخذوا منهم سورية وتولّوا عليها نحو ٢٠٠ سنة وتملكوا اورشليم مدة ٨٧ سنة ثم تقوى عليهم العرب وحاربوهم وافتتحوا اورشليم وطردوا الافرنج من الاقطار السورية ذلك سنة ١٢٩١ وملأوا الاساكل منها سكاناً ليمانعوا الافرنج اذا حاولوا الدخول ثانية الى سورية وعند ذلك حرّم العرب على مسيحيي سورية ان يعتقدوا

بالاعتقاد الكاثوليكي خوفاً من انضمامهم الى الصليبيين. اما العرب فقد استحضروا في ذلك الزمان بطريركاً يونانياً واساقفة قد سامهم البطريرك القسطنطيني وقلدوهم كلّ سلطان على رعاياهم الكاثوليكيين ايضاً وقد ألزموا الملكيين الكاثوليكيين بان يعمّدوا اولادهم ويعقدوا الزواج لدى كهنة الروم. فمن الملكيين والحالة هذه من ارتحل الى الجبل ومنهم من اخفى اعتقاده وبقي في وطنه ومنهم من اختلط بالكنيسة القسطنطينية ذلك لتعذّر وجود كهنة كاثوليكيين

قد اتحد سنة ١٤٣٩ الملكيون واليونان والروسيون والارمن بالكنيسة الكاثوليكيّة في مجمع فلورنسا غير ان الدولة العربيّة لمّا اطّلعت على ذلك جمعت في اورشليم البطاركة الثلاثة واساقفة مصر وسورية واجبرتهم على ان يحرموا البابا وبطريرك القسطنطينيّة وملكها وان يرفضوا علانيةً الاتحاد الذي تمّ في مجمع فلورنسا وينفصلوا عن البابا. اما سنة ١٥١٦ فلمّا افتتحت الدولة العثمانية سورية وراقت لها الاحوال بدأت تتساهل مع الكاثوليكيين وآذنتهم بتشييد معابد وكنائس

روت الاخبار ان اوّل البطاركة الذين ارتدوا بعد ذلك الى الدين الكاثوليكي أُوتيميوس واثناسيوس. وكان اوتيميوس مولده في جزيرة شيوا وكان اوّل من نقل الكرسي البطريركي من انطاكية الى الشام. ثم البطريرك كيرللوس طاناس ومكسيموس الحكيم وثاوضوسيوس الدهّان (طالع مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين المطبوع حديثاً في بيروت). وقال البابا بيوس السادس في خطاب أُلقاه على مجمع الكردينالية ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٧ بشان إثبات كيرللوس سياج مطران حوران بطريركاً انطاكياً على الملكيين الكاثوليكيين: ان هذا البطريرك الجديد انما هو الخامس من سلسلة بطاركتهم المبتدئة من كيرللوس (طاناس) الذي هو اوّل من تثبت من الكرسي الرسولي. وكان اذ ذاك المرسلون اليسوعيّون منتشرين في سورية يعلمون ويعظون ويبشّرون ويعرّفون ويتلون القداس في كنائس الروم الكاثوليكيين ويستميلون الشعب ويدخلونه في حضن الكنيسة الكاثوليكية

قد ارسل البطريرك كيرللوس واسقف بيروت رقيماً الى البابا يوضحان به خضوعهما للكرسي الرسولي. وقد ارسل البطريرك ايضاً دلالة على خضوعه عصاه الاسقفية وكان اذ ذاك روم سوريّة كلهم كاثوليكيين لكن سرًّا لا علانيةً لان الشعب يعتقد بالحقائق من دون ان يعرف الفرق الموجود بين الكنيستين اما العلماء فلا يخفاهم ذلك. فلّما بلغ ذلك البطريرك القسطنطيني حزن وقلقت افكاره فجمع مجلسه وقدّم رقيماً الى السلطان يطلب منهُ فرماناً ينهي بموجبه الجميع عن الدخول في دين الافرنج وعن المداخلة مع المرسلين وان يعاقب الداخلين

نيه بالموت فلمّا حصّل البطريرك الفرمان ارسل الى سورية من كان يعتمد عليهم فاضطهدوا روم سورية بقساوةٍ فملأوا السجون واعملوا المشانق وكان ممن عليهم الاضطهاد رئيس اساقفة حلب وصور واكابر الطائفة فنهبت اموال الكاثوليكيين وكان ذلك سبباً لغناء كثير من المضطهدين

اعلم انه لمّا توفي اثاناسيوس خليفة آوتيميوس البطريرك الملكي الكاثوليكي الاول استمدّ الحزب الكاثوليكي من باشا الشام اذناً يمكّنهم من انتخاب بطريرك من الاهالي قبل وصول البطريرك من القسطنطينية خلافاً لما كانت العادة عليه بان تأتي البطاركة والاساقفة من القسطنطينية فوقع الانتخاب على كيرللوس وكان كاثوليكيًّا اما البطريرك القسطنطيني فرسم سيلفستروس وارسلهُ برًّا. فلمّا وصل الى حلب أبى الاهالي ان يقبلوه مدعين ان بطريركهم انما هو كيرللوس وانه قد سيم قبله. اما سيلفستروس فكان قد وصل مصحوباً بفرمانٍ فلذا قبلهُ الباشا وأعانهُ على امتلاك جميع الكنائس. فلمّا طابت لـه الحال حاول ان يجبر جراسيموس رئيس الاساقفة وكهنتـه على لعْن المجمع الفلورنتيني ومعتقد البابا. فمن الكهنة مَن اذعن ومنهم مَن رفض ذلك عاملين بمثل استفنهم فنفوهم. اما الشعب فأبى ان يذهب الى الكنائس فلمّا عرف البطريرك ان كثيراً من الشعب كان في كنيسة اللاتينيين يوم عيد جسد الرب استشاط غيظاً فارسل يستجيّةً فدخلوا الكنيسة وقنصل فرنسا حاضرٌ واخرجوا مَن كان فيها من الروم وسجنوهم

قد وصل في غضون ذلك غريغوريوس رئيس اساقفة حلب عوضاً عن جراسيموس الذي كان قد نفاه سيلفستروس اما الشعب فرفض كلًّا من البطريرك والاسقف فاستمد الباشا وقنصل فرنسا من السلطان تنزيل سيلفستروس فسافر الى القسطنطينية فانتخب عوضه مكسيموس وكان من الروم الكاثوليكيين فقبل الكهنة الذين كانوا اشتركوا مع سيلفستروس وانكروا الايمان الكاثوليكي فارضاً عليهم قوانين التوبة وقد ارسل اليه جراسيموس من منفاه رقيماً يعرب لهُ عن تنزلهِ له توطيداً لانتخابه. اما البطريرك كيرللوس فرجع الى حلب بعد سفر سيلفستروس وعرفه الباشا انه هو البطريرك الحقيقي لكن الاحوال لم تبقَ على ما آلت اليه لان سيلفستروس رجع عن قليل من القسطنطينية مصحوباً باوامر جديدة بنفي المرسلين جميعاً ادّعاءً انهم يطغون الشعب ويستميلونه الى دين البابا. فعمَّ الاضطراب سورية كلها لانه عند وصوله عزل بعضاً من الاساقفة واقام غيرهم مقامهم فارسل الباشا وقنصل فرنسا الى القسطنطينية واستمدّا عزل سيلفستروس ثانيةً. ولمّا كان الباشا

اوّل عامل في عزله فرح وسرّ جداً فاطلق الحرية لجميع الكاثوليكيين بفتح الكنائس وآذن لرعايا السلطان ان يترددوا اليها وكان امرٌ لم يَرَه الكاثوليكيون منذ تولي الدولة العربيّة. وقد كان تعهّد الروم عند وجودهم في الضيق بان يدفعوا ثلاثين الف ريال عن كلّ شخص منهم تردّد على المرسلين بايّة حجة كانت فلاشى الباشا ذلك وألغاه فانتشر والحالة هذه السلم بين الروم الكاثوليكيين وبقي الحال على هذا المنوال الى سنة ١٧٤٤

اما الامور فلم تلبث على ما آلت اليه بل شبّت نار الاضطهاد ثانيةً اشدّ اضطراماً فمن الكاثوليكيين من سجنوهم ومنهم من سلبوا املاكهم ومنهم من نفوهم وكان ذلك سبباً لغناء كثيرين من الروم وغيرهم. ومن يريد ان يطّلع على ذلك حق الاطلاع فعليه بتلاوة كتب مكتوبة بالافرنسية والايطاليانية عنوانها: المراسلات المفيدة: lettres édifiantes وهي زهاء ثلاثين مجلداً وقد حررّها المرسلون اذ كانوا حاضرين في الاماكن نفسها مشاهدين عارفين كل ما كان يحدث وهذه المراسلات تنبئُ عن احوال العالم كلّه فمنها ما ينبئُ عن احوال سورية فتجد فيها بما لا مزيد عليه من الايضاح كيف كان يتمّ الارتداد بين الروم وكيف كانت تتقلب الاحوال الى غير ذلك من القصص المفيدة. ومن شاء الاطلاع عليها فليطلبها فيجدها في اديرة الافرنج في سورية وهم يسرّون جدّا بان يعيروها للمطالعة

لا تخلو سورية الى الان من أُناس يتذكرون انه لم يكن مأذونًا في السابق بدفن رومي كاثوليكي الّا بحضور كاهن رومي غير كاثوليكي. قد كانت الحروب من القديم متواصلة بين الاسلام ومسيحيي اوربا فلمّا راقت اخيراً الاحوال وانطفأت نار الحروب آذنت الحكومة بتشييد كنائس للكاثوليكيين بقطع النظر عن اختلاف الطوائف وإقامة بطاركة ورسم اساقفة الا البطريركية المارونيّة فلم تزل كما كانت دائمًا منذ نشأتها. وكان اول بطريرك عرفه السلطان على الروم الكاثوليكيين مكسيموس مظلوم فاستمد الاذن من السلطان المعظم وأُطلقت له الحرية بفتح الكنائس بمباشرة الاعمال الدينيّة جهاراً ذلك بتوسط الدولة الفرنساوية ❁

الفصل التاسع عشر

• في الروم سكان سورية •

من الروم السوريين مَن يقول ان اليونان قد استولوا على سورية كلها فنحن اذن من سلالة اليونان القدماء

والجواب: ان اليونان قد افتتحوا بالحقيقة سورية في عهد الملك اسكندر الكبير

واستولوا عليها مدة ٢٧٠ سنة غير ان الرومانيين قد استولوا عليها بعد اليونان وملكوها ٤٥١ عاماً اي الى عهد الملك تاودوسيوس الذي قسم مملكته بين ولديه ثم حضر الصليبيون وافتتحوا اورشليم واستولوا عليها ٨٧ سنة. فلمّا طردهم العرب ذهب فريق منهم يسكن سورية واستمروا محافظين عليها نحو ٢٠٠ سنة وكان في سورية اذ ذاك عدد وافر من اللاتينيين ومع ذلك لا يمكننا ان نعرف او نثبت ان احدى العيال السورية هي من سلالة اللاتينيين فكيف يمكن اذن ان نعرف او نثبت ان الروم السوريين هم من سلالة اليونان القدماء الذين افتتحوا سورية من عهد ٢٠٠٠ سنة فهذا من المحال والمحال لا يُعبأ به

ثم كيف انقرض السريان مع كثرتهم وبقي اليونان مع قلّتهم. اعلم ان مدينة انطاكية وحدها كانت تحتوي على زهاء ٧٠٠٠٠٠ نسمة من السكان وكان في حوران ٣٢ اسقفيّة وسكان المملكة السورية قد بلغ عددهم قديماً ما ينيف عن ٣٠ او ٣٥ مليون نسمة. فان قيل ان سكّان المدن كانوا كلهم يونانيين فكيف انقرض السريان منها والى اين ذهبوا ألم يبقَ لهم أثر ولا خبر. فالموارنة هم سلالة السريان سكّان جبل لبنان فبقيّة السريان كيف تمّ انقراضهم

يقولون ايضاً ان الكتاب المقدس عند تكلّمه عن سكّان سورية يسميهم يونانيين والحال اننا من سكّان سوريّة القدماء فاذن نحن يونانيّون او على الاقل من نسلهم

والجواب: ان السريان ايضاً من سكّان سورية القدماء فاذن هم ايضاً يونانيّون فمن هنا يتضح اذن بطلان ادّعاء الروم السوريين. ثم نجيب ان الكتاب المقدس يسمّي ايضاً سكّان مصر واسيا يونانيين رعايا الاربع ممالك التي تألفت بعد موت اسكندر الكبير اما هذا فلا يشير الى انهم من سلالة اليونان بل الى انهم رعايا الدول اليونانيّة كما ان السوريين الان هم كلهم عثمانيون وليسوا مع ذلك من سلالة آل عثمان. واعلم ان الروم السوريين انما يُسمون روماً ومعناه رومانيّون اما اليونان الاصليون فيسمونهم رومان ويسمون سكّان الفلاخ وملداقيا رومانيين ولا يُؤخذ عن ذلك انهم جميعهم من سلالة الرومانيين بل انهم رعاياهم القدماء

ويقولون ايضاً ان طقسنا يوناني فاذن نحن يونانيو الاصل

والجواب: ان الطقس لا ينبيء عن الاصل فان البلغاريين والسربيّين وسكّان الفلاخ والروسيين سلافيو الاصل وهم مع ذلك يتبعون الطقس اليوناني في اللغة السلافية. وكاثوليكيّو الهند والصين واميركا يتبعون الطقس اللاتيني وليسوا مع ذلك اوروباويين ولا من سلالة آل اللاسيوم الكائن في ايطاليا والتابعة منه اللغة اللاتينيّة. وسكّان اورشليم فريق منهم يتبع الطقس اليوناني وفريق يتبع اللاتيني ومع ذلك

ليسوا بيونانيّي الاصل ولا هم لاتينيّون. فالطقس اذن لا يُنبئ عن الاصل قد تبع قديمًا شعب سورية ليتورجيّة القديس يعقوب الاورشليمي وكانت مدونة باللغة السريانية اما في المدن فكان الوعظ والارشاد في اللغة اليونانيّة لبثانها مندرجة بعد افتتاح اليونان لسورية ولكن في القرى قد استمرت اللغة السريانية دارجة في المعاملات والطقوس. واما سنة ١٦٣٤ فقد ترجم افتيكيوس كاسِس بطريرك انطاكية الليتورجيّة عن اليونانية الى العربيّة ليستميل اولاد العرب الى الكنيسة اليونانية وقد أبقى فيها شيئًا من اليونانيّة وبدأ يرسم الكهنة بموجب الطقس الجديد وقد استمال بذلك كثيرًا من الشعب الى الطقس اليوناني لفهمهم اذ ذاك اللغة العربيّة وجهلهم السريانيّة ولم يكن في وسع احد ان يقاومه لانه كان مقلّدًا بكل ما يلزم من السلطة الاجرائية. وعليه فانّا نقول ان كل من يقول انه من سلالة اليونان القدماء فانه مغرور في ذلك لامحالة وان امكن ان يكون عالمًا فيها سواه

قدمت في اول هذا الكتاب ان السريان من سلالة تموئيل اخي ابراهيم ولا يخفى انهم كانوا احسن الشعوب تمدّنًا وعلمًا وقد سبقوا جميع الشعوب ما عدا اليهود في اعتناق الدين المسيحي على ان المؤمنين انما تسمّوا مسيحيين في انطاكية عاصمة سورية فاصبحت الكنيسة السورية اقدم الكنائس الّا كنيسة اورشليم وقد كان تعلقهم شديدًا في الكنيسة الكاثوليكيّة لعلمهم ان القديس بطرس انما هو اسقفهم الاول الذي سكن انطاكية مدة قبل سفره الى رومية فلبثوا متمسكين بعرى ايمان خلفائه الاحبار الرومانيين الى ان قسمتهم الارطقات والانشقاقات. ومن العجيب كيف امسوا بعد تولّي اليونان عليهم من عهد اسكندر الكبير وتغيير طقسهم من السريانية الى اليونانيّة جبناء يخجلون من ذكر اصلهم السرياني زاعمين انهم من سلالة اليونان ففقدوا والحالة هذه جنسيتهم الاصليّة وقد آل هذا الامر بهم الى ضلال كبير يحمل الجهلاء منهم على ان يتخيلوا انهم سلالة اليونان. اما اليونان فقد ندبوا الروم السوريين الى تسميتهم رومًا واتباع الطقس اليوناني وترك السرياني ليحملوهم على ان ينسوا جنسيتهم فيمتزجوا بالكنيسة اليونانيّة امتزاجًا يسدّ في وجوههم كل انفصال عنهم. وقد اعتاد الروم السوريون على الطقس اليوناني ونحن لا نحاجهم في المحافظة عليه انما نذكّرهم بان لا ينسوا اصلهم وما يجرّ اليهم من الافتخار. فقد تبع الروسيون والبلغاريون والسربيّون وشعوب اخرون الطقس اليوناني ولم يتركوا جنسيّتهم وليس لهم مع ذلك ما للسوريين من وجوب الافتخار بالاجداد والاباء وهم مع ذلك

اعداء الدّاء لليونان ولا سيما البلغاريون فان بينهم وبين اليونان حرب عَوان لتيقّنهم ان انكار الجنسية انما هو نفس انكار الوالدين ✿

الفصل العشرون

• في البلغاريّين •

اعلم ان البلغاريين شعب سلافي كان قديمًا ذا سطوة عظيمة وله ملوك يسوسونه في جميع اموره يجاور ملكهم مملكة القسطنطينيّة وقد شبّت نار الحرب ما بينهم مرارًا كثيرة ثم استمالتهم بطاركة القسطنطينية عند انفصالهم عن الكنيسة الكاثوليكيّة . اما سنة ١٢٠٤ فقد اتحد الملك مع الاساقفة وارسلوا رقيمًا الى البابا يظهرون به رغبتهم في الاتحاد بالكنيسة الرومانية معترفين ان البابا هو رئيس الكنيسة كلها . فلما بلغ ذلك البابا اينوشنسوس الثالث ارسل كردينالاً الى بلغاريا فكرّس الملك يوانيس ملكًا على بلغاريا وفالاشيا واقام رئيس اساقفة تيرونوتو بطريركًا على بلغاريا كلها ولكن لما افتتح الاتراك بلغاريا واستولوا عليها اجبروهم على الانضمام الى الكنيسة القسطنطينيّة وعلى الخضوع الى ميلّي باشا كما اجبروا سكان سوريّة فلما مات اوتيموس بطريرك البلغاريين ارسل بطريرك القسطنطينية اليهم اسقفًا يونانيًا ولاشى البطريركية البلغارية وكان كلما مات اسقف ارسل اسقفًا موضعه يونانيًا ولم يكن من يجترئ على مصادمته لان السلطان قد كان فوّضه كل سلطة عليهم . وقد كثر اشتراء الاسقفيات في القسطنطينية وكان من وظيفة البطريرك ان يرسل اساقفة الى جميع الاماكن التي استولت عليها الدولة العثمانية الى بلغاريا وفلاشيا واكريت واورشليم وسوريّة ومصر حتى الى روسية ايضًا وكل اولئك الاساقفة لم يكونوا من سلالة اليونان بل من الحي الذي يسكنه اليونان او بطاركة القسطنطينية . اما الروس فلما بدأوا يتمدنون رسموا بطريركًا من امتهم كما قدمناه وكلما مات اسقف يوناني استعاضوه بواحدٍ روسي الى ان انقرضت الاساقفة اليونانيون من روسيّة وقد تبعهم في ذلك باقي الممالك كاليونان وسربيا وفالاشيا . ثم طلبت بلغاريا اذ ذاك الى السلطان ان يأذن لها بانتخاب اسقف من امتهم فاهاج ذلك الجرائد البلغارية واليونانية القسطنطينية فأتت بمناقشات طويلة بها تشكى البلغاريون من ان بطاركة القسطنطينية يبيعون الاسقفيات نظير سمعون الساحر ولا يفحصون عن صفات المندوب الى الاسقفية ولا عن اهليته انما جلّ بحثهم عن كمية الدراهم وصفاتها فضلاً عن ان الاساقفة الذين كان يصير ارسالهم الى بلغاريا لا يعرفون اللغة انما همّهم يكون

في جمع الاموال ليتمكنوا من دفع ما يتحملونه من الديون في تحصيل الاسقفيّة اما الروحيات ورياضة الانفس فلا يلتفتون اليها البتة. وحالما يصلون الى بلغاريا ويرتقون الى السدّة الاسقفية تراهم يضمون اليهم مداخيل الاديرة والكنائس ويبيعون المناصب الكنائسية من رئاسة الاديرة وتقليد خدمة الرعايا واستماع الاعترافات ويرسمون كهنة فقراء جهلاء لا يحسنون القراءة ولا الوعظ ولا الاعتراف وكثيرون منهم حبًا بالعجلة يكتفون من الاعتراف بما يأتي به التائب من الاقرار اجمالاً بانه قد ارتكب خطايا مميتة وعرضية فيروج لديهم والحالة هذه سوق الاعتراف والمكاسب. وسكان الجبال هم على اعظم الجهالة حتى ان منهم مَن لا يعرف ان كان الله واحدًا ام ثلاثة

نعم ان للبطاركة والاساقفة اليونانيين بعض مدارس لتعلم المندوبين الى الدرجة الاكليريكيّة الّا انه ليس لهم من ذلك شيء في بلغاريا وسربيا وسورية وغيرها والكهنة في هذه البلاد جهلاء الّا انهم يعلّمونهم شيئًا ليستمروا متقيدين بدرجتهم فلا يتمكنون من الارتقاء الى البطريركيّة او الاسقفيّة او النهوض ممّا هم عليه من الاسر والخضوع الذلّ بشأنهم وبهذا يصدّون الكهنة عن المناصب الشريفة الرابحة مثل رئاسة الاديرة

رووا عن اسقف سوماكو انه يجمع كل سنة زهاء ٢٠٠٠٠٠ قرش من ابرشيته ولا يصرف مع ذلك منها شيئًا على الفقراء او الكهنة المحتاجين. وقد اخبروا عمّا كان يرتكبه بعض الاساقفة من المنكرات ويجمعونه من الدراهم الكثيرة ولا يوجد مع ذلك شيء منها بعد موتهم مع انهم لم يأسسوا مدارس لتعلم الاحداث ولم يعتنوا بتهذيب الكهنة ولم يأتوا بعمل من الاعمال الخيريّة فلا ترى بلغاريا تؤسس مدرسة الّا تولّى عليها الاسقف بحجة تحسين ادارتها بل بالحقيقة لاجل ادخال اللغة اليونانية بدلاً من البلغاريّة وما يقصدون بذلك سوى ملاشاة العصبة البلغاريّة واستعواضها باليونانية. وقد حملهم روح التعصّب على ان احرقوا المكتبة البلغارية في تيرنوفو ملاشاةً لتواريخ بلغاريا وكان الساعي بذات لنيوفيطاس رئيس اساقفة هذه المدينة. وفي سنة ١٨٢٣ قد أخبأ يواكيم اسقف صوفيا كتب البلغاريين الثمينة واباداها كما رواه العلّامة كاينتز في المجلد ٢ وجه ٢٨٦. واما الاساقفة فعوض ان يثقفوا اخلاق الشعب فيغمسونه بما لا مزيد عليه من الجهالة ليتمكنوا من اذلاله فيستمرّ خاضعًا للكنيسة القسطنطينيّة وعليه فانهم يشبهون الرعاة الذين تكلّم عنهم حزقيال النبي ف ٣٤ ع ٣ و ٥ لقوله: انكم تأكلون اللبن وتلبسون الصوف وتذبحون السمين والغنم لا ترعونها.. فاصبحت مشتّتة بلا راعٍ.

وقد قابل البعض منهم البابارات ببطاركتهم فقالوا: ان البابارات لا يرسلون

الى الطوائف الشرقية اساقفة ولا بطاركة لاتينيين انما ينتخبون من بينهم من اشتهر بالقداسة والعلوم فيسمونه اسقفًا وانهم يربّون على نفقتهم اولاد الشرقيين ويرسلونهم بعد ان تعلموا الى اوطانهم ليصيروا كهنة وينشروا المعارف والعلوم وانهم يرسلون مرسلين لا لجمع الدراهم بل لتوزيعها على الفقراء المحتاجين ونشر البشارة الانجيلية فتراهم يتعلمون لغة البلاد التي يحلّون بها ويعظون ويرشدون ويهذّبون الشعب ويربّون الاحداث ويعتنون باقامة مطابع ويوزعون كتبًا جامعة لفوائد شتّى ويقيمون مدارس في المدن والقرى لجمع طبقات الشعب من الاكابر والاصاغر ويشيدون مستشفيات وبيوتًا لليتامى ولا يألون جهدًا من تهذيب الاخلاق وتربية الاحداث الاكليريكيين. فهذا عمل البابارات فما الذي يصنعه البطاركة من كل ذلك فهمّهم في جمع الاموال وغمس الشعب في الجهل والاقتصار على الرخاء في الملابس والمعاش. هذا والاساقفة والكهنة الذين يصحبونهم معهم يقتفون اثرهم في طلب الرفاهية ورغد العيش وجمع الدراهم من غير ان يعتنوا بتربية احدٍ من الاحداث على انه ما من معلّم او معلّمة في بلغاريا الّا وتربي في المدارس الكاثوليكية

فلما بحث البلغاريون ووقفوا على الحقيقة ارتدّوا الى الكثلكة وقد أُقيم عليهم اسقفًا كاثوليكيًا سوكاسكي فصار الهياج عظيمًا في كل بلغاريا وطلب الكثيرون الدخول في حضن الكنيسة الكاثوليكية فاضطربت روسيا من ذلك فارسلت قصّادًا ليدسوا الدسائس لدى الولاة ويغروا الكهنة والشعب وقد مكّنتهم الحيل التي عملوها من ان ارسلوا ليلًا اناسًا الى دار الاسقف سوكاسكي فاقتلعوه وارسلوه بحرًا على بُاخرة روسية الى اوديسا فضعف الحزب الكاثوليكي وخمد نار الارتداد بين البلغاريين. اما الارادة السنية فحبًا بالسلام قد تبلت بانقسام البلغاريين عن البطريرك القسطنطيني فأمرت بان ينتخب البلغاريون شخصًا يلتزم البطريرك ان يرسمه ويقيمه رئيسًا على الكنيسة البلغارية فرفض البطريرك هذا النظام لانه يفقد جمهورًا عظيمًا من رعاياه ومداخيل وافرة لان البلغاريين زهاء ستة ملايين مسيحيين فيما ان اليونان جميعهم لا يبلغ عددهم زهاء ثلاثة ملايين مع اضافة الاروام اليهم بكنيسة الاروام قد انفصلت عن القسطنطينية منذ زمن ليس بيسير. فلما رأى البطريرك القسطنطيني احوال البلغاريين وعظم هياجهم أراد ان يخوّفهم فحرمهم اما البلغاريون فلم يعبأوا بذلك بل حرموا هم انفسهم البطريرك وتمّ الانفصال على هذا المنوال

قد أُقيم اخيرًا الامير اسكندر اميرًا على مقاطعتي بلغاريا فقوّاها هذا الاتحاد

ووطّد مبانيها على ان الامير اسكندر من كونه عارفاً جيداً بنوايا روسيا اي رغبتها في ان تستملك جميع ما يجاورها من الولايات الصغيرة وتضمّ جميع المسيحيين الى الكنيسة الروسية سعى في توطيد اركان بلغاريا وانقاذها من مطامع الروسيين وقد تعهّد ان عند حدوث حرب تضمّ عساكره الى عساكر الدولة العثمانية لمحاربة اعدائها. فهذا التعهد وانضمام قسمي بلغاريا الى واحد لم يوافق مرام الحكومة الروسية الراغبة في بقاء بلغاريا ضعيفة لىمكنها ان تدبر احوالها كما تشاء وعليه فقد كلّف ملك روسية الكولونل ذكاروف في تقويض حكومة الامير اسكندر فاكتسب الكولونل بقوة الدراهم اسقف صوفيا ومائة وستين ضابطاً وعدداً من العساكر والشرفاء وكما تمكنوا من خطف وحبس الاسقف الاول كذلك تمكنوا من الدخول الى بلاط الامير اسكندر وهو راقد فاخذوه واقتادوه الى خارج الاراضي البلغارية. ولكن لمّا علم الشعب والعسكر بذلك هاجوا وماجوا وتتبعوا الامير وردّوه الى سرايته وحبسوا المذنبين. فلمّا عرف ملك روسية برجوعه ارسل يأمره بالخروج والّا ارسل عساكره تدوخ بلاد بلغاريا فأذعن الامير لامره متجنّباً للشر وخوفاً من توقيع شعبه في رزايا الحروب وهذه الاعمال الجائرة قد صارت اشهر من نار على علم تناقلتها جميع جرائد اوربا ✿

فصلٌ

• فيما ادخله اليونان من الخلل في ممارسة سر الاعتراف •

اعلم ان الاكليروس اليوناني لمّا كان على جانب من الجهالة وكان لا يتصل الى الوظائف الكنسيّة الّا بقوة الدراهم حمله الجهل على اجراء العادة في اخذ الاجرة عن الاعترافات التي يسمعها مع ان الكنيسة القديمة اليونانية قد حرّمت ذلك كلّ التحريم لابتعاد الخطاة والحالة هذه عن الاعتراف وتنفيرهم منه. ثم ان حبهم الى زيادة المال قد حملهم على اختصار الاعتراف حتى انهم نسوا مع مرور الزمن ما ينبغي له من الشروط الضرورية ليكون صحيحاً كاملاً وقد كتب من لا ريب في ثقته من المؤرخين عمّا يحدث في ابرشية القسطنطينية وبلغاريا وفي نواحي سالونيكي فقال: اذا اتفق وكان الجمهور غفيراً في بعض الاعياد او الزيارات جمعه الكاهن سوية وسأل علانية هل يندم كلّ منهم على ما فرط منه من الخطايا المميتة والعرضية فاذا اجاب الجمهور بنعم وهبه الحلّة وناوله سرّ الافخارستيا

قد حدث سنة ١٨٦٠ في الناصرة ان كثر جمهور المعترفين حتى تعذر على

الاسقف ان يعترف كلاً بمفرده فقال لهم لا يمكني ان اعرفكم كلكم قبل عيد الفصح فتوبوا من خطاياكم وانا اعطيكم الحلّة . وكان ذلك . وحدث ايضاً في بيت لحم سنة ١٨٨٠ ان كان الكاهن مخاصماً لبعض الشبان لما كانوا عليه من الفساد فأبى ان يعرّفهم فطلبوا الى الاسقف ان يعرفهم فقال لهم اذا عرفتكم من يكفلكم بعدم الرجوع الى سوء السيرة فقال له احد الشبان : انا الكفيل . وكان ذلك فحلّهم الاسقف بدون ان يسمع اعترافهم وأذنهم ان يتقدموا الى التناول وعلى هذا الاسلوب يتمّ اعتراف الفقراء اما الاغنياء فلا لانه محتّم على كلٍ ان يدفع شيئًا من النقود عن خطاياه

ان الكنيسة الكاثوليكية وجميع الكنائس المنفصلة الشرقية تعتقد بضرورة الاعتراف ولم يقع بينهنّ خلاف في هذا الشان . ولكن لا بدّ للاعتراف من شروط لا يتمّ بدونها وقد علّمناها الاباء القديسون وهوذا ملخّصها :

اولاً : ان سرّ الاعتراف مقدّس لا يمكن انتهاكه ولا بوجه من الوجوه حتى ان الكاهن ولو عرض للقتل او الحريق حيًا لا يمكنه ان يفشيه

ثانيًا : من المحتّم على المعترف ان يعترف بجميع خطاياه فان أُخفي خطية واحدة مميتة قصداً او حياء امسى اعترافه باطلاً . فان اتفق ونسي التائب خطيةً فاعترافه يكون صحيحًا الاّ انه يحتم عليه ان يعترف بها في الاعتراف القادم اذا تذكرها والاّ فيرتكب خطيئةً

ثالثًا : من المحتم على التائب ان يورد عدد الخطايا المميتة فان كان متأكداً انه قد ارتكب الخطية الفلانية اربع مرات فعليه ان يقول قد ارتكبتها اربع مرات لا اكثر ولا اقلّ والاّ لم يعترف كالواجب وكان اعترافه نفاقيًا . فان لم يمكنه ان يتذكر عدد الخطايا فيلتزم بعد ايراده ما يتذكره ان يقول : قد ارتكبت الخطية الفلانيّة نحو ١٠ او ٢٠ او ١٠٠ او ١٠٠٠ مرة او اكثر او اقلّ وبهذا يضبط العدد على قدر طاقته ويكون اقراره كافيًا

رابعًا : فاذا كان خطاؤه مؤكداً فعليه ان يقرّ به كمؤكد وان مرتابًا به فكمرتابٍ وتصارى الامر يلزمه ان يقول الحقيقة كما هي لانه يعترف امام الله الذي لا تخفى عليه خافية . فان المعترف بالغًا سن سبع سنين فلا يكفيه ان يقول كنت صغيراً لان الولد في هذا السن يعتبر مدركًا ومميزاً لما يرتكبه من الخطايا

خامسًا : اذا وقع الخطاء مع احد الاقارب الذين لا تحلّ الزيجة بينهم فيلتزم التائب ان يذكر هذا الحادث بدون ان يسمّي الشخص الذي شاركه في الخطية

سادسًا : لا يكفي التائب ان يعترف بجميع خطاياه المميتة انما يلزمه ان يقدم

عليها ويعزم على عدم الرجوع اليها فان لم يعزم على ذلك ولم يقصد الثبات في محبة الله فالله لا يغفر له ولا ينفعه الحلّ شيئًا واذا قبل السرّ فيأثم ايضًا. اما السقوط في الخطيئة ثانيةً فلا يفسد الاعتراف الماضي انما يدلّ على ضعف الطبيعة بل على ضعف الندامة على الخطايا السابقة وضرورة المواظبة على سر التوبة

فيؤخذ ممّا قدمناه ان من يخفي خطيئة مميتة في اعترافه مرة واحدة طول عمره او يقبل حلّةً غير صحيحة او كان غير تائب ولم يقصد عدم الرجوع الى الخطيئة كانت اعترافاته منذ ذاك الوقت كلها باطلة نفاقية لا صحة لها الى الموت. ولا تقل ايها المسيحي اني قد غشيت الكاهن واخذت الحلّة ومضى الامر فقد يمكنك ان تغش الكاهن الّا انك لا تأخذ الحلّة فتبقى كل عمرك في حال الخطاء المميت اذ لا يمكنك ان تغش الله الذي لا تخفى عليه خافية وعليه فمن اخفى خطيةً وكانت بعدها اعترافاته باطلة فلا واسطة له لمعالجة نفسه وتخليصها الّا إعادة اعترافاته السابقة كلها من الوقت الذي أخفى فيه الخطية او كان اعترافه فاسدًا

لا يخفى ما يصير في الكنيسة الكاثوليكيّة من الرياضات المتواترة والاعترافات العامة او السنويّة. اما في الكنيسة اليونانية وسائر الكنائس الشرقية المنفصلة فلا يصير فيها شيء من ذلك ولا يعرفون ماذا تكون هذه الاعترافات العامة والكهنة انفسهم لا يعرفون كيف يتوجب عليهم عمل هذه الرياضات والاعترافات. فتأمل ايها القارئ فيما اوردناه افهل تراه صحيحًا ام كاذبًا فافحص ضميرك كيف كنت تتمّ اعترافاتك الماضية ✿

الفصل الحادي والعشرون

• في التديس بطرس •

اعلم ان السيد المسيح له السجود قد بنى كنيسة واحدة حقيقية وعليه فسائر الكنائس الاخرى انما هي كاذبة قد شيّدها اناس استمالتهم الاغراض النفسانية فوقعوا في مهواة من الاضاليل ولا ننكر انه قد وجد في هذه الكنائس كثير من العلماء وما زالوا مع ذلك متسكعين في دياجي الاضاليل التي هووا فيها فيأخذ الجهلة عن ذلك حجةً يتمسّكون بها في اصرارهم على الغي والضلال وهذا التمسّك باطل افهل يبحث اولئك العلماء عمّا يمكنهم من خلاص انفسهم وهل يبذلون وسعهم عن سلامة ضمير تفتح اعينهم وتمكّنهم من معرفة الكنيسة الحقيقية وكيف يكون ساعيًا في خلاصه من تتجاذبه الاميال وتستهويه الاغراض

النفسانية وتستنهضه الارباح الدنيوية وتخيفه إغاظة الوالدين فمن شاء ان يبحث عن الكنيسة الحقيقية ويسعى في خلاص نفسه حقيقةً يلزمه ان يبحث عن ذلك بخلوص النية وان يكون مستعدًا لان يفقد كل ما يقتنيه اذا احوج الامر اليه وان لا يعبأ بوعد او وعيد وفقًا لما قاله له السجود: بان من يحب اباه او مقتناه اكثر منه فلا يستحقه. وعلاوةً على ذلك فان من يبحث بخلوص النية عن خلاص نفسه فيلزمه فضلاً عن تقدمة الصلوات والابتهالات ان يستعين بنور عقله ويفتش الكتب برصانة لا على طريق العجلة وان يوزن بمعيار عقله قوة الادلة التي يتعمدها غير متعصب ولا متزفض بل يسعى فيها بمكنه من الحصول على الحقيقة فلا يلبث والحالة هذه ان يجدها تلمع امامه بما لا مزيد عليه من الوضوح

ان اخص المسائل التي تفصل الكنائس انما هي هذه: هل أقام السيد المسيح الذي هو الله رئيسًا واحدًا يدبر كنيستهُ ام كل الرسل كانوا متساوين بالسلطان في ذلك. فاذا توضحت هذه المسئلة وتبينت معانيها كان الانفصال حماقة والخلاف فيها عنادًا على انه اذا كان الرئيس واحدًا وهو مقلد كل سلطان في تدبير الكنيسة كان لا بدَّ من الخضوع له بكنيسته والمسيح له المجد لم يخفِ ذلك عنا بل قد اوضحه بما لا يشوبه ادنى شك وهاك بيانه على وجه الايجاز

قد روى متى الرسول ف ١٦ ع ١٣ وما يليه فقال: لما جاء يسوع الى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلاً: من تقول الناس ان ابن البشر هو فقالوا: قوم يقولون انه يوحنا المعمدان واخرون انه ايليا واخرون انه ارميا او واحد من الانبياء. قال لهم يسوع وانتم من تقولون اني هو. اجاب سمعان بطرس قائلاً: انت المسيح ابن الله الحي فاجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا فانه ليس لحم ولا دم كشف لك هذا لكن ابي الذي في السماوات وانا اقول لك انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها وساعطيك مفاتيح ملكوت السماء فكل ما ربطته على الارض يكون مربوطًا في السماوات وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات. لكن قبل ان نأخذ في شرح هذا النص الالهي يلزمنا الانباء ان الكتاب المقدس يسمي السيد المسيح حجرًا او صخرةً كما يتضح من الآيات الآتي ايرادها

قد جاء في اشعيا ف ٢٨ ع ١٦: لذلك قال السيد الرب: ها اني واضع حجرًا في صهيون حجرًا مختارًا رأس زاوية كريمًا اساسًا موثقًا فمن آمن به فلن يتزعزع. وقال ايضًا ف ٨ ع ١٤ و ١٥ ولكنه يكون حجر صدم وصخر عثار لبيتي اسرائيل فيعثر به كثيرون ويسقطون. وقال بولس الرسول: ان هذا الحجر هو المسيح يسوع

لقوله في رسالته الى اهل رومية ف ٩ عـ ٣٣: كما كُتبَ ها اني واضع في صهيون حجر عثار وصخرة شك وكل من يؤمن به لا يُخزى: فالمسيح الذي هو حجر العثار لليهود الغير المؤمنين قد اقام بطرس ليكون موضعه بعد صعوده حجر عثار وصخرة شك لان عليه قد بنى كنيسته وهاك اثبات ذلك

ان السيد المسيح كان متظاهرًا نظير سائر البشر غير معروف انه ابن الله والرسل كانوا صيادين لا إلمام لهم بشيء قبل حلول الروح القدس عليهم فسألهم السيد المسيح ذات يوم من تقولون اني انا فانتصب بطرس وقال: انت المسيح ابن الله الحي. فاجاب المسيح طوبى لك يا سمعان بن يونا. ولماذا قد استحق الطوبى فكأن المسيح قد قال له: لم تقدر يا بطرس من كونك انسانًا ان تعرف اني ابن الله بل ان ابي قد احبك واختارك واعلن لك ذلك: فطوبى لك: وعليه فانا ايضًا احبك ولختارك واقول لك انك تكون عوضي الصخرة التي ابني عليها كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة التي سأبنيها عليك بل تثبت هذه الكنيسة معصومة عن الغلط في امور الايمان والاداب وذلك لاني اعضدها فابواب الجحيم لن تقوى عليها

ثم ان المسيح له المجد لم يغيّر اسم بطرس بدون داعٍ كبير. قال الله لابراهيم ولا يكون اسمك ابرام بعد بل ابراهيم وسببه لاني جعلتك ابًا لجمهور من الامم كما جاء في سفر التكوين ف ١٧ عـ ٥ او ابا الكنيسة القديمة. فولد ابراهيم اسحق ثم وُلِدَ لاسحق ولدان عيسو ويعقوب اما الذي انتخبه الله لان يكون رئيسًا ومدبرًا لامته فقد غيّر اسمه بان قال له: تكوين ف ٣٢ عـ ٢٨: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل اسرائيل لانك اذ ترأست عند الله فعلى الناس ايضًا تستظهر فاذن لم يغيّر الله اسم هولاء الا لداعٍ. وعليه فالمسيح له المجد عندما انتخب الاثني عشر رسولًا فلم يغيّر الا اسم من يكون رئيسًا عليهم وهو بطرس على انه سبحانه لما رآه المرة الاولى قال له (يوحنا ف ١ عـ ٤٢) انت سمعان بن يونا انت تُدعى كيفا الذي معناه الصخرة. ذلك لانه قد اعدّه لان يكون ابًا روحيًا للكنيسة التي سيبنيها. واعتبر انه لم يغيّر اسمه باسم آخر ايًا كان بل قد اعطاه اسمه ذاته لانه معدّ لان يكون نائبه على الارض ومدبرًا لكنيسته

ثم لا يخفى ان السيد المسيح قد بنى كنيسته على بطرس الذي هو الصخرة وعلى خلفائه لانه قال وانا اكون معكم الى انقضاء الدهر فما دامت الكنيسة موجودة فلا بدّ من رسوخها على هذه الصخرة التي بُنيت عليها فكما ان البيت لا يقوم بدون صخر الاساس كذلك الكنيسة لا قيام لها بدون رئيس يدبّرها. وقد

تقدمنا ان المسيح هو الصخرة الاولى التي بُنيت عليها الكنيسة وتحمّل كل امورها وهو له السجود اقام بطرس موضعه وابتنى عليه كنيسته فلزمه والحالة هذه ان يتحمل كل امورها وهو وحده رئيسها . اما قوله هذا فلم يوجّهه الى احد رسله غير بطرس كما انه لم يسلّم الى غيره مفاتيح الملكوت السماوي

قال اشعيا النبي ف ٢٢ عـ ٢٢ و٢٣ قال الرب : واجعل مفتاح بيت داود على كتف الياقيم بن حلقيّا ليفتح فلا يغلق احد ويغلق فلا يفتح احدٌ واركزه وتداً في مكان امين فيكون عرش مجدٍ لبيت ابيه . اي انه يكون رئيساً لشعبه ورئيس احبار كنيسته بدليل جعل المفتاح على كتفه المُشير الى انه قلّده السلطان على بيته يامر وينهى وليس لاحد ان يتعارضه فيما يُبديه لان الله نفسه قد اركزه في مكان امين محصّن لا تزعزعه حِيل المكرة فالمفتاح اذن دليل على السلطان الذي يقلّده متسلّمهُ بان يفتح فلا يغلق احدٌ ويغلق فلا يفتح احدٌ

وقد جاء في رؤيا القديس يوحنا ف ١ عـ ١٣ انه لمّا سمع الصوت الذي كلّمه ونظر في وسط المنائر السبع شبهَ ابن الانسان سقط عند قدميه كالميت فوضع يده اليمنى عليه قائلاً : لا تخف انا الاول والاخر والحيّ وقد كنت ميتاً وها انا حيّ الى دهر الدهور ولي مفاتيح الموت والجحيم . وقد جاء فيه ايضاً ف ٣ عـ ٧ هذا ما يقوله القدوس الحق الذي له مفتاح داود فهو لا محالة السيد المسيح الذي له السلطان المطلق بان يفتح لنا ابواب السماء او يغلقها . ولا يخفى ان تسليم المفاتيح في كلام البشر انما يشير الى تقليد السلطان . أليس ان تسليم مفاتيح المدينة للمنتصر يشير الى تسلطه عليها وخضوعها له . فتسليم المفاتيح اذن دليل على التولي والسلطان

قد سمى السيد المسيح بطرس باسمه الخاصّ اذ دعاه الصخرة وأقامه نائباً له على الارض ولكن ايّ سلطان قد قلّده اياه فهل ليفتح على الارض ويغلق نظير الياقيم لا لعمري انما قلّده ذات السلطان الذي له وجعل على كتفه نفس المفاتيح التي له بان يفتح ويغلق باب السماء لانه أُقامه موضعه بان يربط ويحلّ وكل ما يربطه او يحلّه يكون مربوطاً او محلولاً في السماء . ولم يقيّد له السجود ما قلّده لبطرس من السلطان فالمسيح يثبّت وهو في السماء ما يقرّره بطرس وهو على الارض . فاذا غلط بطرس فيكون المسيح نفسه قد غلط ولكن أيقلّد الاله احداً سلطاناً مطلقاً بان يحلّ ويربط ولا يصونه من الغلط أفلا يريد أفلا يقدر وقد أراد وأقامه نائباً له وهو الاله القدير

قد جاء في بشارة القديس لوقا ف ٢٢ عـ ٣١ و٣٢ : يا سمعان يا سمعان هوذا

الشيطان يسأل ان يغربلكم مثل الحنطة ولكني صلّيت من اجلك لئلّا ينقص ايمانك وانت متى رجعت فثبّت اخوتك. قال له هذا والرسل حاضرون. وقد تنبّى له ايضًا بانه ينكره ثلاث مرّات قبل ان يصيح الديك وقد تمت النبوة في الليلة نفسها لانه لمّا أتى الجمع وقبضوا على يسوع وقادوه الى بيت رئيس الكهنة تشتت الرسل وبقي بطرس يتبعه من بعيد ولمّا الحّوا عليه انه كان مع المسيح انكر ثلاث مرّات فقد أمكن والحالة هذه لرئيس الكنيسة ان يخطئ من قبل الضعف البشري اذ لم يتثبت بعد في نعمته تعالى الآ انه لا يمكنه ان يغلط في امور الايمان من كونه معلّمًا لجميع الكنيسة فان غلطه يجرّ الغلط الى كل الكنيسة فيغلط المسيح نفسه وهو في السماء لانه وعد تقدّس اسمه بانه يثبّت كل ما يقرّره نائبهُ على الارض. ولكن كيف يمكن لرئيس الكنيسة ان يخطئ ولا يمكنه ان يغلط في امور الايمان فالسيد المسيح يفسّر لنا ذلك لقوله: لكني صلّيت من اجلك لئلّا ينقص ايمانك وعليه فقد أمره بان يثبّت اخوته وكيف يمكنه ان يثبتهم لو امكن وقوع الغلط فيما يقرّره. فلو تأملت ايها القاري فيما تقدم علمت ان السيد المسيح لم يصلِّ من اجل بطرس لئلّا يخطئ بل لئلّا يغلط في الايمان لقوله: لئلّا ينقص ايمانك. فلاحظ هنا انه ولو كان جميع الرسل حاضرين لم يقل لهم: اني صليت لاجلكم بل استخص بطرس وقال له وحده: اني صليت من اجلك الخ. ولما كان المسيح قد صلّى من اجل بطرس لئلّا ينقص ايمانه فمن الواضح ان بطرس لم يُعصم بصلاة المسيح الآ عن الغلط في الايمان وعليه فكان يمكنه السقوط في خطيئة غير خطيئة الكفر فكأن المسيح قد قال له: يا سمعان وان أمكن وقوعك في الخطأ فلا مانع وقوعك هذا عصمتك عن الغلط في الايمان فانا لم اسأل أبي لكي اعصمك عن ارتكاب الخطأ بل عن الغلط في الايمان

قد حرّف الابروتستان هذه الآية في التوراة التي طبعوها في بيروت بان قالوا: وانا اطلب من اجلك لكي لا يفنى ايمانك كأن السيد المسيح لم يطلب من اجل بطرس الآ صيانة ايمانه من الفناء وملاشاته فقط لا صيانته من الغلط في امور الايمان. اما التوراة المطبوعة في لندن سنة ١٦٧١ فهذا النص باقٍ فيها على حقيقته وهو انا اطلب (اي صليت) من اجلك لئلا ينقص ايمانك

ان الكتاب المقدس يدعو السيد المسيح دائمًا الراعي والكنيسة يدعوها الحظيرة والخراف والغنم والقطيع كما جاء في حزقيال (ف ٣٤ ع ٢٣) واقيم عليها راعيًا واحدًا ليرعاها. وقال القديس يوحنا (ف ١٠ ع ١٦) وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد وهذا الراعي الواحد الذي أقامه السيد المسيح على رعيته ليرعاها انما هو بطرس

كما جاء في يوحنا البشير (ف ٢١ عـ ١٥) وما يليه: فبعد ان تغدَّوا قال يسوع لسمعان بطرس يا سمعان بن يونا أتحبني اكثر من هولاء قال له نعم يارب انت تعلم اني احبك قال له ارعَ خرافي. قال له ثانيةً يا سمعان بن يونا أتحبني قال له نعم يارب انت تعلم اني احبك قال له ارعَ خرافي. قال له ثالثةً يا سمعان بن يونا أتحبني فحزن بطرس لانه قال له ثالثةً أتحبني فقال له يارب انت تعلم كل شيء وانت تعلم اني احبك فقال له ارعَ غنمي. هذا قاله السيد المسيح الى بطرس قبل صعوده الى السماء

انّا لنعجب كيف يقرأ الواحد هذا القول الالهي ولا يراه يصدع رداء كل شك في اقامة القديس بطرس رئيساً وراعياً لكل الحظيرة والمسيح يقول له اولاً وثانياً ارعَ خرافي ارعَ خرافي ثم اردف قوله بقوله: ارعَ غنمي: وبهذا قد تقلّد بطرس رعاية القطيع كلّه اذ لا يشتمل القطيع الاّ على غنم وخراف. اما الخراف فيراد بها المؤمنون جميعاً واما الغنم فيراد بها الرسل وخلفاءهم الذين يؤدون الحليب السري اي التعليم المسيحي الى المؤمنين من اية رتبة كانوا. ولمّا كان السيد المسيح قد قال لبطرس ارعَ غنمي فمن ذا الذي يتجاسر فينكر كون القديس بطرس وخلفائه قد تسلّطوا على الرسل وخلفائهم الاساقفة كما تسلّطوا على الشعب المسيحي قاطبةً ومن ثمَّ انه يحق له بل يجب عليه ان يعلّم رعية المسيح باسرها اي من دون استثناء احد ولو كان اسقفاً او رئيس اساقفة او بطريركاً

ولا يقل قائل ان السيد المسيح لم يقلّد بطرس الاّ رئاسة شرف لم تسلّطه على الاخرين لان له المجد قد جعل بطرس صخرةً بنى عليها كنيسته والحال ان هذه الرئاسة المبنية عليها الكنيسة لم تكن لها زينة فقط بل اسًّا بل دعامة لا تقوم بدونها الكنيسة ولا يمكن ثباتها فكما ان اساس كل بناء يحمله ويوطّده فكذلك السلطة المعطاة للقديس بطرس تحمل كنيسة المسيح المقدسة وتوطدها ومن ثم هي ضرورية لقيامها وثبوتها. فليس اذن تلك السلطة رئاسة شرف فقط يزدان بها صاحبها انما هي سلطة رسميّة جوهرية الهيئة تعضد الكنيسة وتدعمها بكليتها

هل ترى قد أمكن المسيح له المجد ان يفصح عن مقصده بكلام اوضح من هذا الكلام المورود اعلاه او هل أمكنه ان يصرّح برئاسة بطرس بكلام افصح وأجلى ممّا قاله. ألم يقل ذلك بحضرة جميع الرسل ليعرفوا ان بطرس رئيسهم وان له السلطان المطلق عليهم في سياسة الكنيسة. والكنيسة الكاثوليكيّة ألم تتمسك دائماً بهذا الاعتقاد او هل يمكن فَهْم ما قدمناه من النصوص الالهية كما تفهمه الكنائس المنفصلة بان يسوع قد عنى بذلك المساواة بين الرسل وهو يقول لبطرس ارعَ

خرافي ارعَ خرافي ارعَ غنمي. فان كان لا يؤخذ من هذه النصوص ما يشير الى رئاسة بطرس المطلقة فماذا يكون المراد منها. أفلا يكون كلامًا فارغًا لا معنى له ينبغي حذفه من الكتاب المقدس. ولكن أيتكلم المسيح وكلامه لاطائل تحته. فتاملوا: فرئيس الكنيسة اذن واحد وهو بطرس والكنيسة واحدة وهي الكنيسة البطرسية فكل من كان مسيحيًا ورغب في خلاص نفسه فلا سبيل له اليه خارجًا عنها لان السيد المسيح لم يَبْنِ سواها

من المستحسن ان نوضح ما قدمناه بمشابهة تفصح عما نحن في صدده بان لا بدّ للكنيسة من رئيس واحد منظور: ان السلطان عبد العزيز عندما عزم على السفر الى اوربا قد ارشدته حكمته الى ان لا يوكل موضعه كثيرًا من الباشاوات بل واحداً وهو دونتلو عَلي باشا ومتّعه بسلطة تمكّنه من تدبير امور المملكة مدة غياب عظمته وهكذا يصنع كل ملك او والي عزم على السفر الى غير مملكته او ولايته. والمسيح الذي هو أوفر حكمة من جميع البشر ألم يصنع اقلّه ما تمكّن من عمله الحكمة البشرية. فانه قبل ان يصعد الى السماء جمع رسله وتلامذته ورأس عليهم بطرس وفوّضه سلطانًا مطلقًا بان يدبّر كنيسته الى انقضاء الدهور لا بشخصه فقط بل بخلفائه ايضًا لان الكنيسة لا بدّ من كونها دائمة وحياة بطرس لا تكون دائمة ولم يمكّن الرسل كلهم من ذلك ولم يجعلهم مساوين في الرئاسة. اما هذا فلم يجعل بطرس الصخرة الاولى المبنية عليها الكنيسة بل الثانية كما ان عَلي باشا لم يكن السلطان المعظّم نفسه بل ثانيًا له فيما يتعلّق بتدبير السلطنة

اذا عزم احد السلاطين على سفر الى غير سلطنة فلا بدّ له من ان يقيم نائبًا له يدبّر مهامّ المملكة مدة غيابه فيجمع حاشيته ويقول لهم: قد عزمت على السفر واحبّ قبل سفري ان أقيم احدكم نائبًا لي ليسوس المملكة مدة غيابي وانتم تعلمون اني انا الصخرة التي بنيت عليها المملكة ثم يلتفت الى احدهم قائلاً: انت تكون الصخرة موضعي وعليك ابتني مملكتي مدة غيابي وعلى هامتك ألقي ثقل تدبيرها أفلا يفهم الحاضرون انه يقيمه نائبًا له ثم يعقب قوله هذا بان يقول: لي مفاتيح المملكة فاذا غلقت فلا يفتح احدٌ واذا فتحت فلا يغلق احدٌ ولك انت اعطي هذه المفاتيح فما تربطه يكون مربوطاً وما تحلّه يكون محلولاً وانت ثبّت جميع الولاة والباشاوات واعضدهم ودبّرهم. افلا يفهم الحاضرون ايضاً انه يقيمه نائبًا له بمعزل عنهم ثم يقول انا هو الراعي الحقيقي لكل رعيتي ارعاها واسوسها بكل ما تحتاج اليه والآن اقول لك ارعَ الجميع كبارًا وصغارًا ولا استثني من رعايتك احداً افلا يفهم الحاضرون ايضًا انه يقيمه نائبًا له مطلقًا

يدبّر المملكة مثلما يشاء نظير سيده واذا نهموا كلامه على خلاف ظاهره هل ترى يُعذَرون من ذوي الالباب ام من ذوي الجهل والغباوة. وهل ترى ان الروم والكنائس المنفصلة عن الكنيسة الكاثوليكيّة يحتجون من اقوال السلطان السابق ذكرها ان جميع الوزراء يكونون في غيابه متساوين في السلطة والتدبير وان الوزير الذي خاطبه السلطان وقال له ما تقدم ذكره ليس له سلطة على الوزراء الآخر لا لعمر الله ومع ذلك تراهم يفسرون بمثل هذا التفسير ما قاله السيد المسيح للقديس بطرس حين اقامه رئيسًا على كنيسته وفوّض اليه سياستها وإدارتها نيابة عنه. فتأملوا يا ذوي الالباب والاستقامة ✿

الفصل الثاني والعشرون

• في ان الكنيسة لا بدّ لها من رئيس •

قد اشرنا في الفصل السابع الى ضرورة رئيس منظور للكنيسة الّا ان هذه مسئلة كليّة الاهمية وعليه فقد اقتضى ان نخصّها بايضاحٍ أوفر

اعلم ان الكنيسة جماعة مؤلفة من رؤساء ومرؤسين منظورة كالسراج الوهّاج والمدينة الموضوعة على جَبل فيكن لكلّ ان يميّزها ويعرفها حق المعرفة بمجرد العلامات الاربع التي عزاها اليها قانون المجمع النيقاوي القائل: نؤمن بكنيسةٍ واحدة مقدسة جامعة رسوليّة كما سيأتي بيانه في آخر هذا الكتاب

قد قدمنا في الفصل السابق مقابلة نرجع اليها هنا على غير وجهٍ: فلو قدّرنا ان احد السلاطين عند سفره جمع حاشيته وقال لهم: اني مزمع على السفر وليس في قصدي ان ارجع الى مملكتي وها اني لا اسلّم مملكتي الى وزير واحدٍ مقلّدًا اياه كل ما لي من السلطة بل اني اجعل جميع الولاة كل واحدٍ مقلدًا في ولايته يقضي وينهي ما يشاء وكيفما يشاء. ولكن عند ذلك لمن ترجع الامور عند اختلافها وكيف يمكن لسائر الدول ان تخاطبهم عند وقوع النزاع والتماء انفتن أفهل يتفق جميع الولاة على رأي واحدٍ كلّا لان هذا يفيدد اضرام الحروب وذاك الصلح والسلام. أتخضع العساكر لواحد منهم وتترك الآخرين او تنقسم الى اقسام عدد الولاة فان خضعت لواحدٍ منهم ألا يكون هذا الفائز والآخرون مدحورين وان لم تخضع ألا يلزم كلًّا منهم ان يجهز عساكر على نفقته ويقوم بجميع أودها وعلى فرض ان الولاة تجتمع الى مجلس واحد فمن يمكنه ان يوافق ما بينهم والاغراض متغايرة فكلٌ يحب ان يصنع ما يراد موافقًا لصوالحه فاتفاقهم اذن محال كما انه من المحال ايضًا ان يصلح المجلس بدون قاضٍ يتولى اموره ثم ان

هولاء الولاة لا يمكن لكلٍ منهم ان يتم رئيساً على مجلسه الخاصّ لان ذا أمر يفوق سلطة الوالي وعليه فلا تبقى المملكة واحدة بل تنقسم على عدد الولاة وكل مملكة تصبح مستقلة في جميع امورها فتضرم او تطفئ نار الحرب بحسبما تحتسبه موافقاً لمصالحها. فلا بدّ والحالة هذه من ملكٍ لكل مملكة فان كانت جمهورية فلا بدّ لها من رئيس واحد فان تعددت الروساء تعطلت مصالحها فكما انه لا بدّ لكلِ سفينة من رئيس واحدٍ تخضع له النوتيّة كلهم والّا صدمت السفينة الصخور وتعطلت كذلك لا بدّ لكل بيت من رئيس والّا دام القلق ومال به الى الخراب

يؤخذ من ثم ان الكنيسة من كونها واحدة كان لا بدّ لها من رئيس واحد ليس غير. قد كان في العهد القديم هرون ومن كان من سلالته رئيساً للكنيسة اليهودية كما رسمه الرب الاله لبقاء الوحدة. والسيد المسيح لمّا شاء ان يقي وحدة الكنيسة وايمانها الى منتهى الدهر اقام لها رئيساً واحداً اذ بدونه تمتنع الوحدة وتتلاشى لما يقع من اختلاف الآراء ومن الانشقاق ما بين اعضاء الكنيسة. ولو لم يكن هذا الرئيس معصوماً عن الغلط وهو واحد لما تحتم على الاخرين ان يطيعوه ويؤمنوا بما يقرره بل كان لكلٍ ان يؤمن بما يرشده اليه ضميره ويشير به عليه نور عقلهِ وحينئذٍ تتلاشى الوحدة من الكنيسة والايمان. ثم لو كان السيد المسيح لم يميّز بطرس عن بقية الرسل باقامته اياه رئيساً عاماً على الكنيسة لأمسى الرسل كلهم متساوين في السلطة. ولمّا كانت الاساقفة خلفاء الرسل كانوا ايضاً متساوين بحيث يكون كل منهم مستقلّاً عن الاخرين فيرعى رعيته بمعزل عن بطريرك واسقف آخر وحينئذٍ لا يكون لجسم الكنيسة رأس واحدٌ بل روساء

نسألُ والحالة هذه من يزعم ان الرسل كانوا متساوين قائلين له: يا صاحِ اذا ماتَ احد الاساقفة فمن له الحق ان ينتخب خليفته ومن له بمعزل عن بطريرك او اسقف اخر ان يتفحص عن استحقاقه وحسن سلوكه وآدابه واذا وقع في ارطقة فمن يمكنه ان يحكم عليه بذلك ولا رئيس له. أيرجع الامر عند ذلك الى الملك ولكن ليس للملوك ان ينتخبوا الاساقفة لان السيد المسيح لم يقم الملوك رعاة للكنيسة ولا فوضهم الفحص عن امور الرعاة وعن الايمان فانهم خاضعون للكنيسة نظير سائرِ المؤمنين ولكن على فرض ان الملك اراطيقي او لا ايمان له أيليق ان يرجع الامر اليه. كلّا ثم كلّا. أيرجع الامر اذن الى تقرير الشعب لا لعمري لان الشعب رعيةٍ لا راعٍ وعليهِ ان يطيع لا ان يقضي وينهي بعض المسائل الدينيّة كما صرّح بهِ بولس الرسول في رسالتهِ الى العبرانيين اذ قال:

اطيعوا مدبريكم واخضعوا لهم (ف ١٣ ع ١٧). هل يقول قائل: ان الامر عند ذلك يرجع في روسيا الى السينودس المقدس ولكن السينودس هذا مؤلف من ثمانية اساقفة وهولاء لا يمكنهم ان يحكموا على مئات من الاساقفة ولا على واحد لانهم متساوون لهم في السلطان ثم ان السينودس لم يرسمه السيد المسيح فمن قلّده اذن السلطان بان يحكم على ايمان الاخرين وآدابهم أفيمكن الملك الذي أسسه ان يحكم والحالة هذه على الضمائر ويوجب عليها الطاعة والاذعان. ثم ان هذا السينودس خاضع لرجل عامي يرأسه الملك عليه ويفوضه السلطان المطلق بان يعزل اعضاء المجلس وسائر الاساقفة الاخرين وينفيهم ويردهم الى الحالة الرهبانية ويسجنهم في الاديرة كل حياتهم فالسينودس اذن لا يمكنه ان يحكم في امور الايمان

واذا قال احد ان المجمع المسكوني معصوم عن الغلط وانه وحده يسوس الكنيسة واليه وحده ترجع المسائل سالناه: ألا يلزم والحالة هذه الاساقفة كلهم ان يستمروا مجتمعين في مدينة واحدة ينتظرون ما يَرِد عليهم من المسائل أفلا يبقى الشرّ منتشراً الى ان تجتمع الاساقفة أفلا يمكن ان يتصدّى لهم ما يعيقهم عن الاجتماع. وزد على ذلك ان التئام المجمع المسكوني لا يتم بدون ان يكون للكنيسة رئيس واحد يحق له ان يستدعي الاساقفة الى الاجتماع وان يعيّن موضعه. لعمري لو اراد احد الاساقفة التئام مجمع مسكوني وامر بجمعه ألا يمكن الاخرين ان يصادموه فهو متساوٍ لهم ولا تسلّط له عليهم فان حكم بضرورة التئام المجمع نغيره يناقضه في ذلك اذ قد يمكن لكلٍ ان يرغب في عقده في مدينته ووطنه او لا يرتضي بعقده في المدينة المعيّنة ويلتمس عقده في غيرها والّا لا يحضر المجمع. أفلا ينتج عن ذلك انه لا بدَّ للكنيسة من رئيس اقامه السيد المسيح وقلّده ما خص بتدبير الكنيسة وسياستها

وممّا يؤيد جليًّا ما نحن في صدده وهو وجود رئيس عامّ لكنيسة المسيح ما طرأ على الكنائس المنفصلة كافةً من سوء الاحوال بعد انشقاقها عن الكنيسة الكاثوليكية. فلمّا كانت الكنيسة اليونانيّة لا تعتقد برئيس واحد اقامه السيد المسيح على كنيسته قد أجبرتها القوة الدنيّة كما أجبرت البروتستان ان تخضع لرئيس عامي. فالرئيس في روسية هو نائب الملك وفي الممالك العثمانيّة الوزير الاول ولكل منهما ان يدبر الكنيسة باسم الملك ويقضي وينهي ويخلع ويرقي كما يلوح له. ان الحكومة في القسطنطينية تهب اليونان حرية كاملة في تدبير امورها ولكن اذا طلبوا خلع بطريركهم ولم يرتضِ به الوزير فلا يقدرون على خلعه

بل يضطرون الى تنصيب آخر وقد يؤول بهم الامر الى ان يكون لهم ثلاثة او اربعة بطاركة في وقت واحد اذ لا يقدرون على شيءٍ بدون ارادة الرئيس الذي تقيمه عليهم الحكومة. فالبلغاريون لولا مصادمة الحكومة لانفصلوا عن الكنيسة اليونانية منذ زمان مديد على انهم قد انفصلوا عنها حالما مكّنتهم الفرص من ذلك كما فعل سكان سربيا ومُلداقيا وفالاشيا وجبل الاسود وغيرهم من الشعوب الذين استقلّوا وانفصلوا عن البطريرك القسطنطيني على انهم يعرفون جيداً ان سلطته ليست من السيد المسيح بل من الملوك والسلاطين الذين يولّوه اياها صيانة لوحدة الكنيسة اليونانية في ممالكهم فيجبرهم البطاركة والاساقفة على ان يخضعوا لهم واذا حدث ما بين الشعب والبطريرك ما يشوش الافكار فعلى الرئيس المدَني ان يحلّ المشاكل ويقرّر الوحدة. وبالحقيقة لولا القوة الدنيّة المشار اليها واهتمام اصحابها في حفظ الوحدة بين اعضاء كل كنيسة منفصلة لرأينا في الشرق الشيع اكثر انتشاراً وأوفر شرّاً وفساداً ممّا نشاهدهُ بين الابروتستان فانهم قد انقسموا في مدة ٤٠٠ سنة الى زهاء ٣٠٠٠ شيعة فكيف تكون حالة الكنيسة الروسيّة في مدة ١٠٠٠ سنة لولا الاقتسار الشديد وعليه قِس الكنيسة اليونانيّة لولا القوة الجبرية التي ترغم جميع الاساقفة في الخضوع

اخيراً اننا نطرح على جميع الكنائس المنفصلة عن الكاثوليكيّة سؤالنا هذا البسيط: من اين أخذ بطاركتهم تقدّمهم وتسلطهم على جميع اساقفة بطريركيتهم ورؤساء اساقفتها فاذا كان جميع الرسل وبالتالي الاساقفة متساوين بالسلطة فكيف صار بعضهم بطاركة وتسلطوا على اخوتهم بالاسقفيّة هل أتخذوا لهم هذا التسلّط بمجرد خاطرهم وقوتهم ام تسلّموه من بقية الاساقفة فلو كان اتخاذهم هذا على سبيل الاختلاس لكان بلا ريب أقام الاساقفة الأُخر الحجة عليهم وأبوا الخضوع لهم واذا لم يختلسوه بل تسلّموه من بقيّة الاساقفة فتسلّمهم مستحق كل ملامة لانه مغاير نظام المسيح الذي على قولكم قد جعل كل رسله متساوين ولم يشأ ان يقدّم احدهم على الآخر. فما جوابكم عن سؤالنا هذا. لعمري ان الخليق بكم الخجل والصمت المطلق

فصلٌ

« في ترتيب الكنيسة الكاثوليكيّة »

اعلم ان الكنيسة الكاثوليكية تحتوي على زهاء مائتين وثلاثين مليونًا من الاعضاء من جميع الامم والامصار والطقوس وكلّهم يعتقدون بان السيد المسيح قد اقام

نائبًا له ورئيسًا يدبّر الكنيسة كلها بمعزل عن الملوك وولاة هذا العالم وان لا بدَّ من دوام سلطانه بحيث ليس للملوك ان يجعلوا بطريركًا او اسقفًا في تدبيرها الى انقضاء الدهور وهذه الرئاسة انما هي متنقلة خلفًا عن سلَف في شخص اساقفة رومة خلفاء القديس بطرس وهم يعتقدون ايضًا ان المسيح له المجد قد أقام احدَ عشر رسولاً متساوين في الرسالة لا الرئاسة. اما اسماء البطاركة والجثالقة ورؤساء الأساقفة فالقاب شرف هي يمكن للبابا ان ينتزعها ويهبها عملاً بما قلّده السيد المسيح من السلطان المطلق بان يرعى الخراف والغنم سويةً ويثبّت اخوته وهذه الالقاب يهبها البابا تسهيلاً لادارة الكنيسة ونفعها. واما الكرادلة فهم نوّاب اكليروس رومة ينتخبهم البابا ليعاونوه على تدبير الكنيسة الكاثوليكية المنتشرة في اقطار العالم طرًّا وعددهم لا يتجاوز اثنين وسبعين على قدر عدد التلاميذ الذين ارسلهم المخلّص للتبشير. فعند وفاة الحبر الاعظم يجتمع الكرادلة في دار فيقفلون الابواب لقطع كل اشتراكات مع الخارج فيتمّ الانتخاب بحريّة تامّة وذلك بعد تقدمة الصلوات والابتهالات في كنائس رومة كلها وعقد المشورات ما بينهم. ويتمّ انتخاب البابا باكثرية تتجاوز الثلاثين

قد انتخب المسيح رسله فلبطرس ذاته من بعده ان ينتخب الاساقفة خلفاءهم الاّ انه يهب احيانًا هذا الاذن بانتخاب الاساقفة الى البطاركة والجثالقة ويأذن للملوك في ان يقدموا ثلاثة من الكهنة الذين فيهم اللياقة والاهليّة فيختار البابا احدهم اسقفًا وهو مع ذلك مخيَّر في ان يقبلهم او يرفضهم ويرسم غيرهم لان سلطانه مُطلق ☆

الفصل الثالث والعشرون

• في حلّ الاعتراضات التي يقترحها الخصوم ضد رئاسة القديس بطرس •

قد بذل الاراطقة كل ما في وسعهم نما يمكّنهم من انكار رئاسة القديس بطرس واقامته رأسًا للكنيسة كلها فأتوا بما امكنهم من الاعتراضات مما تخيّل لهم انها تثبت ان المسيح له السجود قد أقام الاثني عشر رسولاً متساوين في السلطان ونحن نذكر اخصّ ما أتوا به من الاعتراضات مفنّدين ما فيها من الاضاليل بما يصدع رداء كل شكّ وارتياب

يقولون اولاً: ان السيد المسيح لمّا قال لبطرس انت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي قد عنى بذلك ذاته لان الكتاب المقدس انما يسمّي المسيح بالصخرة

والجواب: ان المسيح لو شاء ان يعني ذاته بقوله هذا لقال: انا هو الصخرة

مع انه قال انت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي فلو لم يكن عانيًا لبطرس بذلك لما ذكر الضمير (أنتَ) وأعقبه باسم الاشارة (هذه) الدالّة وجوبًا على الصخرة. ولو شاء ان يعني ذاته منتقلاً من بطرس الى نفسه لكان يلزمه ان يستدرك ذلك بان يقول مثلاً: انت الصخرة يا بطرس ولكني ابني كنيستي على ذاتي. ثم ألم يرفع كلّ شبهة بما اعقبه لقوله: ولك اعطي مفاتيح السماء فلو لم يكن عانيًا بطرس بقوله المذكور لماذا اعطاه مفاتيح السماء وقلّده سلطان الحلّ والربط

يقولون ثانيًا: ان المسيح لمّا قال لبطرس: انت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي قد أشار بيده الى ذاته بانه سيبنيها على نفسه

والجواب: كيف يسوغ لنا ان نستنتج انه عند قوله له المجد أشار بيده الى ذاته ولم يُذكر ذلك في الانجيل ولا تدلّ عليه القرائن البتة. ثم يا ترى ما الداعي لقول المسيح لبطرس: انت الصخرة: ان لم يكن هذا القول متصلاً بما يَليه: حقًا انه لا داعي له ولا طائل تحته بل انه كلام زائد وفي غير محلّه. اخيرًا قل لنا بإصاح لماذا قد سلّم المسيح الى بطرس مفاتيح الملكوت ان لم يَبنِ كنيسته عليه كالبناء على صخرة غير متزعزعة أليست الكنيسة باب السماء الوحيد ومفاتيح هذا الباب في يد بطرس أَوَلم يفرز المسيح بطرس عن كل الرسل بمثل هذه الهبة النفيسة العجيبة التي لا توصف. فلا تبهم والحالة هذه ما هو واضح كنارٍ على علم ولا تحجب الحق ببرقع الزور والافك

يقولون ثالثًا: ان السيد المسيح قد عنى ببنائه الكنيسة على بطرس انه بناها على ايمان بطرس وعلى اعترافه بالوهيّته

والجواب: ان المسيح لم يقل ان ايمانك يا بطرس واعترافك صخرة ابني عليهما كنيستي بل انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي فعليه اذن قد بنى كنيسته. ولم يقل له السجود: لايمانك اعطي مفاتيح الملكوت بل لك اعطي. فقد قال له المجد انه يبني كنيسته على بطرس بسبب ايمانه واعترافه وانتخاب الآب اياه اذ قد أوحى اليه ان المسيح يسوع هو ابن الله الحي. وما قاله بعض الاباء من ان المسيح قد بنى كنيسته على ايمان بطرس واعترافه معناه: ان الكنيسة المبنية على بطرس انما هي معصومة عن الغلط لان مدبرها ومعلّمها ورئيسها معصوم هو نفسه عن الغلط في امور الايمان والآداب فقد اجمع الاباء القديسون على ان المسيح قد أقام بطرس نائبًا عنه وان خلفاءه يخلفونه في السلطان نفسه وعليه فان بطرس وخلفاءه نائبون على الارض منابَ المسيح بعينه وهم رؤوساؤها المنظورون كما ان المسيح هو رأسها الغير المنظور

يقولون رابعاً: ان المسيح قد سلَّم مفاتيح الكنيسة الى جميع الرسل بالتساوي لقوله: (متى ف ١٨ ع ١٨) الحق اقول لكم ان كل ما ربطتموه على الارض يكون مربوطاً في السماء وكل ما حللتموه على الارض يكون محلولاً في السماء

والجواب: اننا لا ننكر ان جميع الرسل قد حازوا من السيد المسيح سلطان الحلّ والربط بل نقول ان القديس بطرس قد حازه على نوعٍ خاصٍ وممّيز وذلك لان المسيح قد سبق فقال لبطرس وحدَه: انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي... وكل ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماوات الخ (متى ف ١٦ ع ١٨ و ١٩) وكانت هذه العطية جزاء اعتراف بطرس بألوهيّة سيّده وقد صمت ساعتئذٍ الرسل لعلمهم انهم لا يستحقون مثل هذه المجازاة. ثم لما وكَّل المسيح الى بقية الرسل سلطان الحل والربط المفوض اولاً الى بطرس وحدَه لم يكن بطرس غائباً بل حاضراً واتّجه قول المسيح اليه كما اتّجه الى رفقته الرسل وثبّت له ما أُعطي من السلطان فيما قبل. وزد على ذلك ان السيد لم يقل الى الرسل جميعاً: لكم اعطي مفاتيح السماء بل خصَّص هذا القول ببطرس وحدَه فلا شكّ ان سلطان الحل والربط لجارٍ على سلطان المفاتيح مجرى المياه من ينبوعها واذ كان بطرس قد حاز وحدَه المفاتيح فمنه كينبوع قد أُجرى المسيح سلطان الحلّ والربط الى بقية الرسل ومن هنا ينتج عدم استقلال سلطة الاساقفة من سلطة رأس الكنيسة

خلاصة الامر ان السيد المسيح لم يمنح شيئاً الرسل بمعزلٍ عن بطرس بل انه أُعطى بطرس بعض اشياء بمعزلٍ عن بقية الرسل وبها قد ميّز بطرس عنهم وسلّطهُ عليهم

يقولون خامساً: ان بطرس قد أنكر المسيح ففقد والحالة هذه حقّي الرياسة والرسالة ايضاً. اما قول السيد له المجد ثلاث مرات أَتحبني يا بطرس وارعَ خرافي وغنمي انما ينبئ ان السيد المسيح قد شاء ان يرجع اليه حق الرسالة الذي فقده ويجعله مثل رفقاءه الرسل

والجواب: اولاً ان تسعة من الرسل قد خانوا سيدهم الالهي بدليل هجرانهم اياه وفرارهم واختفائهم عندما أتى يهوذا الاسخريوطي مع خدام رؤساء الكهنة ليقبضوا عليه في بستان الزيتون ومع ذلك لا يقال انهم فقدوا حق الرسالة او على الاقل لا يثبت ان المسيح أرجعهم الى هذه الوظيفة بعد ان فقدوها ولان الانجيل لا يدلّ على ذلك. كذلك لا دليل البتة على ان بطرس قد فقد حقّي الرياسة والرسالة بانكاره السيد المسيح وعليهِ فلا اساس ولا دعام للاعتراض

الذي نحن في صدده ومن ثمّ حقّ لنا ان نجيب بالنفي الى ان يثبت المعترضون ونضرب صفحاً عن هذا الاعتراض

ثانياً : انّا نجد في الانجيل خلاف ما يزعم الخصوم وهو ما قاله السيد المسيح لبطرس في العشاء السرّي : سمعان سمعان هوذا الشيطان سأل ان يغربلكم مثل الحنطة لكني صلّيت من اجلك لئلاّ ينقص ايمانك وانت متى رجعتَ فثبّت اخوتك (لوقا ف ٢٢ ع ٣١) . فما ترى الناتج من هذا الخطاب الالهي . انما ينتج ان السيد المسيح مع علمه ان بطرس ازمع ان ينكره ثلاث مرات قد صلّى من اجله لئلاّ ينقص ايمانه واستمدّ له الثبات في الايمان لكيما يتمكن من اثبات اخوته الرسل فيه . فيا له من انعامٍ خطير مذهلٍ فريدٍ لم يحظَ به الاّ بطرس رغماً عن إنكارهِ المستقبل ولم يمكن تخويله الاّ لمن ترأس على الرسل كافةً وعلى الكنيسة كلّها فمن الثابت والحالة هذه والواضح معاً ان القديس بطرس لم يفقد قطعاً حقّي الرياسة والرسالة . ومما يؤيد جوابنا هذا لطيف تصرّف السيد المسيح مع القديس بطرس بعد قيامتهِ من بين الاموات اذ قد ظهر له قبل ظهوره لبقيّة الرسل وللتلميذ الحبيب نفسه الذي رافق بطرس الى القبر . وعند ما تراءى لبطرس لم يذكّره بانكارهِ ولم يبكّته عليه . ثم ما احسن معاملته لبطرس عندما ظهر لبعض التلاميذ على شاطئ بحيرة طبرية اذ التفت اليه وسأله قائلاً : يا سمعان بن يونا أتحبني اكثر من هؤلاء . وأجابه بطرس نعم يارب انت تعلم اني احبك . فلما علم المسيح انه يحبّه قال له في الحال : ارعَ خرافي . وبعد برهة قد كرّر السيد كلامه على بطرس واعاد بطرس جوابه الاول : نعم يارب انت تعلم اني احبك وقال له المسيح ثانيةً : ارعَ خرافي . ولما كان بطرس قد انكر المسيح ثلاث مرار قد سأله المسيح ثالثةً : يا سمعان بن يونا أتحبني فحزن بطرس لانه قال له ثالثةً أتحبني كأنه في ريب من محبته له او كانه هو نفسه مغشوش فيها وعليه قد شدد جوابه وقوّاه بقولهِ : يارب انت تعلم كلّ شيءٍ وتعلم اني احبك فسرّ المسيح من اجوبته لعلمه انها صادقة وقال له ارعَ غنمي اي رسلي وختم كلامه بانباء بطرس انه يموت شهيداً . ألا يتضح من ذلك جميعه ان المسيح كان قد صفح عن انكار بطرس المثلّث ولم ينزع عنه حقّ الرسالة ولا حق الرياسة المنعم عليه بهما

اعلم ان زلّة بطرس قد افادت الكنيسة ولم تضرّ بها البتة لانها تشير الى ان رئيس الكنيسة قد يمكنه ان يقترف الخطأ الاّ انه لا يمكنه ان يغلط او يضلّ في امور الايمان لان الخطأ شخصي وكلّ معرضٌ اليه اما الغلط في الايمان فان السيد

المسيح فقد عصَم بطرس عنه لقولهِ: ارعَ خرافي ارعَ غنمي وانا صلّيت لاجلك لئلا ينقص ايمانك وثبّت اخوتك

يقولون سادساً: ان القديس بطرس لم يجترئ في العشاء الاخير ان يسأل يسوع عمّن يسلمه فأومأ الى القديس يوحنا بان يسأل مَن الذي يقول عنه. فالقديس يوحنا اذن كان اكبر من بطرس وهذا دليل على ان بطرس لم يكن اكبر الرسل

الجواب: كان عادة اليهود ان يأكلوا متكئين على وسادات يمدّونها لذلك فيتكئون على جهة الشمال ويأكلون باليمين فلمّا كان القديس يوحنا متكئاً على صدر المسيح وملاصقاً لهُ والقديس بطرس خلف المسيح اي عن يساره أومأ الى يوحنا بان يستفهم من يسوع عمن ازمع ان يسلّمه فاستند التلميذ الحبيب الى صدر سيده وقال له ربِّ: من هو: اما المسيح فأجابه بصوتٍ منخفض انما هو الذي اغمس لقمةً وأناوله اياها. وقال في هذا الشأن القديس يوحنا فم الذهب ان القديس بطرس قد استلّ سيفه ووثب وحدَه على جمع كبير من اليهود معرّضاً بنفسهِ لمقاومتهم فلو عرف من كان مسلّماً لسيده أما كان وثب عليهِ فقتله او خنقه بيده وهذا كافٍ جواباً لمثل هذا الاعتراض البارد السقيم

يقولون سابعاً: قد جاء في بشارة القديس مرقس (ف ٨ ع ٣٣) ان المسيح قد انتهر بطرس وسمّاه شيطاناً لقولهِ: اذهب خلفي يا شيطان لانك لا تفطن لما لله لكن لما للناس وعليهِ فنقول ان من يدعوهُ المسيح شيطاناً لا يكون رئيساً للكنيسة

الجواب: قد جاء في بشارة القديس متّى (ف ١٧ ع ١٦) ان المسيح دعا تلاميذهُ جيلاً غير مؤمن لقولهِ: ايها الجيل الغير المؤمن الاعوج الى متى اكون معكم وحتى متى احتملكم فكيف تؤمنون اذن بكتاب كتبه رسل جيلٍ اعوج وغير مؤمن

ثم نجيب على وجه الاستقامة: ان معنى اللفظة العبرانيّة (سطان) التي ترجمتُها شيطان بالعربيّة انما هو نقيض ومضادّ. وقد لاقَ هذا اللقب ببطرس حينما حاول ان يخالف قول السيد المسيح المنبئ انه ينبغي ان يمضي الى اورشليم ويتألم كثيراً ويُقتَل فبدأ بطرس ينتهرهُ ويزجر سيّده قائلاً: حاشى لك يارب لا يكون لك هذا كأنّ بطرس لم يرتضِ ان يتألم المسيح ويموت ويفتدي بالامه وموته الجنس البشري او كأنه قد رغب في ان يتم الافتداء بطريقةٍ اخرى خلافاً لما كان تقرّر منذ الازل في المشورة الالهيّة وقد اشار المسيح الى ذلك بقولهِ لبطرس: قد صرتَ لي شكّاً اي منعاً واعاقةً عن اتمام ما قد جئتُ من اجله وتحملته

حبًّا بالبشر وتمجيداً لابي ثم بقوله التالي: لانك لا تفطن لما لله بل لما للناس وهذا دالّ على ان افكار بطرس لم تزل الى ذاك الحين بشريّة ارضيّة لا الهيّة وسماويّة كافكار المسيح الذي لم يكن يطلب على الارض ما لراحته وانشراحه الطبيعيين بل لخلاص الانفس ومرضاة الله

يقولون ثامناً قد جاء في بشارة متى ان بطرس لمّا نزل من السفينة ومشى على المياه آتياً الى يسوع اشتدت الريح فخاف بطرس واذ بدأ يغرق صاح يارب نجّني فمدّ يسوع يدَه واخذه قائلاً: يا قليل الايمان لماذا شككت فكيف يكون اذن بطرس معصوماً عن الغلط في الايمان والمسيح نفسه يقول بانه قليل الايمان

الجواب: ان الرسل قبل حلول الروح القدس كانوا جهلاء وقليلي الايمان غير ان هذه الحادثة لا تؤذن بان بطرس كان اقلّ ايماناً من الاخرين بل انه اشدّ واقوى ايماناً منهم اجمعين لانه وحدَه نزل من السفينة على المياه آتياً الى سيده اما باقي الرسل فلبثوا في السفينة

يقولون تاسعاً: ان القديس بطرس كان ارفع منزلةً بين الرسل لانه كان أكبر سنًّا وأوّل من تبع السيد المسيح

الجواب: ان القديس يوحنا قد ذكر في بشارته (ف ١ ع ٤٠ و ٤١) خلاف ما يأتون به على انه قد صرّح بان اندراوس كان اول من تبع السيد المسيح لقوله: وكان اندراوس اخو بطرس واحداً من الاثنين اللذين سمعا يوحنا وتبع يسوع فوجد اولاً سمعان اخاه وقال له قد وجدنا ماشيحا الذي تأويلهُ المسيح وجاء به الى يسوع فنظر اليه المسيح وقال: انت سمعان بن يونا انت تُدعى كيفا الذي تفسيره الصخرة فيكون اندراوس قد قاد اخاه بطرس الى يسوع الذي حالما رآه غيّر اسمه ولقّبه بالصخرة . اما كون بطرس اكبر سنًّا من باقي الرسل فلم نجد له ذكراً في رواية مما رواه الاباء القديسون الّا اننا نرى فيما رواه القديس أبيفانيوس ان القديس اندراوس كان أكبر سنًّا والقديس يوحنا اصغرهم وعلى كل حال ولو فرض ان القديس بطرس كان اكبر سنًّا من باقي الرسل لم يكن سنّه داعياً كافياً لان يفضّله السيد المسيح ويقدّمه على بقيّة الرسل لانهُ له المجد لم يفتقر الى رجلٍ مسنٍّ ذي خبرةٍ ورزانة لتحسين سياسة كنيسته المدبّرة دواماً من روح القدس. ولنا في هذا الشان مثل الملك داود الذي كان اصغر اخوته شابّاً ومع ذلك قد سلّطه الله على شعب اسرائيل بدلاً من شاول الملك فلا ريب اذن في ان امر السنّ لا اعتبار له ولا اهميّة عند الله

يقولون عاشراً: قد ورد في رسالة القديس بولس الى اهل غلاطية (٢ : ١١)

ما نصّه فلمّا قدم كيفا الى انطاكية قاومته مواجهةً لانه كان ملوماً وعليه فنقول: لو كان بطرس رئيس الرسل لمّا قاومه بولس والحال انه قاومه مواجهةً فاذن لم يكن بطرس رئيس الرسل

الجواب: اولاً: اذا استدل المعترضون من مقاومة بولس لبطرس ان بطرس لم يكن رئيساً للرسل قد ساغ لنا بحق متساو الاستدلال من هذه المقاومة ان القديس بولس كان يفوق القديس بطرس ومن ثم بقية الرسل الامر الذي لا يسلّم به المعترضون لزعمهم ان جميع الرسل متساوون

ثانيًا: ان المرؤوس يحق له احيانًا ان ينصح رئيسه اذ من المحتمل ان الرئيس يَرى او يجري ما لا يوافق من الامور السياسيّة بان يتساهل مثلاً او يتشدد باكثر مما ينبغي وعليه فقد يقاوم الابن أباه والكاهن اسقفه بل الخادم مولاه ولا يؤخذ من ذلك ان الاب ليس اكبر من ابنه والاسقف من كاهنه والمولى من خادمه فبناء عليه نقول: ان القديس بطرس مع كونه رئيس الكنيسة ومعصوماً عن الغلط فيما يتعلق بالايمان والاداب ومثبّتًا في النعمة منذ حلول الروح القدس عليه يوم العنصرة لم يكن مع ذلك منزّهًا عن كل زلة بل عن كل خطيئة طفيفة ولذا قد اقرّ القديس اغوسطينوس وغيره من علماء الكنيسة بان القديس بطرس قد تساهل تساهلاً منحرفًا مع اليهود وقد أجرى في انطاكية ما كان مشيراً الى ان الوثنيين المعتنقين الايمان المسيحي ملتزمون بحفظ الشريعة الموسويّة علاوةً على المسيحيّة اقلّه فيما خُصّ بتمييز الاطعمة ولا ريب ان تساهل القديس بطرس مع اليهود ومراعاته لاوهامهم كان عن سلامة الضمير وحذراً من ان يشككهم مع انه لم يحذر من تشكيك الوثنيين المرتدّين. وعليه فقد حقّ للقديس بولس رسول الامم الخاصّ ان يذم تساهل القديس بطرس مع اليهود وانما طرح اللوم على القديس بطرس لعلمه وتيقّنه انه اذا عدل بطرس عن تساهله لحذا الجميع حذوه احتراماً لسامي سلطانه. قال القديس غريغوريوس في هذا الشان: قد صَمَت (عند ذلك) بطرس ليكون اولاً في الاتضاع كما كان اولاً في الرسالة

هذا فضلاً عن ان القديس بولس لم ينتج من مقاومته للقديس بطرس ما نتّجه منه المعترضون اذ قد اعتبر دائمًا القديس بطرس رئيساً للرسل والكنيسة وتصرّف معه دائمًا تصرّف المرؤوس مع رئيسه كما يتضح خصوصاً من الرسالة نفسها (١ : ١٨) وهو اني انطلقت الى اورشليم لازور بطرس فأقمت عنده خمسة عشر يوماً ولم أرَ غيرهُ من الرسل سوى يعقوب اخي الرب (الذي كان اسقف

اورشليم) فاجمع الاباء القديسون على ان بولس قد زار اولاً بطرس واقام عنده لانه عرفه رئيس الرسل وإمامهم واستلزم إخضاع تعليمه وتبشيره له ليعدّه جميع الرسل معاونًا لهم وشريك العمل في الانذار بالانجيل

يقولون حادي عشراً: قد جاء في اعمال الرسل (ف ٨ ع ١٤) ولمّا سمع الرسل الذين في اورشليم ان اهل السامرة قد قبلوا كلمة الله ارسلوا اليهم بطرس ويوحنا ولكن لا يرسل المرؤوسون الرؤساء فبطرس لم يكن رئيسًا على الرسل

الجواب: اذا كان الرسل كما تتوهمون كلهم متساوون فليس للمتساوي لغيره ان يرسله عن امره فلم يرسل الرسل القديسون بطرس ويوحنا الّا لانهم اقنعوهما في ذلك فلو قال اهل عائلة: قد ارسلنا ابانا واخانا الاكبر لكي يلجزا الدعوى التي لنا مع فلان فهل يبطل الاب ان يكون رئيس عائلته

اعلم ان الشعب الاسرائيلي كان منقسماً الى اثني عشر سبطًا والسامرة كانت عاصمة لعشرة اسباط وعليه فكان ارتدادها من اهمّ امور الكنيسة وكان المأمول ان نموذج اهل السامرة يجرّ وراءهُ الاسباط كافةً فلما بلغ الرسل المقيمين في اورشليم ما قد حدث فيها من الارتداد تشاوروا ما بينهم فاطبق رأيهم على ان يرسلوا القديس بطرس فيفرح المرتدون من ان رئيس الرسل عينه قد تنازل واتى بنفسه ليثبتهم وانه يستصحب معه الرسول الحبيب فذهب والحالة هذه القديس بطرس وثبّتهم ووهبهم الروح القدس فليس في ذلك ما يدلّ على ان بطرس لم يكن رئيس الرسل

يقولون ثاني عشر: لو كان بطرس بالحقيقة رئيسًا للرسل لاستعمل سلطانه بعد صعود السيد المسيح والحال انه لم يستعمله فاذن ليس رئيسًا عليهم

الجواب: ان الروح القدس لم يحلّ على الرسل حالما صعد السيد المسيح الى السماء ومع ذلك قد استعمل سلطانه في انتخاب من يكون عوض يهوذا فقرّر عندما اجتمع الرسل من غير ان يستشيرهم انه لا بدَّ من انتخاب شخص يكون عوض يهوذا فاخذ والحالة هذه في مباشرة الرياسة التي قلّده اياها السيد المسيح على الكنيسة . قال القديس يوحنا فم الذهب: لم يستبدّ بطرس بانتخابه بل ألقى الحكم الى جمهور الرسل تنازلاً منه وتوصلاً الى زيادة قبول الرسل الرسول الحديث ما بينهم كما جاء في اعمال الرسل ف ١ ع ١٣ وما يليه . لكن حالما قبل الرسل الروح القدس ظهر بطرس امام الشعب ووعظ وردَّ ثلاثة آلاف رجل كما جاء في الاعمال ف ٢ ع ١٤ فقام بطرس مع الاحد عشر ورفع صوته وخاطبهم . وقال القديس يوحنا فم الذهب: ان الكتاب المقدس قد اشار بقوله:

قام بطرس الخ الى ان بطرس هو القائد والاحد عشر جنوده فتقدم بطرس امامهم وتبعه الآخرون ولم يكن لكلٍ منهم ان يتكلّم لان رئيسهم حاضر فله وحده ان يتكلّم اما الآخرون فيثبتون قوله بحضورهم

قد عُرض في اوائل الكنيسة مسئلتان لهما اهمية كبيرة وهما مسئلة تعميد الوثنيين وحفظ الشريعة الموسويّة والقديس بطرس قد حسم المسئلتين بمعزل من سائر الرسل فتبعوه :

الاولى : قد اعتقد المسيحيّون في بدء الكنيسة بان العماد ينبغي اقتصاره على اليهود وحدهم لانهم وحدهم سلالة ابراهيم وكان عدد اليهود اذ ذاك زهاء سبعة او ثمانية ملايين وباقي العالم عبادته وثنيّة. فحسم بطرس هذه المسئلة بتعميده كرنيليوس القائد وعائلته كما جاء في الاعمال ف ١٠ وما يليه. فتبعه عند ذلك سائر الرسل. وان قلت ان السيد المسيح قد أوصى لبطرس ان يصلح ذلك قلنا واعتقادنا انه له المجد يرشد كنيسته فيما تصنعه ويعصم نائبه عن الخطاء فيما يصنع لانه سبحانه وعد انه يكون مع الكنيسة ورأسها دائمًا الى منتهى الدهر. وملعون من يتكل على الانسان ويثق بمشوراته فيما يختص بالله سبحانه

والثانية : قد توهّم بعض المسيحيين بان لا بدَّ من تعميد المسيحي واختتانه معًا لاعتقادهم بضرورة الشريعتَين المسيحية والموسويّة لان كلتيهما من الله. فحسم بطرس هذه المسئلة هو والجمع الذي التئم حينئذٍ وترأسه بطرس. ولا تقل ان القديس يعقوب ترأس على المجمع لانك اذا قرأت الفصل الخامس عشر من الاعمال علمتَ ان بعد ان جرت مباحثة كبيرة بين التلاميذ بخصوص حفظ الشريعة الموسويّة واقتضائها للخلاص قام بطرس وأبان ان الله سبحانه قد فوّضه انذار الامم لقوله ع ٧ : انكم تعلمون ايها الاخوة انه من الايام الاولى اختار الله من بيننا ان الامم من فمي يسمعون كلمة الانجيل فيؤمنون ولم يفرق بشيء بيننا وبينهم اذ طهّر بالايمان قلوبهم. فاذعن التلاميذ لقوله وسكتت الجماعة كلها وشرعت تسمع لبرنابا وبولس وهما يشرحان جميع ما أجرى الله على ايديهما من الآيات والعجائب في الامم ويعقوب لم يتكلّم الاّ بعد ان سكتا. ومع ذلك يقول بعض الجهلة ان يعقوب انما كان هو الرئيس لانه قال : ولذلك احكم بالاّ يُثَقّل على من يرجع الى الله من الامم. ولا يفقهون ان لكلٍ في المجالس القضائية الحق في الحكم وابرازه كما هو جارٍ في المجامع العامة وفي المجالس الدنيّة نفسها على ان كلًّا من الاعضاء له صوت الحكم اما القاضي فله الحكم الاخير والتقرير النهائي. فلمّا كانت المباحثة كثيرة وكان كلٌّ يأتي برأيه قام القديس يعقوب وكشف

عن رأيه مثبتًا من الكتاب ما كان قرّرهُ القديس بطرس في بادي الامر وعليهِ فلا يكون القديس يعقوب هو الرئيس لهذا المجلس. ولمّا تمّ ذلك اختاروا اثنين من الاخوة وارسلوهما الى انطاكية مع بولس وبرنابا ليثبتوا الاخوة ويخبروا بما قرّره الرسل بمعية رئيسهم القديس بطرس. ومما يجدر ان يُراعَى هنا ان المجامع انما يدبّرها الروح القدس كما جاء في الفصل نفسه عـ ٢٨ حيث قيل قد رأى الروح القدس ونحن الا نضع عليكم ثقلًا فوق هذه الاشياء التي لا بدَّ منها

يقولون ثالث عشر: ان القديس بطرس يخاطب الكهنة لقوله في رسالته الاولى فـ ٢ عـ ٩ : اما انتم فجيل مختار وكهنوت ملوكيّ فبطرس اذن كاهن نظير الاخرين

الجواب: نميّز: كان بطرس كاهنًا. نعم كان ونسلم فيه. لم يكن الّا كاهنًا. مُنكر لانه كان عظيم الكهنة وحائزًا الدرجة الأعلى من الكهنوت بعد السيّد المسيح وعليه فكان رئيس الرسل انفسهم

ولكن ما لنا وقول بطرس هذا اذ انه متجه لا الى الكهنة كما توهم المعترضون جهلًا بل الى شمل المؤمنين من غير استثناء وهذا امرٌ واضح لكل من يطالع فصل رسالة القديس بطرس المشار اليه ويفهم ما يقرأهُ فقد ضلَّ والحالة هذه المعترضون كلّ الضلال فيما استنتجوه من تلك الآية ضد رياسة القديس بطرس

وقد ضلّوا ايضًا في تركيب برهانهم لانه ولو فرضنا ان بطرس خاطب حينئذٍ الكهنة لما نتج من كلامه ان بطرس ليس برئيس الرسل والكنيسة بل لنتج انه كان كاهنًا نظير الاخرين اذ انه لم يكن يتكلم عن نفسه بل عن الكهنة كما زعم المعترضون ولا يحق لنا ان نفهم عنه ما قد قاله عن غيره: ان اعتراضهم هذا يرجع بحصر الكلام الى هذا القياس: انتم كهنوت ملوكي فاذن انا لست رئيس الكنيسة بل كاهن نظيركم. فمن الذي لا يعقل فساد مثل هذه النتيجة.

يقولون رابع عشر: قد جاء في رؤيا القديس يوحنا فـ ٢١ عـ ١٤ ان الرسل الاثني عشر اساس الكنيسة لقوله: وسور المدينة اثنا عشر اساسًا فيها اسماء رسل الحمَل الاثني عشر فالقديس بطرس اذن هو اساس ورسول نظير سائر الرسل

الجواب: ان القديس يوحنا يتكلم هنا عن اورشليم السماوية لا عن الارضيّة فقال ان اساساتها هم الاثنا عشر رسولًا لانهم ابتنوها وشادوها في العالم كله بالوعظ والتبشير وسفك دمائهم وهم والحالة هذه متساوون بالرسالة لا بالرياسة لان المسيح له السجود قد قلّد بطرس وحدَه رعاية غنمه وخرافه وعليه فكان القديس بطرس رسولًا ورئيسًا معًا. فان الباشا الذي يُقيمه السلطان نائبًا عنه عند غيابه يكون باشا ورئيسًا لسائر الباشاوات

يقولون خامس عشر: قد جاء في رسالة القديس بولس الى اهل كولسي (ف ١ ع ١٨) ان المسيح هو رأس جسد الكنيسة. فان كان بطرس هو رأس للكنيسة ايضًا فيكون لها رأسان وهذا باطل

الجواب: ان القديس بولس قد عنى بالرأس الرئيس. والكنيسة ليس لها سوى رأس واحد اصلي وهو المسيح. الا ان المسيح غير منظور ولمّا كان جسد الكنيسة منظورًا كان لا بدّ له من رأس منظور اما هذا الرأس المنظور فهو لا محالة القديس بطرس نائب يسوع المسيح على الارض والمتسلّم منه رعاية خرافه وغنمه اي كنيسته والمكلّف باثبات اخوته. ولا تناقض في ذلك لان الرئيس المنظور خاضع للرئيس الغير المنظور وقائم مقامه على الارض كما يقوم نائب السلطان العام مقام مولاه عند غيابه ولا يزال مع ذلك مولاه السلطان الحقيقي الاصلي ✿

الفصل الرابع والعشرون

• في رياسة القديس بطرس والمباشرة بموجبها •

اعلم ان كل من تصفح الكتاب المقدس وطالع حياة القديس بطرس من اول دعوته الى اخر حياته قبل صعود الرب وبعده يرى بما يصدع رداء كل شكٍ ان لبطرس الاوليّة والتقدّم على سائر الرسل في كل ما أبدوه من الاعمال والتعاليم

اولاً: قد غير السيد المسيح اسم بطرس وسمّاه صخرةً

ثانيًا: قد وعده بانه سبحانه يبني عليه كنيسته

ثالثًا: قد سلّمه مفاتيح الملكوت وقلّده سلطانًا مطلقًا بان كلّ ما يحلّه او يربطه على الارض يكون محلولاً او مربوطًا في السماء

رابعًا: انه له المجد صلّى لاجلهِ وحده لئلا ينقص ايمانه وسلّطه على سائر الرسل عندما قال له: ارعَ غنمي وابّد قوله هذا بقولهِ: ثبّت اخوتك واعلن بذلك ثبات ايمانهِ

خامسًا: قد اقامه قبل صعودهِ راعياً على خرافهِ وغنمهِ وقد تقدمنا ببيان ذلك في الفصل الثاني والعشرين وذكرنا النصوص الالهية فيه

سادسًا: ان السيد المسيح ما فتئ يعامل بطرس معاملة رئيس وبطرس يجيب عن نفسه وعن سائر الرسل. ذلك في جميع المواقع التي ذكرها الانجيليون: منها ان المسيح عند صيد السمك العجيب آمر بطرس بان يلقي الشبكة لانه رئيس الاخرين: ثم لمّا فرغ من الكلام قال لسمعان تقدم الى العمق والقوا شباككم

للصيد ولم يكن ذلك الّا رمزاً لما يصنعه بطرس في صيده للناس لانهم لمّا فعلوا بما امرهم به المسيح واصابوا من السمك شيئًا كثيرًا قد اعترى بطرس الانذهال فقال: اخرج عني يارب لاني رجل خاطئ. فقال له يسوع لا تخف يا سمعان فانك من الان تكون صائداً للناس: قال هذه والرسل حاضرون. منها ايضًا ان يسوع ادى الجزية عن نفسه ومن بطرس فقط ولم يلتفت الى الرسل الاخرين عندما طولب بالجزية لقيصر وقال له: ان امض الى البحر والق الصنّارة فاول حوت تصطاده افتح فاه تجد فيه اصطاتيراً فخذها واعطها عني وعنك. وقد اخبره ايضًا عن موته ومات بطرس مصلوبًا نظير سيده. منها ايضًا ان المسيح ظهر لبطرس اولًا ثم لسائر الرسل كما جاء في رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنثس ف ١٥ ع ٥ وانه تراءى لكيفا ثم للاحد عشر. وفي بشارة القديس لوقا ف ٢٤ ع ٣٤ يقول الرسل: لقد قام الرب بالحقيقة وتراءى لسمعان. منها: انه له السجود لما كان لا يأخذ معه جميع الرسل بل اثنين او ثلاثة كان يختص بطرس دائمًا بان يستصحبه معه كما فعل ذلك عند تجلّيه على جبل تابور وعند اختلائه في جبل الزيتون وعرقه دمًا وفي ظروف اخرى كثيرة

سابعًا: انه من المترتب على الانسان ان يجاوب عن نفسه. اما اذا كان رئيسًا فعن نفسه وعن مرؤوسيه. وهذا ما كان يصنعه القديس بطرس فانه كان يتكلم عن نفسه وعن سائر الرسل. فلما ارتبك الرسل في امر ما يدخل ويخرج من الفم من الاكل اجاب بطرس وقال له فسّر لنا هذا المثل كما جاء في انجيل متى ف ١٥ ع ١٥ ولمّا تجلّى الرب على الجبل وتراءى لهم موسى وايليا اجاب بطرس وقال ليسوع يارب حسن لنا ان نكون ههنا كما اورده متى الرسول ف ١٧ ع ٤ ولمّا تلذهم يسوع سلطان الحلّ والربط دنا اليه بطرس وقال له يارب كم مرّة يخطأ اليّ اخي فاغفر له. ولمّا تعجب الرسل من قول المسيح ان دخول الجمل في خرم الابرة لاسهل من دخول الغني في ملكوت الله وقال لهم يسوع ان عند الله كل شيء مستطاع اجاب بطرس بلسان الجميع: هوذا نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك كما ذكره البشير متي ف ١٩ ع ٢٧. وقد جاء في بشارة القديس يوحنا ف ٦ ع ٦٩ ان المسيح عندما سأل الرسل العلكم انتم ايضًا تريدون ان تمضوا نظير الاخرين الذين لا يؤمنون فيّ: فاجاب بطرس بلسان الجميع: يارب الى مَن نذهب فان كلام الحياة الابدية هو عندك

ثامنًا: ان من نظام الهيئة المرتّبة ان يذكر رئيسها واما باقي اعضائها فيصير ذكرهم بالاجمال كما يقال: ان السلطان ووزراءه قد قرّروا كذا. ورئيس السفينة

ونوتيقته والقاضي وسائر اعضاء المجلس. وعليهِ فاننا نرى ذكر اسم بطرس مشخصاً اما سائر الرسل فذكرهم بالاجمال وذلك في عدة مواضع: منها لمّا ظهر الملاك للنساء اللواتي ذهبنَ ينظرنَ القبر فقال لهنَّ (مرقس ف ١٦ ع ٧) اذهبنَ وقلنَ لتلاميذهِ ولبطرس: ومنها لمّا تحيَّر الجمهور في اورشليم من تكلم الرسل جميع اللغات فقام بطرس مع الاحد عشر ورفع صوته وخاطبهم. اعمال ف ٢ ع ١٤. وفي ف ٥ ع ٢٩ عندما نهاهم مجلس اليهود عن التعليم فاجاب بطرس والرسل وقالوا: بان الله احق من الناس بان يُطاع: ومنها ان القديس بولس لمّا تشكّى ممَّن كان يلومه في بعض اعماله فقال ان اخوة الرب والرسل وكيفا نفسه اي الذي هو رئيسنا يصنع ذلك. فاستخص بطرس بالذكر كما جاء في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس ف ٩ ع ٥: أما لنا سلطان ان نجول بامرأةٍ اختٍ كسائر الرسل واخوة الرب وكيفا

تاسعاً: اننا نرى بعد صعود الرب الى السماء القديس بطرس مدبراً للكنيسة يقضي وينهي في جميع امورها: فهو اول من وعظ اليهود ورد منهم اولاً ثلاثة الاف ثم ٥٠٠٠. وهو الذي ضرب بسيف الحرم حننيا وامرأته سفيرة لانهما كذبا على الروح القدس واختلسا شيئاً من ثمن الضيعة التي باعاها وسقطا وماتا فجئةً كما جاء ذكر ذلك في الاعمال ف ٥ ع ١ وما يليه. وهو الذي افتتح المجلس وامر بانتخاب واحدٍ عوض يهوذا الذي اسلم سيده ف ١ ع ١٥ وما يليه. وهو الذي حسم مسئلة التعميد وحفظ الشريعة الموسوية. وهو الذي قصده بولس راساً الى اورشليم واستقام عنده خمسة عشر يوماً كما جاء في رسالة بولس الى اهل غلاطية ف ١ ع ١٨. وهو الذي ثبَّت رسائل القديس بولس وحرَّض المسيحيين على ان يتصفحوا فيها. وذات برسالةٍ ارسلها الى كثير من الكنائس: وهو الذي صنع اول معجزة لشفاء الاعرج من بطن امه عند دخولهِ مع يوحنا الى الهيكل. وهو الذي كانت تكثر على يدهِ المعجزات كما ورد في اعمال الرسل حيث نقرأ ف ٥ ع ١٥: حتى ان الناس كانوا يخرجون بالمرضى الى الشوارع ويضعونهم على فرشٍ واسرةٍ ليقع ولو ظلّ بطرس على بعض منهم فيبرأوا من كل علة بهم

عاشراً: ان الانجيليين كل مرة يذكرون الرسل او بعضاً منهم يبتدئون بذكر بطرس. فقد جاء في بشارة متى ف ١٧ ع ١: ان المسيح عندما اراد ان يتجلّى اخذ بطرس ويعقوب ويوحنا اخاه وتجلّى قدامهم: وعندما خرج ليصلّي في البستان قبل صلبه. اخذ معه ثلاثة من تلاميذه وبطرس هو اول من يذكره البشير متى ف ٢٦ ع ٣٧: واخذ معه بطرس وابني زبدى. وقد جاء في بشارة القديس مرقس ان المسيح لم ياذن الاّ لبطرس ويعقوب ويوحنا بان يتبعوه

عند شفاء ابنة رئيس الجمع وجاء في مرقس ايضاً ف ١٣ ع ٣ ان يسوع عندما كان جالساً في جبل الزيتون قبالة الهيكل: سأله بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس على انفراد. وفي الفصل الثالث من اعمال الرسل: وصعد بطرس ويوحنا الى الهيكل معاً لصلاة الساعة التاسعة. وقد اجمع الانجيليون على ذكر بطرس اولاً عند ذكرهم جميع الرسل مع انهم خالفوا في ذكر سائرهم فقال مرقس ف ٣ ع ١٦. وجعل لسمعان اسم بطرس ثم ذكر باقي الرسل وقال القديس متى ف ١٠ ع ٢: وهذه اسماء الاثني عشر رسولاً: الاول سمعان المدعو بطرس ثم اندراوس اخوه الى اخره وهذا البشير قد صرّح بان بطرس هو الاول. اما في ذكره الثاني فقد خالف القديس مرقس لانه ذكر القديس يعقوب وعليه قس الاخرين فان التغيير لم يلحق بطرس في ذكره اولاً لانه الرئيس والعمدة

اعلم انه لما كان لا بدّ من ذكر اسم الرئيس اولاً لرجوع الاشياء اليه في تقلّب احوالها نرى ان الكتاب كثيراً ما يذكر اسم بطرس على اختلاف مسمّاه فيذكر اسم الصفا سبع مرات وسمعان ٤٨ مرة وبطرس ١٥٤ مرة فيكون مجموع ذكره ٢٠٩ مرات مع ان ذكر سائر الرسل لم يتجاوز ١٢٨ مرة. ولمّا كان من التحتم على بطرس ان يسوس الكنيسة كلها ويدبّر امورها فتارةً نراه يتفقّد الكنائس كما جاء في الاعمال ف ٩ ع ٣٢. ولما كان بطرس يطوف في جميع الاطراف نزل ايضاً الى القديسين الساكنين في لدّة. وطوراً نشاهد الكنيسة تضطرب لاجله ف ١٢ ع ٥ فكان بطرس محفوظاً في السجن وكانت الكنيسة تصلي الى الله من اجله بلا انقطاع. مع اننا لا نشاهدها تصلي لبولس عند وقوعه في السجن ولا لاسطفانس عند رجمه. أتهتمّ الكنيسة كلها ببطرس وتصلي من اجله بدون انقطاع ولا يدلّ مثل هذا التخصيص الى ان بطرس رئيسها ومدبرها العام

ان الكنيسة اليونانية ما زالت منذ اوائلها تحتفل عيد القديس بطرس وتستعد اليه بما لا مزيد عليه من الاكرام. ففرضت صيام اربعين يوماً قبل مجيئه اكراماً للقديسين المعظمين بطرس وبولس الواقع عيدهما في يوم واحد لوقوع استشهادهما في يوم واحد. وقد استمرت هذه العادة بعد الانفصال الى ايامنا هذه مع انها لا تستعد بشيء مثل هذه الى عيد بقية الرسل. انما اختصت مثل هذا الاستعداد بعيد الرب يسوع ومريم العذراء والقديسين بطرس وبولس. فمن يشكّ والحالة هذه في ان الكنيسة قد اقرّت منذ قديم الزمان بان القديس بطرس ليس متساوياً لبقية الرسل ومن ثم بانه يفوق جميعهم مقاماً. فيا للعجب كيف تتجرأ الآن ان تقول انه مساوٍ لسائر الرسل والكنيسة لا تساويه بهم. أترى هذه

الكنيسة اليونانية لو رفعت الاغراض وحبّت خلاص الانفس هل تستمر على ما هي عليه الآن ولو تبصّرت فيما تتلوه من المزامير وتروّت في اعمال ابائها القديسين أفلا تفتح عينيها فتتجنب ما تعثر به من الاضاليل أفلا تنهض من سقطتها ولو تأملت مثلاً بما تقوله في اليوم السادس والعشرين من كانون الثاني في التعييد لتذكار السجود لسلسلة بطرس المكرمة: اليوم قاعدة الكنيسة وصخرة الايمان قد تقدم فوضع لنا سلسلة كريمة يا فخر رسل المسيح وشرفهم والمتقدم في الجلسة اجعلنا متوطدين ثابتين على صخرة اعترافك الالهية الى غير ذلك من الافعال الواضحة المؤكدة لرياسة بطرس وتقدمه على سائر الرسل التي تراها في الدلالة اللامعة وقد أورد البشير من النصوص الطقسية ما يسدّ فاه كلّ متعنت. هذا اعتراف الكنيسة اليونانية منذ بدايتها. أفهل ضلّت هذه الكنيسة قديماً باقرارها برياسة القديس بطرس ام هي ضالة الآن. فان كانت القديمة قد ضلّت فلماذا لا تزال الى الآن متمسكة بما علّمه اباؤها ورسموه في الليتورجيات. فتبصّروا يا ذوي الالباب ✿

الفصل الخامس والعشرون

• فيما يقترحه الاراطقة من الاعتراضات ضد البابا وات •

الاعتراض الاول: يقولون اننا نسلّم بان المسيح قد اقام القديس بطرس رئيس الكنيسة ولكن القديس بطرس قد مات والمسيح لم يكلّم البابا وات فهم اذن ليسوا رؤساء الكنيسة

الجواب: ان المسيح لم يكلّم البطاركة ولا الاساقفة فمن اين لهم اذاً ان يرسموا كهنة ويعمّدوا ويعترفوا ويحلّوا من الخطايا. فعلى تقدير ان كل من لم يكلّمه المسيح ليس له ان يصنع شيئاً لقد وجب علينا القول بان الكنيسة قد تلاشت بعد موت الرسل ولم يبقَ لها أثر فمن منكم يتجاسر على استنتاج مثل هذه النتيجة الكفرية. فلا بدّ اذن من التسليم في ان الكنيسة لا تزال قائمة بعد موت بطرس وبقية الرسل بل لا تزال كما نظمها السيد المسيح اذ وعد له المجد انه يكون معها الى منتهى الدهر وعليه فلم ينزع السلطان المعطى للقديس بطرس لتدبير الكنيسة وسياستها والضروري لقيامها وثبوتها. وهذا السلطان المنوط بكرسي هامة الرسل الى من اتصل سوى الى من جلس على هذا الكرسي بعد وفاة اسقفه الاول اي القديس بطرس. وخلاصة الكلام ان شخص بطرس قد مات اما سلطانه فلم يذهب معه بل بقي راسخاً في الكنيسة ومختصاً بكرسي القديس بطرس. أتظن يا صاح ان السيد المسيح قد اقام بطرس نائباً له وقلّده سلطاناً مطلقاً وسلّمه مفاتيح الملكوت وصلّى لاجله وفوّضه تثبيت اخوته الرسل واقامه

راعيًا على خرافه وغنمه رضاءً لبطرس او حبًّا به فقط. هل يمكنك ان تتصوّر ذلك السيد له المجد يقول بصريح العبارة : وانا اكون معكم الى انقضاء الدهر. أَفلم يعلم ان الرسل سيموتون. فكلمة معكم اذن لا تشير الى الرسل فقط بل الى خلفائهم ايضًا والّا امست فارغة لا معنى لها فالمسيح اذن هو مع كلّ من خلفاء الرسل. واساقفة رومة هم خلفاء القديس بطرس فالمسيح اذن معهم ما دامت الكنيسة موجودة اي الى منتهى الدهر لا ينتزع عنهم ما قلدهم ايّاه المسيح من السلطان بل كلّ منهم يتقلّد سلطان سالفه خلفًا عن سلف الى ان تتصل السلسلة الى القديس بطرس. ومن ثم فلخلفاء القديس بطرس نفس السلطان الذي أُنعم عليه به له المجد

الاعتراض الثاني : يقولون ان القديس بطرس لم يمت في رومة فالباباوات اذن ليسوا خلفاء القديس بطرس

الجواب : لا يأتي بمثل هذا الاعتراض الّا من كان على جانب عظيم من الجهل لان اقوال الاباء القديسين والتاريخ والتقليد الدائم وقبر القديس بطرس في رومة دلائل واضحة ناطقة بانه قد مات في رومة. وعلى فرض انه لم يمت في رومة فليعيّن الخصوم لنا محلًّا ما غير رومة ويوردوا في هذا الشان شهادة احد الاباء او اقلّه شهادة احد المؤرخين الموثوق بشهادتهم. وزد على ذلك انه ولو فُرض ان القديس بطرس لم يمت في رومة فلا ينتج ان الباباوات ليسوا خلفاءه اذ لم ينتج من ذلك ان القديس بطرس لم يكن اسقف رومة. نشدتك الله يا صاح لو توفي البطريرك الانطاكي او الاورشليمي في بيروت او صيدا او في القطر المصري هل ينتج من ذلك انه لا يكون بطريركًا انطاكيًا او اورشليميًا. كلّا ثم كلّا. لان ذوي المراتب كالبطاركة والاساقفة لا يفقدون وظيفتهم لمجرد ابتعادهم عن كراسيهم لانها شخصية وثابتة معهم حيثما ينطلقون ما لم يستعفوا منها او يُعزلوا عنها شرعًا. فاذن ولو كان القديس بطرس قد مات في الخارج عن رومة لا يصح الاستنتاج انه لم يكن اسقف رومة ومن ثم ان الباباوات ليسوا خلفاءه الشرعيين وليس لهم ما أُعطي من السلطان

الاعتراض الثالث : يقولون ان كرسي بطرس كان في انطاكية قبل ان يكون في رومة فاذن اسقف او بطريرك انطاكية هو بالحقيقة خليفة بطرس

الجواب اولًا : رشق المعترضين باعتراضهم نفسه على انه اذا كان اسقف انطاكية خليفة بطرس الشرعي كما يزعمون جهلًا فلماذا يعدّون بطريرك القسطنطينية رئيسًا ساميًا لكل الكنيسة اليونانيّة ولا ينسبون مثل هذا التقدم الى بطريرك انطاكية اليوناني بل ينكرونه عليه

ثانياً: لا يقوم نكير على ان القديس بطرس بعد ان طاف في جميع اطراف فلسطين وأثبت فيها الايمان المسيحي وأجرى التنظيمات المقتضاة قد انطلق الى انطاكية عاصمة سورية باسرها وكان كثر فيها عدد التلاميذ الى ان أُطلق عليهم لقب المسيحيّين اولاً. وليس من ينكر ايضاً ان القديس بطرس أقام فيها نحو سبع سنوات تمكيناً لهذه الكنيسة الشريفة الجزيلة العدد غير انه لمّا رآها على ما يرام من النظام والرسوخ رسم لها اسقفاً القديس اوفوديوس ثم بارحها ليتفقد الكنائس الكائنة في اسيا الصغرى ومن ثم انتقل الى رومة العظمى التي كانت العناية الالهية قد اختارتها مركزاً للعالم الكاثوليكي بعد ان استقرت مدة طويلة مركز العالم الوثني وفاقت فخراً وبطشاً جميع العواصم القديمة. ففي تلك المدينة قد استقرّ القديس بطرس واقام فيها كرسيه وعاش ٢٥ سنة ومات مصلوباً ودفن وأضحى مدفنه اشهر المدافن وامجدها بعد قبر المسيح. ولمّا كان بطرس اسقف رومة حين وفاته لا اسقف انطاكية المقام عليها اسقفاً القديس اوفوديوس كما تقدّم الكلام عنه لم يكن خليفته الّا من جلس على كرسيه بعد وفاته اعني به القديس لينوس الذي قد كان سبق القديس فاتخذه معاوناً له. وقصارى الكلام ان المسألة تاريخية لا يشوبها ريب ولا ينكرها الّا من يجهل على الاطلاق التاريخ الكنسي

الاعتراض الرابع: يقولون ان الكاثوليكيين ينسبون الى البابا القداسة ويقبّلون رجلَيه وهو عوض ان يضع الصليب على صدره فانه يضعه على رجله

الجواب: على فرض صحة ما يزعمه الخصوم هل يبطل بطرس ان يكون خليفة المسيح وهل يبطل البابوات ان يكونوا خلفاء القديس بطرس. واعلم ايها المعترض ان الكاثوليكيين لا ينسبون الى البابا القداسة كأنه منزّه عن كل خطية انما يلقبونه بالاب الاقدس مثلما تلقبون بطاركتكم واساقفتكم حتى كهنتكم. اما تقبيل رجلَي البابا فعادة قديمة لم يدخلها احد البابوات بل شديد ايمان المؤمنين الاولين المكرّمين للسيد المسيح في شخص نائبه على الارض. ولا داعٍ لاستغراب المعترضين اذ لا يكاتب الواحد منهم بطريركاً دون ان يقبّل موطئ قدميه. ولنا ايضاً نموذج في تقبيل السيد له المجد لارجل تلاميذه وقد أوصاهم بان يصنعوا ما صنعه هو نفسه امامهم بحضرتهم وفيها يصنعه البطاركة والاساقفة يوم خميس الاسرار وفيها يصنعه ايضاً كثيرٌ من الانام الذين ينطرحون ويقبّلون اقدام اوليائهم والبابا هو أسمى الجميع مقاماً وشرفاً. واما القول بان البابا يضع الصليب على رجليه فلا يعبأ به لان ما يدعونه صليباً انما هو نسيج من قصب اصفر على رسم زنبق منبسط يقبّله المؤمنون بدلاً من الرجل. امّا الصليب فلا يضعه البابا

على صدره في الاحتفالات الكنائسية فقط بل في الاستقبالات الرسمية ايضاً اذ يتشح وتتلذذ بالكتونة الثمينة والبطرشيل والحورانية الحمراء وهذا هو الزيّ الحبري الاعتيادي. وليعتبر المعترضون اين يضع كهنتهم واساقفتهم صورة الصليب عندما يلبسون الحلل الحبريّة اي على ظهرهم بحيث ينزل الى اسفل من الظهر

الاعتراض الخامس : يقولون قد جاء في رسالة القديس بولس الى اهل رومية ف ٣ ع ٤ ان الله صادق وكل انسان كاذب والحال ان البابا انسان. فاذن كاذب. فكيف تقولون انه معصوم عن الغلط

الجواب : وانتم كيف تصدقون بان التوراة صادقة وقد كتبها انبياء ورسل هم اناس كاذبون على زعمكم. نعم ان الانسان قد يكون كاذباً من طبعه الأ انه يكون صادقاً بالمعاونة الالهية

اعلم ان السيد له المجد لم يصلِّ لاجل الرسل بل لاجل بطرس رئيسهم وحده الذي أمره بتثبيت اخوته عندما يخلّون في الايمان وله وحده قد اعطى مفاتيح الملكوت بان كلّما يحلّه او يربطه يكون محلولاً او مربوطاً في السماء. فلو امكن بطرس ان يضلّ في الايمان فما الفائدة من تثبيت المسيح اياه وتكليفه باثبات اخوته. ألم يُقم المسيح كنيسة واحدة بايمان واحد. وكيف تكون واحدة والرؤساء متعددون كلّ يؤمن بما يطيب له. وهذه الكنيسة ألا ينبغي ان تكون معصومة عن الغلط والجميع ملتزمون بالطاعة لها. أيجبرنا سبحانه على ان نتبع الضلال او نقتفي آثار المغلطين. حاشا. فالكنيسة واحدة وهي معصومة وعصمتها لا بدّ من وجودها في رأسها والآ امست جسماً بلا رأس او كان رأسها فارغاً وهمياً

ان السيّد المسيح عند اقامته الكنيسة لم يهتمّ في حالتها الحاضرة ولم يشأ ان تكون واحدة ومعصومة مدة حياة الرسل فقط بل اراد ان تثبت في مستقبل الايام الى انقضاء الدهر وعليه فقد اقام عليها رئيساً ليس لقوة او سلطة بشريّة ان تغيّره فهو واحد وابواب الجحيم لن تقوى عليه. فلو قويت عليه لتزعزعت وتلاشت وهذا محال لان الجالس في العلى يعضدها وهو معها الى انقضاء الدهر. وعليه أفيمكننا ان نتعجّب من عصمته رأسها. كلأ. لان السيد المسيح لا يزال إلهاً والكنيسة لا تزال كنيسته. أنعتقد ان الروح القدس قد عصم الانبياء والرسل فيما كتبوه ولا نعتقد انه سبحانه يعصم شخصاً واحداً أقامه رئيساً على كنيسته. وهذه العصمة ان لم تكن في الرأس الذي له التدبير في جسم المسيح السرّي أفتكون في اعضاء متقطعة قد زاولتها الحياة

الاعتراض السادس : يقولون انكم تجعلون البابا منزهاً عن الخطاء نظير الله مع

ان كل انسان يمكنه ان يخطىء ولحال ان البابا انسان فيمكنه اذن ان يخطىء

الجواب : ان كثيراً من البشر يتكلمون عن عصمة البابا من غير ان يعرفوا ما تقوم به هذه العصمة وما هو الايمان الكاثوليكي بهذا الشأن . اعلم اولاً : ان البابا يمكنه ان يخطىء نظير سائر البشر والقديس بطرس نفسه قد أخطأ . ثانياً : ان البابا اذا تكلّم من حيث انه معلّم خصوصيّ يمكنه ايضاً ان يضلّ نظير الاخرين . ثالثاً : ان البابا لا يمكنه ان يضلّ او يخطىء في حادث واحد وهو : اذا علّم الكنيسة كلها من حيث انه نائب المسيح وراعيها العامّ وحينئذٍ يتكلم كما يقال من على الكرسي الحبري وكمعلّم الكنيسة الجامعة فلا يمكنه ان يعلّم شيئًا يخالف الايمان الصحيح على انه لو امكنه ان يضلّ لضلّت الكنيسة الجامعة كلها ولم تروِ التواريخ ان احد الباباوات قد ضلّ في الايمان منذ اوائل الكنيسة الى ايامنا هذه

الاعتراض السابع : يقولون قد وجد باباوات كذبة

الجواب : قد وجد انبياء كذبة ورسل كذبة ومسحاء كذبة . أفينتج انه لم يوجد انبياء ورسل صادقين ومسيح صادق . نعم انه قد اتفق ان بعض الملوك الاردياء قد دخلتهم روح الكبريا فاقاموا باباوات كذبة فحرمهم الباباوات الحقيقيون اذ لم تخلُ الكنيسة منهم ابداً

الاعتراض الثامن : اذا كان البابا معصوماً عن الغلط فما الافادة اذن من المجامع العامّة

الجواب : ان القديس بطرس قد كان معصوماً ومع ذلك قد اجتمع الرسل مرات كثيرة فتتبعت الكنيسة مثلهم . اعلم ان رأس الكنيسة معصوم عن الغلط ويمكن ان يأتي بتحديدات تختص بالايمان بمعزل عن المجامع ومن اللازم ان يكون له هذا السلطان لحفظ عصمة الكنيسة وتأييدها اذ قد يتمكن الضلال من النموّ والامتداد وإفساد ضمائر الكثيرين قبل عقد المجمع المسكوني وبروز حكمه . اما البرهان القاطع في ذلك فهو ان الكنيسة قد استمرت ٣٢٥ سنة من زمان السيد المسيح الى انتهاء الاضطهادات ولم تتمكن من عقد مجمع لحسم ما كان يعلّمه الاراطقة وكان والحالة هذه الرجوع الى البابا وحده ولم يكن يأبى له الاذعان سوى الاراطقة المعاندين . لعمري اذا تعذر على الكنيسة عقد المجامع فمن يقرّر المسائل ومن يحسم الكفر ومن يعلّم المؤمنين ما يجب . أفلا يمكن ان تتشعب الاراء وتنقسم الكنيسة . هل تبقى الكنيسة منقسمة الى ان يتم التئام المجمع الذي يضمّها . لا لعمري بل تلتجيء الى الرئيس كما صنعت دائماً قبل التئام المجمع النيقاوي فانها كانت تذعن شرقاً وغرباً لما كان يقرّره الباباوات

واعلم ايضًا ان البابا لا يقرر شيئًا انه من الايمان سوى في الظروف المهمّة وعند تعذر عقد المجمع فيجمع حينئذٍ مجمعه الخاص ويحدد ما يجب عمله والاعتقاد به فان التئام المجمع العام فيه افادة كبرى للكنيسة. فقد يتوهم كثير من الاساقفة انهم محقون فيما يعلمون او يرتابون في بعض الامور فاذا حضروا المسائل وعرفوا ما يثبتها وكيف حلّ ما يُقترف عليها من الاعتراضات وما فيها من المشاكل اهتدوا الى الحق وعرفوا كيف يبينونه وبما يؤيدونه فامكنهم والحالة هذه ان ياتوا بالتعاليم الصحيحة ويرشدوا الشعب الى طريق الحق والصواب

الاعتراض التاسع: يقولون ان من البابوات مَن ضلَّ في الايمان

الجواب: قد اورد اعداء الكنيسة بعض الوقائع الخفية فاستدلوا منها على ان من البابوات من قد ضلّ في الايمان غير انهم لم يتمكنوا من اثبات دعواهم هذه الافكية. امّا الكاثوليك فاثبتوا ما يفند تلك الدعوى تفنيداً تاماً والتاريخ في ذلك اكبر شاهد ولم يحدد المجمع الفاتيكاني العام قضية عصمة البابا الّا بعد ان بحث البحث المستطيل المدقق عن الوقائع المار ذكرها ودحض كل الاعتراضات التي قد رُشقت بها تلك القضية الكلية الاهمية

اعلم انه يجدر بنا بعد تفنيد ما تقدم من الاعتراضات ان نذكر ما اعترفت به دائمًا كلٌّ من الكنيسة اليونانية والروسية في اللتورجية وقررته وأيدته في صلواتها ونشائدها للقديس بطرس وخلفائه ونحن نبدأ بما انصحت عنه الكنيسة اليونانية في محال كثيرة: منها ما يقال في اواخر كتاب الاكطويخس في الاكسابسلاري الحادي عشر هكذا: بعد القيامة الالهية قال الرب لبطرس المنتهى ثلاثًا: أتحبني وانتدبهُ وجعلهُ راعيًا ومتقدماً على غنمه. وفي ذكصا الاوتينا الحادي عشر هكذا: المخلص اظهر ذاته لتلاميذه من بعد القيامة واعطاك يا سمعان ان ترعى الاغنام التي له جزاء عن محبتك. وفي الاستشواري لليلة التاسع والعشرين من حزيران عيد القديسين المعظمين بطرس وبولس هكذا: المسيح انتخبك يا بطرس اول الرسل وانس الكنيسة من اجلك في ذاته وابواب الجحيم لن تقوى عليها وهذيان المخالفين لا يسبيها. وفي الانتولوجيون والميناون في قانون سحر هكذا: الذي قبل الدهور سبق فعرفك فانتخبك يا بطرس الكلي الغبطة وجعلك في الكنيسة اول الجلسة ومتقدماً. وفيه ايضاً: انت يا بطرس على صخرة اعترافك وتكلمك في اللاهوت وطّد يسوع السيد الكنيسة غير متزعزعة وفيها تمجدك دائماً. وفيه ايضاً: انت بالاستحقاق دُعيت بصخرة وان ثبّت الرب ايمان البيعة متمكناً وطيداً جعلك رئيس الرعاة للاغنام الناطقة ولذلك اعطاك مفاتيح الابواب السموية.

وفي اليوم السادس عشر من كانون الثاني في التمييد لتذكار السجود لسلسلة بطرس المكرمة يُقال في الانثولوجي سحر هكذا: اليوم قاعدة البيعة بطرس وصخرة الايمان قد تقدم ووضع لنا سلسلة كريمة . وفيه ايضاً: يا فخر رسل المسيح وشرفهم والمتقدم في الجلسة اجعلنا متوطدين ثابتين على صخرة اعترافك الالهية . وفيه ايضاً: ايها الكلي شرفه بطرس بما انك معلماً وراعياً لخراف المسيح والمشترع لها سنناً ونواميس . وقال القديس غريغوريوس الثاولوغوس في خطبته القها عن حفظ الهدو في المجادلات: انظر كيف ان ارسل كلهم عالبون ومستحقون الدعوى الّا ان واحداً سُمّي صخرة واعطي ان يكون اساس البيعة والاخر محبوب جداً بزيادة . اقله لقرب هذه الشهادات بما لا ريب فيه عن اعتقاد الكنيسة اليونانية في اقامة القديس بطرس رئيساً على الكنيسة . لننظر الان كيف كان اعتقادها في رياسة باباوات رومية خلفاء القديس بطرس فان اقوالها في ذلك صريحة لا يشوبها ريب . فمنها ما يقال في المناون ليلة الرابع والعشرين من تشرين الثاني عن القديس اكليمنضوس بابا رومية: بعد تفرغك من اضطرابات الالام يا اكليمنضوس الاقدس اشغلت عقلك ممارساً في معرفة الموجودات فلذلك جذبك الرب الى معرفة الوجود الاول بواسطة بطرس رئيس الرسل ومقدامهم الذي رسمك بالالهيات وجعلك خليفة له مستحقه . وفي اليوم الثاني من كانون الثاني عن القديس سيلفستروس بابا رومية: ظهرت ايها الكاهن الاقدس هامة الراتب الكهنوتية وجملت كرسي هامة التلاميذ . وفي الثامن عشر من اشباط في المناون سحر يقال عن القديس لاون بابا رومية: ايها الوارث لكرسي بطرس الهامة وصاحب رأيه وغيرته الالهية في الايمان ان قضيت به حكماً . قال القديس يوحنا فم الذهب في الكتاب الثاني على الكهنوت ان الرب مخلصنا يسوع المسيح محب الانفس ما سلّم للقديس بطرس وحده بل وخلفائه ايضاً لاجل اتحاد رعيته وترى في اخر الرسالة التي ارسلها القديس اثناسيوس الكبير وجميع اساقفة مصر الى البابا مرقص ما نصه: ان الرياسة الرومانية هي ام ورأس جميع كنائس العالم . وهذا الكلام كاف في ما نحن فيه . لننظر الان فيما تفصح عنه في صلواتها وابتهالاتها الكنيسة الروسية

ان ليتورجية الكنيسة الروسية تنطق بما لا ريب فيه عن رياسة القديس بطرس وخلفائه على الكنيسة كلها . منها ما تقول عن القديس بطرس: قال الرب لبطرس انت تكون بعدي الصخرة واساس الكنيسة . وغيره: عليك يا بطرس قد تثبتت الكنيسة وابواب الجحيم لن تقوى عليها: وغيره: يا بطرس

ان المسيح قد سماك صخرة وعليك قد بنى كنيسته وابواب الجحيم غير قادرة عليها. وغيره: السلام الى بطرس ينبوع الكهنوت وسرور الكنيسة ومجدها وقائد الرسل. يا بطرس انتَ صخرة الايمان والراعي السامي لجميع الرسل. ومنها ما توضح عن رياسة خلفائه على الكنيسة كلها: ان القديس لينوس قد خلف القديس بطرس في اسقفيته رومية ثم اكليمنضوس لقولها: يا اكليمنضوس يا ايها القديس الشهيد تلميذ القديس بطرس انت تقتدي بفضائله الالهية فتظهر انك وارث كرسيه بالحقيقة. وهذه الكنيسة تخاطب القديس سيلفستروس بابا رومية بقولها: انت رئيس المجمع المقدس قد مجدت كرسي امير الرسل فيا ايها الرئيس الالهي للاساقفة القديسين فانك قد ثبَّتَّ التعليم الالهي وسدّيت فم الاراطقة المنافقين. والقديس لاون بقولها: بايّ اسم اسميك يا ايها الرجل الذي يلهمه الله. اسميك رئيس كنيسة المسيح الانور وكنيسة وعمدة التقى وكاروز الحق وركنه الثابت والرئيس الحقيقي للمجمع السامي فانك قمت خليفة على كرسي القديس السامي فورثت صفاته وغيرته على الايمان. والقديس مرتينوس بابا رومية: قد مجّدت كرسي بطرس الالهي وبصيانتك الكنيسة غير متزعزعة على هذه الصخرة قد قاسمته مجده. وقد استخدمت هذه الكنيسة مثل هذه الاقوال بطعنها في من كان يضلّ في الايمان من بطاركة المشرق. على اننا نقرأ في ليتورجيتها الحاضرة في تمييدها للقديس شلستينوس بابا رومية ما ترجمته: ان البابا القديس شلستينوس قد ثبت في خطبه واعماله واتبع الطريق الذي رسمه له الرسل فظهر يستحق الخلافة على اول الكراسي لانه خلع بقوة براءته نسطوريوس المنافق. وعن البابا اغابيوس القديس: الذي خلع انتميوس الاراطيقي (بطريرك القسطنطينية) وحرمه واقام موضعه ميناس رجلاً لا شبهة في تعاليمه وجعله على كرسي القسطنطينية. وعن البابا مرتينوس القديس: الذي وثب كالاسد على المنافقين ففصل عن كنيسة المسيح قيروس (بطريرك الاسكندرية) وسرجيوس بطريرك القسطنطينية وبيروس وجميع محازبيهم. وهي تورد في المناير قطعة نقلتها عن حياة القديس يوحنا فم الذهب مآلها: ان البابا اينوشنسوس قد كتب مراراً الى الملك اركاديوس وفصله عن الشركة المسيحية مع امرأته اودوكسيا وحرم جميع الذين سعوا في تنزيل القديس يوحنا فم الذهب عن كرسيه اما ثاوفيلوس بطريرك الاسكندرية فلم يرضَ بنزعه فقط بل فصله عن الكنيسة. اما الملك اركاديوس فعرف ذنبه واستغفره فأمر البابا بروكلوس متيزكا بان يحلّ اركاديوس من الحرم ويقبله في مناولة الاسرار ويجعل الطوباوي يوحنا بين عدد القديسين. ألا ترى

ايها القارئ ان هذه الشهادات التي اوردناها ناطقة بما لا ريب فيه عن اتحاد كل من الكنيسة اليونانية والروسية مع الكنيسة الرومانية. ذلك فلو تروى فوسيوس او فيرولاريوس في قوة هذه الشهادات عند فصلهما الكنيسة للزمهما ان يحرفاها او يتعمدا وسيلة لاشاتها غير انهما لم يتمكنا من تحريف جميع ما كانا يتمنيان. والآن قد اصبحت هذه الشهادات صواعق تقصف او سيوفاً تقطع قطعاً ولا سبيل الى النجاة اذ لا يمكن للمشاقين الا ان يقعوا في احد امرين اما الكفران بايمان كنيستهم القديمة او ترك ما تعلمه كنيستهم الحادثة. واللبيب يفقه ✿

الفصل السادس والعشرون

« في ما يقترح من الاعتراضات ضد المجامع »

الاعتراض الاول: يقولون. ان المجامع العامة معصومة عن الغلط. والمجمع الثاني الذي صار التئامه في القسطنطينية قد حدد ان الروح القدس منبثق من الآب وقد نقشوا على ترس من ذهب قانون الايمان معما قرره المجمع بان الروح القدس منبثق من الآب وأرسل الى رومية فوضع على قبر القديس بطرس. اما البابوات فقد اضافوا اليه فيما بعد ان الروح القدس منبثق من الآب والابن فالبابوات اذن قد ضلوا في الايمان

والجواب: ان التاريخ الصحيح ينبئك عن حقيقة هذا الامر وهاك ملخص ما اجمع عليه الاباء والمؤرخون. اعلم ان مقدونيوس اسقف لا بطريرك القسطنطينية اخذ يعلّم ان الروح القدس منبثق من الابن فقط لا من الآب واسند تعليمه هذا علي ما جاء في بشارة يوحنا ف ١ ع ٣ حيث يتكلم عن الكلمة الازلي فقال كل به كوّن وبغيره لم يكن شيء مما كوّن فنتج ذاك الضال ان الروح القدس ايضاً قد كوّن بالابن وانه منبثق منه وحده دون الآب واورد ايضاً تأييداً لما ذهب اليه ما جاء في البشارة نفسها ف ٢٠ ع ٢٢. ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم خذوا الروح القدس فانتج ايضاً انبثاقه من الابن فقط لانه سبحانه نفخه فيهم فاشركهم بروحه وجوهره فقط. فيكون الروح القدس من روحه فقط لا من الآب وعليه فلا يكون الروح القدس اقنوماً الهياً. فناقضه اذ ذاك جماعة من الاساقفة موردين ما جاء في الكتاب من النصوص الواضحة المؤيدة للانبثاق من الآب والابن. فقد قال السيد المسيح: ان الآب في واني في الآب: واني والآب واحد فان كان الابن اذاً يهب الروح القدس فالآب ايضاً يهبه لانه هو والآب واحد وما للابن فهو للآب ايضاً عدا البنوة. اما مقدونيوس

فتبعه جمهور من الاساقفة والشعب فانقسمت الكنيسة القسطنطينية الى شطرين فالجأت الحال الى التئام مجمع عقدوه في القسطنطينية فحضره جمهور من الاساقفة الشرقيين فقط وتمّ القرار فيه على ان يضيفوا الى قانون الايمان: نؤمن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي يُسجد له مع الآب والابن. فاضافوا: ويُسجد له مع الآب والابن دلالةً على انهُ اقنوم الهي وقد اضافوا الى القانون الذي لا انقضاء لملكهِ دحضاً لارطقة ابوليناريوس الذي قد علّم ان ملكهُ انما يدوم مع الابرار الف سنة فقط عملاً بما قال القديس يوحنا: ان الشيطان انما يقيَّد الف سنة فنتج ان الشيطان انما تُفكّ قيودهُ بعد الف سنة فيلاشي ملك المسيح

اما مقدونيوس ومن تبعهُ فابوا ان يذعنوا لما قرّره المجمع مدعين انه مجمع خاص لا يُعبأ بهِ ولا هو معصوم عن الغلط فاضطروا والحالة هذه ان يلتجئوا الى حكم البابا داماسوس وتقريره. فارسلوا له جميع اعمال المجمع فاثبت البابا ما قرّره واذاع في العالم امره ليكون الايمان بموجب ما قرّروه. فاصبح المجمع عامًّا من بعد ان كان خاصًّا. واليونان انفسهم يحسبونه من المجامع السبعة المسكونية. وقد جاء في صخرة الشك نفسها ان هذا المجمع لم يكن سوى خاصٍ فقط

لكن بعد ستّين سنة من هذا المجمع ظهرت ارطقة في اسبانيا مآلها ان الروح القدس منبثق من الآب فقط وبرهان اصحابها: ان المجمع القسطنطيني قد قرّر ان الروح القدس منبثق من الآب فهو اذن غير منبثق من الابن فتشعبت الاراء في ذلك وكثرت المجادلات الى ان الجأت الى عقد مجمع تم التئامه سنة ٤٤٨ وقرروا فيه اضافة والابن مردعاً لانتشار الارطقة فأبى الاذعان جمهور من اصحاب الارطقة مدعين انهُ غير معصوم عن الغلط لانه مجمع خاص فاضطروا الى رفع الامر الى البابا فاثبت ما قرّره المجمع لا كقانون جديد في الايمان بل كتفسير لما كان قرّره المجمع القسطنطيني وأمر الكنيسة كلها بان تؤمن بموجبه. فلما بلغ ذلك اليونان حركهم عرفان الجميل لاثبات البابا مجمعهم فنقشوا قانون الايمان على ترس من ذهب وارسلوه هديةً توضع على قبر القديس بطرس: فتامل

الاعتراض الثاني: يقولون. لو كان الروح القدس منبثقًا من الابن ايضًا لَمَا سكت المجمع القسطنطيني عن ايضاحه

والجواب. قد كان ايمان المجمع في ذلك الوقت ان الروح القدس منبثق من الابن كما كان يثبته مقدونيوس والارطقة كان مدارها على انكار انبثاقه من

الاب فلو كان الاعتقاد بالانبثاق من الابن ارطقةً لمّا سكت عنه المجمع اذ لم يلتئم الاّ لدحض ما كان ذهب اليهِ ماقدرنيوس من الاضاليل ضد الايمان فضلاً عن ان المجمع لم يقل انهُ منبثق من الاب فقط ولا انهُ غير منبثق من الابن انما قرَّر فقط انه منبثق من الاب ضدًّا لما كان انكره ماقدونيوس

اعلم ان المجمع الرابع المسكوني قد تقرر فيه ان في المسيح طبيعتين. وفي السادس ان فيه مشيئتين. أفلا يمكن ان يقال والحالة هذه: لماذا لم يقرر المجمع الرابع ان فيه مشيئتين ايضاً

والجواب: اما مسئلة المشيئتين فلم يقل فيها وقتئذٍ احدٌ والكنيسة المقدسة لا تقرر قضية من الايمان الاّ ردعاً لمن ينتصب لمناقضتها ولذلك فان المجمع الثاني القسطنطيني لم يحدِّد انبثاق الروح القدس من الابن ايضاً اذ لم ينكره احد وقتئذٍ على ان الانكار كان جائلاً على انبثاقهِ من الاب وحصرهِ في الابن فلم يُقرر شيء بخصوص انبثاقهِ من الابن لاعتقاد المجمع بهِ وقتئذٍ وانما قرّر ما كان منكراً وهو انبثاقه من الاب

الاعتراض الثالث: يقولون. قد قيل في هذا المجمع اناثيما على كل من يضيف كلمة على قانون الايمان. والبابا قد زاد كلمة « والابن ». فاذن هو اناثيما اي محروم

والجواب نعم ان المجامع قد القت الحرم على كل من يضيف كلمةً الى قانون الايمان او يحذف منهُ كلمة. ومع ذلك نرى ان عدة مجامع مسكونية اضافت اليه بعض كلمات. أفلا ينتج من ذلك ان هذا الحرم لا يلحق بالمجامع المسكونية ولا بالبابا الذي هو رئيس الكنيسة والقاضي السامي في امور الايمان انما يلحق فقط بالمؤمنين. فالمجمع القسطنطيني الخاص قد اضاف الى قانون الايمان ان الروح القدس منبثق من الاب. والمجمع الخاص الذي عقد في اسبانيا اضاف انه منبثق من الابن ايضاً. والبابا ثبّت الاول فصار عامّاً واذن باضافة « والابن » في الثاني ولم يأمر باذاعته وقتئذٍ لعدم الحاجة اليهِ لان الارطقة كانت منحصرة في جهة صغيرة من اسبانيا. واضافة كلمة « والابن » في قانون الايمان لم تكن سوى تفسير لما كان قررهُ المجمع القسطنطيني

اعلم ان الايمان بانبثاق الروح القدس من الاب والابن كان عامًّا بين جميع المؤمنين بدليل انه لم يقم لهُ نكير في الخمسة المجامع المسكونية التي قد صار التئامها بعد اضافة كلمة « والابن » على قانون الايمان واذاعتها في اسبانيا وقد اجتمعت الكنيسة كلها في تلك المجامع شرقاً وغرباً وكل من الاباء كان عارفاً باضافة « والابن » في قانون الايمان في اسبانيا فلو كان في هذه الاضافة ادنى

شبهة ضلال. أفهل كانت سكتت المجامع عن ذلك. وعلى فرض سكوتها أفلا تكون قد ضلّت في الايمان الكنيسة والمجامع الخمسة التي تمّ التئامها بعد ذلك

وعلاوة على ذلك فان فوتيوس نفسه لم ينكر انبثاق الروح القدس من الابن الّا بعد ان خلع البابا نيقولاوس عن كرسي القسطنطينية وقصد الانفصال عن الكنيسة الرومانية. امّا البطريرك قيرولاريوس فقد رفض فيها بعد انبثاق الروح القدس من الابن رفضاً جازماً والكنيسة اليونانية قد تبعت رأيهما الى ان اقرّت في مجمعَي ليون وفلورنسا بان الروح القدس منبثق من الاب والابن وقبلت اضافة « والابن » تفسيراً لقانون الايمان

الاعتراض الرابع: يقولون. لو كان البابا معصوماً عن الغلط لكانت المجامع السابقة ذكرت شيئاً بخصوصه مع انها لم تذكر شيئاً وقد ناقض كثير من الاساقفة تحديد عصمة البابا في المجمع الفاتيكاني

والجواب: فاذن كل قضية لم يقررها المجمع الاول المسكوني وقد قررتها المجامع التابعة فقط ليست من الايمان. أما سخافة مثل هذه الاقاويل فاوضح من ان تُبيَّن. فان الكنيسة كما قدمنا لا تقرّر حقيقة انها من الايمان الّا بعد الطعن فيها فلمّا توهم بعض من المؤمنين وشكّوا في عصمة البابا عن الغلط في امور الايمان والاداب قد اضطرت الكنيسة الى تقرير عصمته انها من الايمان عملاً بما اجمع عليه الكتاب والتقليد والاباء والمجامع المسكونية لان المسيح لم يخوّل غير بطرس تثبيت اخوته ولم يلتئم قط مجمع مسكوني بدون ان يرأسهُ البابا بشخصه او بقصاده ودون اثباته له

وقد قدمنا ان المجمع الفلورنتيني الذي حضره اباء اللاتين واليونان قد تقرّر فيه ان البابا اسقف رومية هو بالحقيقة خليفة القديس بطرس ونائب السيد المسيح ورأس ومعلّم الكنيسة كلها. نعم ان كلمة معصوم غير مصرح بها في ما قرّره الّا انه يوجد ما يعادلها. أيكون البابا نائباً للسيد المسيح ورأس الكنيسة ومعلمها ولا يلزم الجميع ان يخضعوا له ويؤمنوا بما يعلّمه. فان ضلّ ضلّت الكنيسة على ان عصمتها انما تتوقف على عصمة راسها لانه هو القاضي في امور الايمان وهو المتقلد تثبيت اخوته

الاعتراض الخامس: يقولون. قد عُقد في رومية مجامع كثيرة ولكن هذه المجامع ليست مسكونية لان اساقفة العالم كله لم تجتمع فيها

والجواب: بان المجامع السبعة الاولى لم يحضرها ايضاً جميع اساقفة العالم وهي مع ذلك تُعدّ مسكونية

اعلم ان المجمع يصير مسكونيًا بشروط ثلاثة: اولها: ان يأمر بالتئامه رئيس الكنيسة فلا حاجة الى اجتماع جميع اساقفة العالم اذ كان ذلك ليس في يد البابا ولا في يد الاساقفة. ثانيها: ان يترأس عليها البابا بشخصه او بشخص نوابه اذ لا تنفصل الاعضاء بمعزل عن الرأس. ثالثها: اذا لم يحضره لا البابا ولا احد نوابه فلا بدّ من ارسال اعماله اليه ليثبتها. فهذه هي القاعدة التي حفظتها الكنيسة دائمًا في جميع المجامع المسكونية التي تمّ عقدها منذ اوائل الكنيسة بل المجامع الخاصة اي الاقليمية او الطائفية لا يسوغ اجراء مراسمها ولا قوة لتلك المراسم قبل ان يثبتها البابا

ان المجمع الذي صار اخيرًا التئامه وعقدهُ في الفاتيكان قد حضره ثمانمائة حبر بين كرادلة وبطاركة واساقفة من جميع جهات العالم. ومن الشرق قد حضره كثير من بطاركة واساقفة جميع الطوائف الكاثوليكية اي من الموارنة والروم الكاثوليك والارمن والسريان والكلدان والقبط. اما ملك الروس فلم يدَعْ اساقفة مملكته الكاثوليكيين ان يحضروهُ. وبطاركة الروم الاربعة قد أُستدعوا للحضور اليه فابوا جميعًا ولم يأذنوا لاحد اساقفتهم بالحضور اليه. فقد قيل للبطريرك القسطنطيني ان الكنيسة منقسمة أفهل تبقى منقسمة الى انتهاء العالم. ولما كان من المحال التئام مجمع في القسطنطينية فاذهب انت الى رومية لانك مدعو للحضور وكذلك اساقفتك. فلا بد من ان تحوز استقبالاً جميلاً وتقول بحرية كل ما انت عليه من الاراء. فان المجمع معصوم عن الغلط فلا خوف من الوقوع في ارطقة لان كلما يقرره فان الروح القدس يرشده اليه. فأبى ولم يذعن. فلو كان هذا البطريرك متيقنًا ان كنيسته هي الحقيقية وايمانه الصحيح. أفهل كان يأبى الحضور الى مجمع يمكنه ان يبيّن فيه امام اساقفة العالم كله حقيقة كنيسته وصحة ايمانه فيستميلهم كلهم الى اعتقاده. أفلا كان حضوره الى رومية فرضًا لازمًا بناء على قول المسيح هذا: فليضئ نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي في السماوات (متى ٥ : ١٦)

ان المجامع السبعة التي صار التئامها في اوائل الكنيسة وانتم قابلون بتعليمها لم يتفق فيها جميع الاساقفة على رأيٍ واحد. فالمجمع النيقاوي قد حضره ٣١٨ اسقفًا وكان ٢٢ منهم مناقضين. والمجمع القسطنطيني حضرهُ ١٤٧ اسقفًا و٣٦ كانوا مناقضين. والمجمع الافسسي حضره ٢٦١ اسقفًا منهم ٦٩ قد ناقضوا تقريراته. والمجمع الفاتيكاني قد وجد من ناقض فيه تحديد عصمة البابا في امور الايمان لا من جهة ان هذا التحديد مغاير للايمان بل من جهة عدم موافقة تحديدها

للظروف الحالية ولاسيما السياسية ثم لاعتقاد الكنيسة باسرها بعصمة البابا وقبولها كل المراسيم الباباوية بلا معارضة واخيراً خوفاً من ان تحديد تلك العصمة يصدّ البروتستانط وغيرهم من الرجوع الى حضن الكنيسة. امّا في الجلسة الاخيرة التي عقدت بهذا الخصوص فصرّح كلٌ من الاساقفة قائلاً: اني راضٍ. ما عدا اثنين منهم ابيا اولاً ولكن قد قبلا فيما بعد نظير الاخرين. والاساقفة الذين قد كان اعاقهم عن الحضور مرضٌ او غابوا لداعٍ قد صرّحوا برضائهم كتابةً ✿

✿ الجزء الثاني ✿

في القضايا الستة التي يختلف بها الكاثوليك والروم وهي:

١ رئاسة الحبر الاعظم بابا رومية المطلقة ٢ انبثاق الروح القدس من الاب والابن ٣ التقديس على الفطير ٤ العماد ٥ سعادة القديسين ٦ المطهر

تنبيه: ان ما يتعلق برئاسة الحبر الاعظم بابا رومية قد قدمنا بيانه في الجزء الاول من هذا الكتاب فلا حاجة الى مراجعته هنا ✿

الفصل الاول

• في انبثاق الروح القدس من الاب والابن •

اعلم ان مسئلة الروح القدس لصعبة جداً فانها تتجاوز الطاقة البشرية لان الله روحٌ والطبيعة الالهيـة لا يحيط بها مدارك المخلوقين طراً. فهي تختلف عن الطبيعة البشرية فلا نقدر ان ندرك كيف يوجد الهٌ واحدٌ في ثلاثة اقانيم ولا كيـف يتم صـدور الابن عن الاب ولا انبثـاق الروح القدس عن الاب والابن. غير انهُ اذا تصفحنا الكتاب المقدس واستوعبنا اقوال القديسين تبيّن لنا جليّاً بما يصدع رداءِ كل شك ان الروح القدس لا ينبثق من الاب وحده بل من الاب والابن معاً وهذا ما نتعمد ايضاحهُ الآن

الّا انهُ لا بدَّ قبل الاخذ بذلك من ان نتذكَّر ان السيد المسيح قد أُتى الى العالم لكي يتألم ويموت بجسمها هو انسان وبموته يفي عن الخطايا ويفتدي الجنس البشري. ولذلك فانه قد اخفى لاهوته تحت صورة الانسان ودعا نفسه ابن البشر ولم يتكلم عن لاهوته الّا نادراً وباحتراز. وعندما كانت الضرورة تحملهُ على التكلم عنهُ كان تكلمـه ملتبساً خفيـة معـانيـه وكان يعسـر على الرسـل انفسهم ان يدركوا مثلاً انه هو في الآب والاب فيه وهو والاب واحد. وكان اول

من ادرك شيئًا القديس بطرس الذي قال له انت ابن الله الحي فاجابه انه لم يحصل ذلك من تلقاء نفسه بل ان الاب قد اوحى له ذلك واوصى التلاميذ بالّا يظهروا ذلك كما جاء في بشارة متى ف ١٦ ع ٢٠. ولما تجلّى على جبل طابور امام التلاميذ الثلاثة اوصاهم ايضًا بالّا يخبروا احدًا عمّا تمّ امامهم قبل قيامة ابن الانسان من بين الاموات كما ذكره متى ف ١٧ ع ٩ لقوله: لا تعلموا احدًا بالرؤيا حتى يقوم ابن البشر من بين الاموات. وهنا ايضًا يدعو نفسه ابن البشر. فيؤخذ من ثمّ والحالة هذه انه قد سعى له المجد مدة حياته باخفاء لاهوته ولم يشأ ان يظهر جليًا انه ابن الله الّا بعد قيامته وقد توقف هذا الظهور والاشتهار على تلقين الروح القدس الذي عند حلوله على الرسل أنار عقولهم وفتح اذهانهم فانتشروا اذ ذاك في العالم مبشرين بما تلقنوه. وقد ذكر القديس يوحنا ف ٨ ع ٥٠ ان المسيح قد قال: وانا لا اطلب مجدي فانه يوجد من يطلب ويدين. والطالب هو الروح القدس كما تبيّن ذلك ف ١٦ ع ١٤ حيث قال هو يمجدني لانه يأخذ مما لي ويخبركم. وقال ايضًا في الفصل نفسه ع ١٢ وان عندي كثيرًا اقوله لكم ولكنكم لا تطيقون حمله الآن ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق. ولا تغفل عن ان الروح القدس يُسمّى دائمًا روح الحق. وعليه فلا يكفي ان ننظر فقط في ما قاله قبل قيامته لنفهم كيف يتمّ انبثاق الروح القدس بل ينبغي ان نمعن النظر في ما قاله الرسل بعد حلول الروح القدس عليهم وانفتاح اذهانهم بمعرفة الكتاب. فاذا امعنت النظر في هذه المقدمة تسنّى لك ان تفهم ما مآل ما قاله السيد له المجد: ومتى جاء المعزي الذي ارسله اليكم من عند الاب روح الحق الذي من الاب ينبثق فهو يشهد لي وانتم تشهدون لانكم معي منذ الابتداء ف ١٥ ع ٢٦ و ٢٧

اما اليونان فلا يبحثون عن باقي النصوص وعلى الخصوص عمّا علمه الرسل بعد حلول الروح القدس عليهم وانارته عقولهم وفتح اذهانهم. فيقتصرون على النصّ المذكور: الذي من الاب ينبثق: وينتجون منهُ بان الروح القدس ينبثق من الاب وحده. ويجيب الكاثوليك بان السيح قال: انه من الاب ينبثق ولم يقل قط: من الاب وحده: ولم يشأ له المجد وقتئذٍ ان يصرّح بانبثاق الروح القدس منه لانه لم يشأ وقتئذٍ ان يظهر نفسه الهًا غير انه قد اشار مع ذلك اليه بتسميته الروح القدس روح الحق والمسيح له المجد هو الحق لقوله: انا هو الحياة والطريق والحق. وهو يشهد لي وانتم تشهدون لي. أليس من الواجب

اعتبار جميع النصوص التي تشير الى ما نحن فيه وعلى الخصوص ما أتى به الرسل بعد حلول الروح القدس عليهم

اولاً قال القديس متى ف ١٠ ع ٢٠ لانكم لستم انتم المتكلمين لكن روح ابيكم هو المتكلم فيكم. فاننا نرى في هذا النص ان يسوع المسيح قد سمى الروح القدس روح الاب وما ذلك الاّ لانه منبثق من الآب اذ لو لم يكن منبثقاً منه لما كان روحه. لنرَ الآن ما اتت به الرسل وعلّموهُ بعد حلول الروح القدس عليهم وفتح اذهانهم

قد جاء في الاعمال ف ١٦ ع ٦: بعد ان طافا فريجية وغلاطية منعهما الروح القدس ان يبشرا بالكلمة في اسيّة. ولكن في العدد الذي يلي هذا ع ٧ قد ذكر: ولما اتيا الى ميسية حاولا ان يسيرا الى بتينية فلم يأذن لهما روح يسوع. ولماذا سمّاه البشير روح يسوع أليس لانه منبثق منه. فكما انه يُسمى روح الاب لانه منبثق منه كذلك يُسمى روح يسوع لانه منبثق منه. وقد جاء في رسالة القديس بولس الى اهل غلاطية ف ٤ ع ٦: وبما انكم ابناء قد ارسل الله روح ابنه الى قلوبكم. أفيكون روحهُ ولا يكون منبثقاً منه. وقال القديس بطرس في رسالته الثانية ف ١ ع ٢١ انما تكلّم رجال الله القديسون محمولين بالهام الروح القدس. وقال في رسالته الاولى ف ١ ع ١١ ان هؤلاء اي الانبياء رجال الله: قد استقصوا في ماهية وكيفية الزمان الذي كان يدلّ عليه روح المسيح وجاء في رسالة القديس بولس الى اهل فيلبي ف ١ ع ١٩: لاني اعلم ان هذا يؤول الى خلاصي بصلاتكم وباعانة روح يسوع المسيح. وفي رسالته الى اهل رومية ف ٨ ع ٩: امّا انتم فلستم في الجسد بل في الروح ان كان روح الله حالاً فيكم ولكن ان كان احدٌ ليس فيه روح المسيح فهو ليس منهُ. ونرى ان القديس بولس يسمّي الروح القدس تارةً روح الله وطوراً روح يسوع المسيح ومرةً الروح فقط بدون اضافة الى شيء: أفهل انه متعدد. حاشا لانه هو نفسه يقول في رسالته الاولى الى اهل كورنتس ف ١٢ ع ١١ وهذا كله يعملهُ الروح الواحد بعينه

ولكن كيف امكن القديس بولس ان يسمّي روح الله روح المسيح. أليس لانه بانبثاقه من يسوع المسيح قد أُخذ عنه الجوهر والطبيعة والعلم الالهي. فقد اثبت ذلك يسوع المسيح نفسه بما جاء في بشارة القديس يوحنا ف ١٦ ع ١٣ وما يليه بان روح الحق هو يرشد الرسل الى جميع الحق وانه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكلما يسمع وانه يخبرهم بما يأتي وانه يمجد يسوع لانه يأخذ ممّا له

ويخبرهم. ذلك لان جميع ما للآب فهو لهُ وانه هو نفسه يخبرهم بانه روح المسيح المنبثق منه لانه يأخذ كل شيءٍ ممّا هو له. ولا تقل ان الروح القدس بانبثاقهِ من الآب قد اخذ منه كل شيء الجوهر والطبيعة والعلم الالهي فلم ينقصه والحالة هذه شيء؟ باخذه من يسوع المسيح. فقد استدرك لهُ المجد هذا الاعتراض فصلّه بما اشرنا اليه آنفاً ونصّه ف ١٦ ع ١٥: جميع ما للآب فهو لي من اجل هذا قلت لكم انه يأخذ ممّا لي ويخبركم. فيا ايها الاحباء الا تعتقدون ان يسوع المسيح اله حقيقي له كل الطبيعة الالهية. فان كان الهاً كاملاً حقيقيًا فكيف ينبثق الروح القدس من الاب ولا ينبثق منه ايضًا وهو والاب شيء؟ واحد. فان لم يكن منبثقًا منه فلا يكون له وللآب طبيعة واحدة وذات واحدة

ثانياً: قد قدمنا ان السيد المسيح قد تكلم عن لاهوتهِ بعبارات ملتبسة يصعب ادراكها لانه لم يشأ ان يظهره قبل موتهِ وتتمة سر الفداء. وعليهِ فلم يتكلم مدة تردده بين البشر عن انبثاق الروح القدس منه الا بما هو ملتبس يصعب ادراكه ويحتاج الى تأويل لان الانبثاق من اكبر الادلة واوضحها على لاهوتهِ تقدس اسمه فاضرب عن ايضاحه ولم يشرْ اليهِ الا ما قل. قد جاء في بشارة القديس يوحنا ف ١٤ ع ٦ انا هو الحق والحياة. وفي رسالته الاولى ف ٥ ع ٦ ذكر ان الروح القدس هو الذي يشهد ان المسيح هو الحق لقولهِ: والروح هو الذي يشهد ان المسيح هو الحق. فالمسيح اذاً هو الحق. ثم ان الآية نفسها التي يعتمد عليها اليونان في انكار الانبثاق عن الاب والابن معًا تعرب ان المعزّي الذي يرسله المسيح هو روح الحق والحق هو المسيح نفسه. أفلا يكون اذن المعزّي هو روح المسيح. والآية هي هذه: ومتى جاء المعزّي الذي أُرسله اليكم من عند الآب روح الحق الذي من الآب ينبثق فهو يشهد لي (يوحنا ف ١٥ ع ٢٦). وعليه فيقول القديس يوحنا فم الذهب: كيف يكون الروح القدس روح الحق ولا يكون روح المسيح فهو اذن روح الحق لانهُ ينبثق منهُ والحق هو المسيح يسوع. ويؤيّد ما نحن فيه ما جاء بهِ القديس يوحنا ف ١٦ ع ١٣: ومتى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما يأتي. وقد افصح عن ذلك لقولهِ ايضًا فيما يلي ع ١٥: جميع ما للآب فهو لي من اجل هذا قلت لكم انه يأخذ مما لي ويخبركم. فكأنهُ قال: ان الروح القدس يأخذ مما لي كما انهُ يأخذ مما للآب لان ما للآب فهو لي. ولكن ماذا ترى يأخذه منه أيكون غير الطبيعة الالهية وهي واحدة في الاقانيم الثلاثة وغير قابلة التجزّئ على الاطلاق. فاذاً اذا اخذ الروح شيئًا

من الابن فقد اخذ منه الطبيعة الالهية ومن ثم قد انبثق منه ايضاً

ثالثاً. ان السيد المسيح كلما تكلم عن نفسه يشير الى انه لم يتكلم من عنده بل بما سمعه من الاب لان الآب ارسله فأخذ عنه الجوهر الالهي لانه ولد من الآب. فكذلك كلما يتكلم عن الروح القدس يشير الى انه لم يتكلم من عنده بل بما يسمعه وانه يأخذ مما هو له ويخبر وان الاب يرسله وانه هو ايضاً يرسله لقوله: ان لم انطلق لم يأتكم المعزي. ولكن اذا مضيت ارسلته لكم وهو يأخذ مما لي ويخبركم. وقد ذكر القديس لوقا فـ ٢٤ عـ ٤٩ ان المسيح هو الذي يرسله لقوله: وانا ارسل اليكم موعد ابي. اما موعد الاب فهو الروح القدس. وجاء في بشارة القديس يوحنا فـ ١٤ عـ ٢٦ ان الاب يرسل الروح القدس باسم يسوع لقوله: واما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء. وفي فـ ١٥ عـ ٢٦ ان المسيح هو يرسله من عند ابيه لقوله: ومتى جاء المعزي الذي ارسله اليكم من عند الاب. وفي فـ ١٦ عـ ٧ ان ارساله لمتوقف على صعود المسيح لقوله: الا اني اقول لكم الحق ان في انطلاقي خيراً لكم لاني ان لم انطلق لم يأتكم المعزي. ولكن اذا مضيت ارسلته اليكم. أفلا ترى كيف ان الروح القدس يسمى تارة روح الاب واخرى روح المسيح وحيناً ان الاب يرسله ووقتاً ان المسيح هو الذي يرسله. فلو لم يكن منبثقاً من الاثنين معاً اي من الاب والابن لاستحال مثل هذا التعبير. وقد ذكر القديس يوحنا في بشارته فـ ٢٠ عـ ٢٢ ان المسيح اعطى الرسل الروح القدس لقوله. ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم: خذوا الروح القدس. فلو لم يكن الروح القدس فيه ومنبثقاً منه وآخذاً منه الطبيعة الالهية أفكان يمكنه ان يأتي بمثل هذا التعبير. أفما ساغ له ان يقول « خذوا » مع كون ما يعطي ليس له. فحاشاه سبحانه ان يقترف كذباً او يكون مخاتلاً يبدي خلاف ما يضمره وحاشاه ايضاً ان يرسل الروح القدس كمسلط عليه مع ان الاقانيم الثلاثة متساوية بالعظمة والكرامة: لا يرسل اذاً الروح القدس من الابن الا بحسبما ينبثق الروح القدس من الابن ايضاً

يقولون: فلو كان الروح القدس منبثقاً من الابن ايضاً فلماذا قد شهد انه منبثق من الاب وانه روح الاب وروح الله وان الله سيرسله

والجواب: قد استدرك السيد المسيح نفسه كل هذه المناقضات الظاهرة فأتى بما يصدع عنها رداء كل ريب. فقال: الذي يحبني يحبه ابي (يوحنا فـ ١٤ عـ ٢١) ومن يبغضني فانه يبغض ابي ايضاً (يوحنا فـ ١٥ ع ٢٣) على ان من يراني يرى الاب. وقال الى فيلبس: أما تؤمن اني انا في الآب وان الآب فيَّ (يوحنا

ف ١٤ ع ١٠) ألم يردف قوله هذا بان قال: الكلام الذي اكلمكم به لا اتكلم به من عندي بل الآب الذي هو مقيم فيَّ هو يعمل الاعمال. وفي ف ١٠ ع ٣٠ انا والآب واحد. فان الآب فيَّ وانا في الآب. الى غير ذلك من النصوص الواضحة التي تدلُّ على وحدة الآب والابن. ولكن اذا كان الآب والابن واحداً أليس ما يفعله الآب يفعله الابن وما يفعله الابن يفعله الآب. فان كان الآب ارسل الروح القدس فالابن ايضاً ارسله. والروح القدس ان كان منبثقاً من الآب فمن الضرورة ان يكون منبثقاً ايضاً من الابن. وان انبثق من الابن فمن الآب ايضاً. ان السيد المسيح قد نفخ في الرسل وقال لهم: خذوا الروح القدس. فيكون اذن روحهُ. ولمّا كان الآب في الابن كان الروح منبثقاً من الابن ايضاً

قال القديس يوحنا فم الذهب ان الروح القدس يصدر من الآب والابن صدور الماء من ينبوعٍ واحدٍ. وعليه جميع الآباء القديسين والليتورجيات. قال القديس كيرلُّس بطريرك الاسكندرية في مقالتهِ العاشرة على بشارة يوحنا قولاً بيّناً: يدعوه روح الحق والبارقليط ذاته لان الروح القدس ليس هو مستغرباً عن جوهر الابن الوحيد لكونهِ يصدر منه صدوراً طبيعياً ليس مختلفاً عنه بشيء فيما يناسب وحدانية الطبيعة. الّا انه لا بدَّ من الملاحظة بهذا وهو انه قبل فوتيوس كان الاعتقاد عاماً في الكنيسة في انبثاق الروح القدس من الابن. الامر الذي حمل مقدونيوس على ان يعلّم ان الروح منبثق من الابن وحده كما قدمناه فحرمهُ المجمع الثاني

دونك الآن بعض نصوص اقتطفناها عن ليتورجية الكنيسة اليونانية فانها تعرب عن وحدة الاعتقاد في انبثاق الروح القدس من الاب والابن: ترتل الكنيسة اليونانية في الميناون في قانون سحر اليوم الثامن من شهر ايار خطاباً للابن ما ترجمته: الروح القدس المنبثق من الآب الغير مبتدي والآخذ منك بلا تجزي يا كلمة الله والابن الوحيد: وترتل في التريودي في سحر سبت مرفع الجبن هكذا: ايها الاله الواحد المتعالي المثلث الاقانيم الاب الغير المولود والابن الوحيد والروح المنبثق من الاب الذي بالابن ظهر. ويقال في البنديكستاري في عشية خميس العنصرة هكذا: الروح القدس لم يزل الله معادلاً في الجوهر وفي العرش والجلسة معروفاً للاب والابن الكلمة. وقد علّم القديس كيرلس الاسكندري ان الروح من جوهر الاب والابن لقولهِ في كتابه الثاني من الكنوز في المقالة التاسعة والثلاثين. اذ هو صادرٌ من الاب والابن فقد اتضح انه من جوهر الاهي. وقال القديس اثناسيوس الكبير في قانونه متكلماً عن الروح القدس ما ترجمته: الروح القدس

من الاب والابن لا مصنوع ولا مخلوق ولا مولود بل منبثق . والشواهد كثيرة ليس محل لاستيفائها . الّا انه من اخذ يتصفح الكتاب المقدس وكان له بعض المام في تعاليم الاباء القديسين قد اتضحت له حقيقة الانبثاق من الاب والابن وضوح الشمس في رابعة النهار . ومن تعمَّد انكار ذلك لزمه اذا تروّى ان ينكر الوهيّة الروح القدس اذ لا يمكن الروح القدس ان ياخذ من الابن الّا الطبيعة الالهية الواحدة في الاقانيم الثلاثة *

الفصل الثاني

• في التقديس على الفطير •

كل مَن طالع الفصل الثاني عشر من سفر الخروج علم جليًّا ان اليهود لم يكن يمكنهم ان يستعملوا مدة الفصح غير الخبز الفطير وكان اليوم عندهم كما هو الآن يبتدئ بالعشي عند غروب الشمس وينتهي ايضًا بالعشي عند غروبها وكان محرمًا عليهم مدة سبعة ايام الفصح ان لا يستعملوا الّا الفطير كما جاء في السفر عينه ف ١٢ ع ١٩ : سبعة ايام لا يوجد خمير في بيوتكم . فان كل من اكل خميرًا تنقرض تلك النفس من جماعة اسرائيل من الدخيل والصريح في الارض . وكان من المحتم ايضًا عليهم ان يخلوا بيوتهم من الخمير منذ اليوم الاول من ايام الفصح كما جاء ع ١٥ : سبعة ايام تاكلون فطيرًا . في اليوم الاول تخلون منازلكم من الخمير . فان كل من اكل خميرًا من اليوم الاول الى اليوم السابع تنقرض تلك النفس من اسرائيل . وامرهم ان يقدموا كل يوم ذبيحتين الواحدة صباحًا والاخرى مساءً كما جاء في ف ٢٩ ع ٣٨ و ٣٩ : وهذا ما تقربه على المذبح حَمَلان حَوْليّان في كل يوم دائمًا احدهما بالغداة والآخر تقربه بين الغروبين . وعلى الخصوص في ايام الفصح كما جاء في ف ١٦ من سفر تثنية الاشتراع من العدد الثاني الى التاسع حيث يأمرهم الرب بان يذبحوا الفصح للرب من الغنم والبقر وان لا يأكلوا عليه خميرًا بل فطيرًا مدة سبعة ايام . اما اليوم السابع فيصير فيه الاحتفال للرب ولا يصنع فيه عمل وهو يوم السبت . واليهود لا يزالون يحتفلون ايام السبوت منقطعين عن جميع الاعمال وعلى الخصوص يوم السبت العظيم الذي يقع في ايام الفصح . والاغنياء منهم يذبحون من الغنم والبقر عددًا كبيرًا ويوزعون على فقرائهم ليأكلوا الفصح وكلهم يستعملون الفطير . والفصح معيَّن ابتداؤه في الرابع عشر من قمر شهر نيسان . فاذ تقرر ذلك نقول

ان الكنيسة الرومانية تعتقد ان السيد المسيح قد قدّس جسده على الخبز الفطير وهاك الادلّة التي تؤيد ما تعتقد بهِ

قد جاء في بشارة القديس متى ف ٢٦ ع ١٧ وفي اول يوم من الفطير دنا التلاميذ الى يسوع قائلين اين تريد ان نعدَّ لك الفصح لتأكل · فيوم الفطير اذن قد كان ابتدأ · والحَمَل لم يصر اكلهُ الّا مساء بعد غروب الشمس · وجاء في بشارة القديس لوقا ف ٢٢ ع ٧ : وبلغ يوم الفطير الذي كان ينبغي ان يُذبح فيه الفصح · فلا ريبَ والحالة هذه في ابتدائهِ · وجاء في بشارة مرقس ف ١٤ ع ١٢ وفي اليوم الاول من الفطير اذ كانوا يذبحون الفصح قال له التلاميذ اين تريد ان نمضي ونعدَّ لتأكل الفصح · أفيمكن والحالة هذه ان يكون التعبير اوضح من ذلك بان المسيح قد أكل الفصح في اليوم الاول من الفطير وذلك مساء بعد غروب الشمس كما يشير اليه هؤلاء الثلاثة الانجيليون : فالمسيح قد قدّس جسده بعد العشاء اي بعد أكل الفصح فهل امكنهُ ان يقدسه على الخمير والخمير محرَّم استعماله وقتئذٍ تحريماً كان يوجب الموت وعلى الخصوص كان محرَّماً عند أكل الفصح · فمن المؤكد اذن ان يسوع المسيح قد قدّس جسده على الفطير والّا كذبت الانجيليون الثلاثة وضلّوا

ان الكنيسة اليونانية اخذت منذ ميروﻻريوس فقط ان تزعم بان المسيح قد قدّس جسده على الخمير فيقولون اولاً : قد جاء في بشارة القديس يوحنا ف ١٩ ع ٣١ : ثم اذ كان يوم التهيئة فلئلّا تبقى الاجساد على الصليب في السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيماً · و ع ١٤ وكانت تهيئة الفصح وكان نحو الساعة السادسة · فالفصح اذاً لم يكن تمّ اكله بعد لانه كان يوم الجمعة وكانوا يتهيئون لاكله مساء والمسيح قد أكل الفصح يوم الخميس ومات يوم الجمعة فقد اكله اذن قبل اليوم المعين لاكل الفصح · وعليه فقد اكله على الخمير اذ لم يكن فطير حينئذٍ

ثانياً قد ذكر في بشارة يوحنا ايضاً ف ١٣ ع ١ انهُ قبل عيد الفصح لمّا كان يسوع يعلم ان ساعتهُ قد أتت · فيؤخذ من هذا ان المسيح قد اكل الفصح قبل عيد الفطير اي قبل اليوم الذي كانت الشريعة تعيّنهُ · فاكله اذن على الخمير لا على الفطير

ثالثاً وجاء ف ١٨ ع ٢٨ منها : ولم يدخلوا الى دار الولاية لئلّا يتنجسوا فيمتنعوا عن اكل الفصح · وكان ذلك صباح يوم الجمعة · فلما اكل اذن يسوع الفصح لم يكن يوم الفطير قد ابتدأ · هذه جملة ما يأتون بهِ من الاعتراضات لينفوا التقديس على الفطير

والجواب: قد قدمنا انفًا ما اجمع عليه الانجيليون الثلاثة متى ومرقس ولوقا من ان السيد المسيح قد اكل الفصح في اليوم الاول من الفطير وقتَ لم يكن في البيوت غيره لان الخمير كان أكلهُ محرمًا مدة سبعة ايام الفصح على ان كلاً من هذه الايام السبعة كان يسمَّى عيد الفصح وكل ذبيحةٍ مقدمة كانت فصحية لاكلهم اياها بالفطير كما جاء في سفر الخروج بان كل من اكل خميرًا تنقرض تلك النفس من اسرائيل. امَّا السبت الواقع في هذه الايام السبعة فكان يومًا عظيمًا واعظم السبوت يتهيئون لهُ باهمية كبرى. فالقديس يوحنا لم يذكر فيما قدمناه من النصوص سوى انه كان عشية يوم السبت ويوم التهيئة ليوم السبت العظيم فلا يوخذ من قولهِ هذا ان الفصح لم يكن قد ابتدأ انما يؤخذ ان اليهود قد كانوا في اهتمام عظيم ليوم السبت فيهيئون الذبائح في يوم الجمعة لئلاَّ يضطرّوا الى الاعمال يوم السبت. ثم لا ترى في هذه النصوص ذكرًا للحَمَل وما ذلك الَّا لانهم قد كانوا ذبحوهُ واكلوهُ يوم الخميس مساء بحسب ما عيَّنته الشريعة كما ذكره الانجيليون الثلاثة

ان المسيح اكل الفصح عملاً بشريعة موسى لانه قد شاء له المجد لان يكمّل كل الشريعة لقوله: ما جئت لاحلّ بل لأكمّل الناموس. واكل الفصح من اعظم الرسوم ولذلك سأله تلاميذه اين تريد ان نعدَّ لك لتأكل الفصح. وعليه فقد لزمه ان يأكله بمقتضى رسوم الشريعة والَّا امسى مناقضًا لذاته. فلو أكله على الخمير خلافًا لما تقضي به الشريعة أما كان اليهود قرفوه على ذلك بانه خرق الشريعة في اخص فروضها وقد اخترعوا ضده من الوشايات ما لا عبرة له البتة. أفهل امكن خفاء ذلك عنهم ويوداس الذي سلَّمه كان متكئًا معه في العشاء فقد سعى على سيده بالموت ألم يمكنه ان يلقي عليه وشاية في مخالفة الناموس والحال انه لم يذكر شيء؟ من ذلك. فالمسيح اذن لم يأكل الفصح على الخمير

امّا ما قال يوحنا البشير. وقبل عيد الفصح لمّا كان يعلم يسوع ان ساعته قد أتت الخ. فلم ينقض ما أتى بهِ سائر البشريين اذ كان من عادة اليهود ان يبتدئوا بايام الفطير من عشية الرابع عشر من الشهر مساء والعيد يبتدئُ في الخامس عشر لتوقف حساب اليوم من ليلتهِ كما جاء في الكتاب في سفر الاحبار ف ٢٣ ع ٥: في الشهر الاول في اليوم الرابع عشر منه بين الغروبين فصح الرب. ولكن الفصح لا بدَّ من اكله على الفطير. فان سمِّيت اليوم الرابع عشر يوم الفطير كانت تسميتهُ صحيحةً بمقتضى اليوم الكنائسي الذي يبتدئُ مساء. وان سمَّيتهُ قبل العيد صحّت ايضًا تسميتهُ بمقتضى اليوم الطبيعي الذي يبتدئ

عند طلوع الشمس وينتهي عند غروبها وهذا ما تبعه القديس يوحنا لقوله: وقبل عيد الفصح. ولا تغفل من البشير لانهُ لم يقل: قبل الفطير بل قبل العيد. لان الفطير قد كان ابتدأ اقتناؤهُ في البيوت لوجوب أكل الفصح فيه. امّا العيد فلم يبتدئ سوى اليوم التالي وهو الخامس عشر من الشهر

ثم من المحال ان يكون يسوع المسيح قد قدّس جسده على الخمير لان الحمل القديم كان رمزاً للحمل الجديد وهو يسوع المسيح ولم يوضع رسم الفطير في العهد القديم الّا ليتمّ عمله في العشاء السرّي. اذ قدس يسوع جسده واعطاه لتلاميذه ليأكلوه فالرسل قد اكلوا في العشاء الاخير حمَلين حمَل الشريعة القديمة التي انتهت. وحمَل الشريعة الجديدة التي ابتدأت. ومن المحتم على المسيحيين ان يأكلوا دائماً في عيد الفصح جسد يسوع المسيح الحقيقي وهو الحمَل المذبوح لاجل خطايا العالم

لا ريب ان الرسل قد قدّسوا جسد المسيح على الفطير كما اشار اليه القديس بولس عند تكلمهِ عن جسد المسيح وسر الافخارستيا في رسالته الاولى الى اهل كورنتس ف ٥ ع ٧ لقوله. فالقوا عنكم الخمير العتيق لتكونوا عجينًا جديداً كما انكم فطير. فانه قد ذُبح فصحنا المسيح. اي من كونكم تقدسون جسد ابن الله على الفطير وتأكلونهُ على هذه الصورة فانكم تصيرون فطيراً يتحتم عليكم ان تعملوا اعمالهُ لانكم عند اكلكم جسد المسيح فهو يكون الحيّ فيكم

قد حرّمت الشريعة القديمة تقدمة القربان على غير الفطير كما جاء في سفر الاحبار ف ٢ ع ٤ وان قرّبت قربان تقدمةٍ مخبوزاً في تنّور. فليكن جرادق من سميذ فطير. وان كان على طاجن فليكن فطيراً من سميذ و ع ١١: جميع التقادم التي تقربونها للرب لا تُعمل بخمير. فينتج مما تقدم امّا ان الروح القدس والانجيليين الثلاثة قد ضلّوا واضلّوا. او ان ثيرولاريوس هو الضالّ والمضلّ

قد جرت قديماً على الكنيستين الشرقية والغربية عادة التقديس بالفطير اقتداءً بالسيد المسيح وتقليدات الرسل. وقد استمرت هذه العادة الى ان ظهر في سورية وبلاد الكلدان بدعة تشبه البدعة التي حرمها الرسل فكان مآلها اجبار جميع المسيحيين على حفظ سُنن العهد العتيق من الختان وغيره مع سنن الانجيل. فلما بلغ ذلك ملوك القسطنطينية وبطاركتها شقّ عليهم ذلك وبدأوا يضطهدون اولئك الاراطقة. الّا انهم لم يتمكنوا من الاطلاع التام عليها لتستّر الداخلين فيها. فالجأهم الامر الى ان عقدوا مجمعاً خصوصياً في القسطنطينية سنة ٦٩٢ سموه مجمع الترولي وقرّروا انه من المتحتم على الكهنة ان لا يقدّسوا على

الخمير لدخول كثير من الكهنة في الارطقة وعلى العوام ان يتناولوا القربان تحت شكلي الخبز والخمر لان الاراطقة قد كانوا رفعوا الخمر من التقدمة. وعليهِ فتمكنوا من الاطلاع على الاراطقة من الكهنة والعوام وردعهم الى ان انقرضت الارطقة. وهذه العادة اي تناول القربان تحت الشكلين بقيت جارية في الكنيسة الشرقية الى يومنا هذا

فيؤيّد ذلك ما قاله القديس ابيفانيوس اسقف قبرص في ردّهِ على الارطقات فقال عن ابيون وشيعته: انهم من الحول الى الحول كانوا يكملون الاسرار في الكنيسة بالفطير اقتداء بالقديسين والجزء الاخر بالماء وحده. فاستعمال الفطير اذاً هو الذي كان جاريًا بين القديسين اي جمهور المسيحيين قال عنهم هذا ولم يطعن بهم من هذه الجهة. بل من جهة تقديم الماء وحده في الذبيحة. وعليه القديس يوحنا فم الذهب في تفسيره قول السيد لتلاميذه: اني لا اشرب معكم من عصير هذه الكرمة الى ذلك اليوم الذي اشربه معكم جديداً في ملكوت ابي. وقد جرت العادة بين الارمن في التقديس على الفطير منذ القديس غريغوريوس الذي مات سنة ٣٢٥ الى ايامنا هذه. والكنيسة اليونانية قد استعملت الفطير ايضًا في الاجيال الاولى وقد تدمنا كيف تمَّ ترك هذه العادة وهي ايضًا تكرم القديسين والباباوات من اللاتين واليونان الذين قدسوا على الفطير. ولكن كيف تكرم تديسين اراطقة وهي تُعلّم الآن ان التقديس على الفطير ارطقة كبيرة أفلا ترى ما في ذلك من التناقض القبيح أيُصدق قيرولاريوس وحده ويُكذّب جمهور القديسين والمجامع والليتورجيات واجماع المورخين والعلماء. فيا لعظمة قيرولاريوس

اعلم ان التقديس يصحّ ويجوز على الفطير والخمير. وقد اثبت ذلك المجمع الفلورنتيني بان سرّ الاستحالة يتمّ على الفطير والخمير. واستمرّت عادة التقديس جارية بين السريان الكاثوليكيين فضلاً عن الروم الملكيين والكلدان والقبط المتحدين ✱

الفصل الثالث

• في العماد •

اعلم ان العماد يكون امّا بالسكب وامّا بالتغطيس. فذهبت الكنيسة الكاثوليكية الجامعة الى صحته بالنوعين. امّا اليونان فقد قالوا في الاجيال الاخيرة ان العماد لا يصحّ الّا بالتغطيس. ولكن كل بصير يكون له ادنى المام في ما هي طقوس

الكنيسة وعوائدها وتواريخها او اراد ان يتروى فيما يرشده اليه العقل المستقيم. فلا اظنه يجترئ على قصر صحة العماد على التغطيس فقط

قد كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية فجاء الى بقعة الاردن كلها يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. فتقاطر اليه والحالة هذه كثير من الرجال والصبيان وكان يعمدهم بماء الاردن. نعمري هل ترى كان يتعرى كل منهم من ثيابه امام الجميع ليعمده يوحنا. أفيصنع هذا ولا يستولي عليه الحياء والخجل او يفقد اداب الحشمة. وكيف امكن لكل منهم ان يغطس ثلاث مرار في مجرى الماء والنهر عميق وجري مياهه سريع كثيرًا. او كيف امكن يوحنا ان يعجز عماد الوف من البشر ولزم ان يغطس كلاً منهم ثلاث مرات. أفيغطس كل منهم وحده. فعند ذلك لا يكون يوحنا معمداً لهم. بل كل معمد نفسه. مع ان يوحنا هو كان يعمدهم ودعي لذلك المعمدان. أفيمكن والحالة هذه ان يتم عمادهم بغير السكب اي بان يقف الواحد منهم في الماء ويوحنا يأخذ منه بيده ويسكبه على راسه. أليس على هذه الصورة قد اعتمد السيد المسيح نفسه والصور المثلة ذلك فكلها تشخصه واقفًا في النهر ويوحنا يسكب على راسه الماء. ثم أليس على هذه الصورة قد عمد القديس فيلبس خصيّ ملكة الحبشة: (اعمال الرسل ف ٨ عـ ٣٨)

ثم ان القديس بطرس خاطب الشعب بعد حلول الروح القدس على التلاميذ فرد الى الايمان في المرة الاولى ثلاثة الاف رجل وفي الثانية خمسة الاف رجل. وعمادهم كان امرًا مقطوعًا اذ لا خلاص بدونه. فكيف تم عمادهم وتتلذ وليس في اورشليم انهر ولا آبار تكفي لذلك فضلاً عن الخوف من اليهود المصرين على ضلالهم. أفهل امكن تعميد هولاء الالوف بغير سكب الماء على روسهم. وعليه قس تعميد الوف من المسيحيين

ان السيد المسيح قد امكنه ان يرسم العماد بالخمر او الزيت او غير سائل الا انه قد فضل الماء لكثرته وغزارته ووجوده في جميع الاماكن التي يسكنها الانسان تسهيلاً لقبول هذا السر الضروري للخلاص ضرورة الواسطة. فلو أمر بان يكون العماد بالتغطيس ثلاث مرات لامسى العماد صعبًا وفي غالب الاحيان غير ممكن لشدة البرد وغيره من الاسباب التي تجعل العماد محالاً كالامراض والحبس والسفر في البحار والقفار. أفيمكن مع هذه الظروف ان يصير الحصول دائمًا على قدر لتسخين الماء ووعاء كاف لتغطيس الطالب للعماد. ويقول بعض اليونان ولا يخجلون انه قد جاء في بشارة يوحنا ف ٣ عـ ٥ اجاب يسوع الحق

الحق اقول لك ان لم يولد احدٌ من الماء والروح فلا يقدر ان يدخل ملكوت الله. ألا يتضح من ذلك انهُ يلزم تغطيس الانسان كله ثلاث مرات ٍ تماماً ليُعَدَّ مولوداً من الماء. وامّا اللاتينيون لا يصنعون ذلك فتعميدهم اذن باطل

والجواب: ان السيد المسيح قال: ان لم يولد احدٌ من الماء والروح لا من الماء وحده لا يدخل ملكوت الله على ان الاشارة هنا عن الميلاد الروحيِ الناشئ عن سرّ المعمودية لا عن الميلاد الطبيعيّ. غير ان السيّد لهُ المجد شبه الاول بالثاني لان كلاًّ منهما مبدأ حياةٍ. فعلى زعمهم لا بدَّ للمعمَّد من تغطيسه بالماء والروح القدس معاً ولكن الرسل لم يغطّسوا بالروح القدس بل حلَّ لهُ السجود عليهم شبه ألسِنة ناريّة فولدوا ساعتئذٍ الميلاد الروحي الذي قد اشار اليه السيد المسيح بقوله ِ: ان لم يولد احدٌ الخ. ولما ارسل السيد المسيح رُسُلهُ الى اربعة اقاصي الارض قد قال لهم: امضوا وعمّدوا جميع الامم باسم الآب الخ. ولم يقل لهم: غطّسوا الامم. وعليه فانهُ لم يأمر بالتغطيس ولم يفضّلهُ على سكب الماء في مباشرة سر العماد. فمن اين ترى يوخذ وجوب التعميد بالتغطيس وعدم جواز التعميد بسكب الماء. قال النبي حزقيال متنبئاً عن عماد المسيح لهُ المجد ف ٣٦ ع ٢٥: وانضح عليكم ماءً طاهراً فتطهرون من جميع نجاساتكم. ولم يذكر التغطيس. وقال اشعيا النبي ف ٥٢ ع ١٥ في المعنى نفسه: هو ينضح امماً كثيرة. والنضح هو بمعنى السكب او الرش لا التغطيس

اعلم ان سنة ١٧٥٦ قد اتصل بطريرك القسطنطينية الى درجة افضت بهِ الى الهذيان فحرم كل من لا يعتقد من الروم ان البابا وسائر اللاتينيين هم وثنيون لا يصيرون مسيحيين ما لم يتعمدوا بالتغطيس. فشقّ ذلك على الروسيين فاستقبحوه وحرّموا من جهتهم ما أتى بهِ البطريرك القسطنطيني. امّا الروم فمترتب عليهم ان يعيدوا عماد كل من ينحاز اليهم من اللاتينيين والموارنة. فاذا انحازت اليهم امرأة كاثوليكية متزوجة فلا يعتبرون زيجتها الاولى لانعقادها مع وثنيّ ٍ وعليه فيزوجونها الى غير زوجها بعد اعادة عمادها كذلك اذا تزوجت ابنة من الروم بكاثوليكيّ ٍ تعمد بسكب الماء فانهم يفصلونها عن زوجها ما لم يرتضِ هو باعادة عماده ِ. وهذا امرٌ يعسرَ قبولهُ على كلِ كاثوليكي ويحرّم عليهِ على الاطلاق. هل ترى بعد اعادة العماد يعيدون ايضاً عقد الزيجة. لا علم لنا في ذلك ولكن لا يبعد عن الاصابة من يظن انهم يكتفون باعادة العماد ولو وجب عليهم اعادة زيجةٍ يعدّونها معقودةً مع رجلٍ وثنيّ ٍ. وان لا يصدق الروم ما قررهُ البطريرك القسطنطيني ولم يناقضه بقية البطاركة فاي رئيس

يهديهم الى الحق ويقيهم من الشرور والضلال حتى في امور الايمان الذي لا يستطيع احدٌ ان يُرضي الله بدونه كما قالهُ رسول الامم الى العبرانيين (ف ١١ ع ٦)

وزد على ذلك ان عادة التعميد سكبًا او تغطيسًا قد جرت في الكنيسة دائمًا ولم يناقضها احدٌ لا فوتيوس ولا قيرولاريوس قبل سنة ١٧٥٦ كما قدمناه. أليس ذلك دليلًا واضحًا على جواز العماديْن وعلى ضلال من نادى بعدم صحة العماد بسكب الماء ☆

الفصل الرابع

• في حالة الانفس بعد الموت •

اعلم ان شعب الله في الشريعة القديمة قد كان معتقدًا بان الانفس لا تدخل السماء قبل ان يتم سرّ الفداء والابرار ينتظرون خلاصهم في محل راحة لا عذاب فيها ولا عناء. اما مَن يموت متعرقلًا بخطيئة مميتة واحدة فكانوا يعتقدون انه يذهب لا محالة الى الجحيم مقرّ عذابات ابدية. وقد اثبت ذلك الكتاب المقدس بنصوص منها ما قاله القديس لوقا البشير (ف ١٦ ع ٢٢): ثم مات المسكين لعازر فنقلته الملائكة الى حضن ابرهيم ومات الغني ايضًا فدُفن في جهنم. هل ترى لا ينتج واضحًا من قول لوقا هذا ان بعض الانفس المحلولة من اجسادها هي في حضن ابرهيم اي في مقرّ النعيم وبعضها في جهنم. اما وجود عددٍ من الانفس في موضعٍ ليس النعيم ولا الجحيم فاننا ناخذ باثباته في الفصل الآتي. وعليه فلا حاجة الى ان نأتي بذكره في الفصل الحاضر

ان اعتقاد الكنيسة الكاثوليكية لموافق اعتقاد شعب الله في العهد القديم مع هذا الفرق وهو ان الكنيسة تعتقد بان المسيح بعد موته على الصليب انحدر الى اللمبوس فانقذ انفس الاباء القديسين المحبوسين هناك واصعدهم معه الى السماء ثم ان انفس الجميع كلها تخرج من السماء والجحيم عند القيامة الاخيرة فتأخذ اجسادها وتحضر الى الدينونة العامة. وحينئذٍ كلٌّ يُجازى بحسب اعماله صالحة كانت او طالحة وهذه الدينونة تجري علانيةً امام الجميع

اما الروم غير المتحدين فيزعمون انه ليس دينونة البتة بعد الموت وان الانفس المنفصلة من اجسادها لا تذهب لا الى الفردوس ولا الى الجحيم بل تجتمع في محلّ يدعونه اللمبوس تنتظر فيه الدينونة العامّة لتُجازَى بحسب اعمالها. وان الصلوات لا تفيد الموتى قطعًا. فان ماتوا ابرارًا فمن اولاد السماء. وان اشرارًا بخطيئة مميتة او عرضية فمن اولاد جهنم مدى الابدية ولا محلّ لتطهير الانفس.

فاعموا عيونهم حتى امسوا لا يفهمون ما يقرأون في الكتاب وما يتلونه من الصلوات لاجل الموتى

فما ترى البرهان على نَفْي انفس الابرار من السماء ومنعها عن التمتع بمشاهدة الله سبحانه بعد صعود الرب يسوع الى السماء وجلوسه من عن يمين الاب . أيظفر القائد باعدائهِ ويبقي جنوده مخذولة لا تتمتع بعذوبة الانتصار . فقد جاء في سفر ابن سيراخ ف ٢٤ ع ٤٥ : انفذ الى جميع اعماق الارض وانظر الى جميع الراقدين وأنير جميع الذين يرجون الرب . اي الابرار . ألا يصدق هذا القول على السيد المسيح القائم من بين الاموات القيامة المجيدة . وكيف انار له المجد جميع الذين يرجون الرب اي الابرار الراقدين سوى باشراكه اياهم في مجده السماوي كلًّا حسب استحقاقه . وقال النبي زكريا ف ٩ ع ١١ مخاطبًا المخلّص : وبدم عهدك انت ايضًا اطلقت اسراك من الجبّ الذي لا ماء فيه . فمن هم اولئك الاسراء الذين دعاهم النبي اسراء المسيح وقد أُطلقوا من الاسر بدم عهد المخلّص . أليسوا الابرار المحبوسين في اللمبوس الذي يشير اليه النبي بقوله في الجبّ الذي لا ماء فيه . فاذا لم يوجد فيهِ ماء فكم بالحري كان خاليًا من النار . وقال القديس بولس في رسالتهِ الى اهل افسس موضحًا سبب هذا الخروج لقوله (ف ٤ ع ٨) لمّا صعد الى العلى سبى السبي . وليس هذا السبي إلّا انفس القديسين الذين كانوا ينتظرون في اللمبوس فصعد بهم الى السماء

ثم يقولون : انه قد جاء في رسالة القديس بولس الى العبرانيين ف ١١ ع ٣٩ وما يليه : فهولاء كلهم المشهود لهم بالايمان لم يحصلوا على الموعد لان الله دبّر لنا تدبيرًا افضل وهو ان لا يحصلوا كاملين بدوننا . فاذن قديسو العهد القديم ليسوا في السماء ولا يحصلون على السعادة بدوننا اي قبل انتهاء العالم

الجواب : ان الرسول لم يقل قبل انتهاء العالم على ان الكتاب المقدس يميّز وقتين الواحد قبل المجيء الالهي والاخر بعده وبعد تتمة سرّ الفداء . وقد جرت العادة بتسميتهما بالعهد القديم والجديد . فان القديسين في العهد القديم لم يحصلوا على المجازاة الّا معنا نحن المسيحيين اي بعد قيامة المسيح الذي فتح باب السماء المغلق على إثْر خطيئة ادم . هذا ولا ننكر ان المجازاة التامة انما توخذ في انتهاء العالم عندما ترجع النفوس الى اجسادها فتتشارك الاجساد حينئذٍ اما بالعذاب واما بالسعادة

يقولون ايضًا : ان السيد المسيح قال لاحد اللصّين المصلوبَين معه : الحقّ الحقّ اقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس . والحال ان المخلّص لم يصعد ساعتئذٍ

الّا عن الفردوس الارضي فاذن لا دخول الى الفردوس السماوي الّا في انتهاء العالم

الجواب : ان قول السيح هذا يثبت جليًا عكس ما يزعم المعترضون لان السيد المسيح قد وعد ذلك اللص بانه يكون معه حيث يوجد هو نفسه في ذلك النهار. والحال ان السيد المسيح لم يذهب بعد موته الى الفردوس الارضي الذي لا وجود لهُ منذ الوف من السنين. بل لا علم للبشر في مقرّه الاصلي. بل سار الى ملكوت السماء الذي لا ضروري خلافه بعد اضمحلال وتلاشي الفردوس الارضي المخلوق لا للمسيح الذي لا يحتاج اليه بل لآدم وحوّاء ولنسلهما ايضًا لو لم يخالف ادم النهْي الالهي. والبرهان على ذلك قول السيد المسيح هذا: اما كان ينبغي للمسيح ان يتألم هذه الآلام ثم يدخل الى مجده. ومجد المسيح هو الملكوت فاذن عندما دخلت نفس المسيح الى مجده دخلت الى الملكوت ونفس اللص دخلت معه الى مجده فاذن دخلت الى الملكوت السماوي وفازت بالسعادة الابدية. وعليه فلماذا لم تحز هذه السعادة انفس الاباء القديسين ولماذا لم يفز بها ايضًا قديسو العهد الجديد

يقولون ايضًا : ان قصّة لعازر هي مَثَل لا حقيقة

الجواب: وعلى فرض كونها مَثَلاً فان السيد المسيح لم يأت بالامثال ليغشّنا بل ليعلّمنا حقيقة الايمان وعليه فالتعليم الذي يتضمنه هذا المَثل فلا بدّ من ان يكون صحيحًا وصادقًا. ثم ان قصّة لعازر ليست مَثَلاً بل حقيقة لان المسيح لهُ السجود يذكر اسمه الامر الذي لم يصنعه في سائر الامثلة التي كان يوردها واهل اورشليم لا يزالون الى الان يدلون على موضع منزله ويدعونه دار الغني المتنعّم

يقولون ايضًا : ان كان الموت تعقبه دينونة فما الافادة من الدينونة العامّة

الجواب : اعلم انه يحضر الى الدينونة الاخيرة العامّة الناس والشياطين ليُحاسَب كلٌّ على اعماله امام الجميع ومن الضرورة ان تظهر اعمال الخلائق الصالحة والطالحة خفيّة كانت او ظاهرة كما انه لا بدّ من ظهور صبر الابرار واحتمال الشهداء وقباحة الاثمة فضلاً عن ظهور عدل الله وطول اناته. ثم لا بدّ من ان يعمّ القضاء كامل الانسان فتحضر الاجساد منضمة الى نفوسها لتجازى علانيةً ويتمجّد الديّان العظيم بتجلّي كامل عدله وفائق سلطانه واقتداره على مرأى الجميع. أليس في كل ذلك افادة كبرى

يجدر بنا ان نذكر هنا بعض ما جاء في الليتورجية واقوال الاباء بخصوص سعادة الانفس : قال القديس يوحنا الدمشقي في الاكطويخس في اللحن الثالث : كل المخلوقات استنارت بقيامتك يارب وباب الفردوس انفتح ايضًا. وجاء في

الانتولوجي والينــاون في اليوم التاسع والعشرين من حزيران خطاباً للقديس بولس : لقد انخليت الان ايها الرسول وانصرفت الى المشوق منك دائماً ومعه تتصرف كخادم لهُ فلا تفتر من التوسل ان يجذبنا اليك نحن خدامك. وبعدها يقال : ليس الان بالرموز ولا بالمرآة يظهر لك المسيح لكنه يظهر وجهاً بازاء وجهٍ كاشفاً لك معرفة اللاهوت بالكمال. ويقال للشهداء في المعزي عشية الاربعاء من اللحن الاول هكذا : انتم ايها الشهداء الممدوحون ما اخفت الارض دماكم لكن السماء اقتبلتكم وفتحت لكم الفردوس القديم وصرتم داخله متمتعين بعود الحياة . هذا ومما اكثر الاقوال والنشائد والصلوات التي تدل على اعتقاد الكنيسة اليونانيّة بسعادة القديسين في السماء ومشاهدتهم الله وجهاً بوجهٍ. فمن العجب كيف يجترئ البعض منهم على انكار ذلك والشهادات واضحة والادلة قاطعة ولا مجال الى الريب ولا بوجهٍ من الوجوه. ولو اردنا ان نورد كل ما يرتله الروم في الليتورجيات بهذا الخصوص لامكنا ان نضع تأليفاً كاملاً انما اقتصرنا على ما اوردناه وحسبنا والله المهدي الى الصواب بمنه ونعمته وشفاعة قديسيه

لعمري قد ضلَّ من يعدّ من مقتضيات سعادة النفس انضمامها الى جسدها حال كون موضوع النفس وقواها انما هو الله سبحانه. والحال ان الله روح بسيط وعليه فيتمّ الاتحاد به بالافعال البسيطة الروحيّة اي بافعال العقل والارادة التي ترجع كلها الى المعرفة والمحبة. فلا شك والحالة هذه في ان النفس قابلة السعادة السماوية بدون توسط جسدها واشتراكهِ فيها. فاذا كانت هذه حالتها هل ترى يكون الله رحوماً وعادلاً في تأخير سعادتها الى انتهاء العالم. ألم يقل على لسان موسى الكليم : لا تبقَ اجرة الاجير عندك الى الغد (احبار ف ١٩ ع ١٣). أليست السعادة السماوية اجرة الانفس البارّة وفقاً لقول الرب الى ابرهيم الخليل: انا اجرك العظيم جداً (تكوين ف ١٥ ع ١) . فلا بدَّ اذن من ان يخوّل الله سبحانه الانفس القديسة ما لها عنده من الاجرة اي ما استحقته عنده من السعادة بنصوح خدمتها لهُ على الارض قياماً بوعده هذا الصريح : حيث اكون انا فهناك يكون خادمي (يوحنا ف ١٢ ع ٢٦). لعمري ان هذه الحقيقة لاوضح من الشمس في رابعة النهار ولا ينكر ضياءها الّا من كان اعمى ☆

الفصل الخامس

• في المطهر •

قد ورد في سفر المكابيين الثاني ان يهوذا المكابي جمع من كل واحد تقدمة فبلغ المجموع الفي درهم من الفضة فارسلها الى اورشليم ليقدّم بها ذبيحة من الخطيئة. ومدح الكتاب الالهي صنيعه هذا بقوله: وكان ذلك من احسن الصنيع واتقاه ف ١٢ ع ٤٣. فما الخطيئة التي تقدمت عنها الذبيحة. أكانت مميتة. كلا لان الخطية المميتة لا يمكن حلها بعد الموت بالاجماع فكانت اذن خطيئة يمكن حلها بعد الموت وهذه نسمّيها عرضية. ثم من تعرقل بهذه الخطيئة اين يكون. أفي السماء. فالابرار لا يحتاجون الى حلّ خطيئتهم فقد تطهّروا منها قبل دخولهم الى السماء. أفي جهنم. ولكن الهالكون لا يمكن الوفاء عن آثامهم فهم يتعذبون بنار ابدية لا تُطفأ. فهو اذن في مكان غير السماء وجهنم حيث يمكن الوفاء من الخطية وهذا المكان انما نسميه مطهراً. وقد اثبت هذا الاعتقاد السيد المسيح لقوله في بشارة القديس متى ف ٥ ع ٢٦: الحق اقول لك انك لا تخرج من هناك حتى توفي اخر فلس عليك. ولكن من اين تخرج النفس أمن السماء فمحال أمن جهنم فمحال ايضاً. فانها تخرج اذن من مكان يمكن الخروج منه وهذا المكان انما نسمّيه مطهراً

وجاء في بشارة القديس متى ايضاً ف ١٢ ع ٣٢: من قال كلمة على ابن البشر يُغفر له واما من قال على الروح القدس فلا يغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي. فمن الخطايا اذن ما تغفر في الاخرة والحال ان الخطايا المميتة لا يمكن ان تغفر. فالعرضية اذن هي التي تغفر. وذكر ايضاً في ع ٣٦ من البشارة عينها. ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس يعطون عنها جواباً في يوم الدين وانه لا يدخل السماء شيء نجس قبل ان يتنقى ويلبس حلة العرس. ولكن اين يتم جميع ذلك. أليس في مكان يمكن الخروج منه وهو المطهر

ان الكنيسة الكاثوليكية تعتقد مثلما كان يعتقد شعب الله قديماً بان كل من يموت بحالة الخطيئة العرضية كالكذب البسيط الذي لا يضر باحد لا يدخل السماء ولا يُقاص في جهنم بل يذهب الى مكان يتبرر فيه قبل دخوله الى السماء وهو المطهر لانهُ لا يدخل السماء شيء نجس قبل ان يتطهر. اما اليونان فيلزمهم ان يعتقدوا ان كل من يموت بحالة الخطيئة العرضية فلا بدَّ من ذهابهِ الى جهنم اذ لا يدخل السماء شيء نجس واذ لا يعتقدون سوى بوجود السماء

وجهنم. فمن لا يدخل الى السماء لا بدَّ لهُ من الهبوط في دركات جهنم

قد جاء في سفر الملوك الثاني ف ١٢ ان ناثان النبي قد أتى داود الملك ووبخهُ باسم الرب على قتله اوريا واخذه امرأته. فلما رجع داود لنفسهِ وعرف ذنبهُ واعترف بهِ بان قال ع ١٣ قد خطِئت الى الرب غفر لهُ الرب بفم نبيئه اذ قال: ان الرب ايضًا قد نقل خطيئتك عنك فلا تموت انت بل الصبي الذي لك يموت قصاصًا عليك لانك قد جعلت اعداء الرب يجدّفون. ثم لمّا تكبر وافتخر بكثرة شعبه وعظم نجاحه خيَّره النبي بين ثلاثة قصاصات اي الجوع والوباء والحرب وذلك وفاء عن خطيئتهِ اي خطيئة الكبرياء. فعلى هذه الصورة يفرض الكاهن بعد الاعتراف قانونًا على التائب وفاء عن خطاياهُ. وهذه عادة قديمة قد جرت في الكنيسة منذ اول انتشارها وكانت في اوائلها تأتي بقصاصات صارمة فمن القوانين ما كان يستمر سبع سنين ومنها خمس عشرة سنة ومنها احدى عشرة سنة. فالفسق كان قانونه يستمر سبع سنين والزنا خمس عشرة سنة والنكث في الحلف احدى عشرة سنة والجحود في الايمان كل الحياة: وكل من هذه القوانين كان معينًا ومدلّلًا المفروض عليه كما روى الاباء القديسون. امّا الآن فقد تغيَّرت هذه العادة وصار المعرِّفون ملتزمين بان يفرضوا قوانين طفيفة والّا تأخر الكثيرون عن التقدّم الى الاعتراف والوفاء عن خطاياهم. ولكن مَن لا يفي بالتمام عن خطاياهُ وقد مات فلا يذهب الى جهنمٍ لانه بري من الخطاء المميت بواسطة حلة الكاهن. ولا الى السماء لانه لم يتنقَّ من كل نجاسةٍ فيذهب اذن الى مكان يتم تبررهُ فيهِ وهذا المكان انما هو المطهر

هوذا انسان قد قضى ثلاثين سنة من عمرهِ يرتكب الخطايا المميتة. الّا انه قد اعترف قبل موتهِ وتاب عن خطاياه. فاليونان يعلّمون انه يصعد في آخر الزمان الى السماء نظير انسان قضى ثلاثين سنة من عمرهِ يمارس الفضائل ولا يرتكب خطيئة كبيرة. ولكن اين هنا المساواة في المجازاة. أفلا يناقض ذلك عدالة الله بل الصواب ايضًا. امّا الكاثوليكيون فيعتقدون ان مثل ذاك الخاطئ التائب عند ساعة الموت لا يصعد الى السماء قبل ان يفي في الآخرة بالتمام ما عليهِ من الدَّين ويتم الوفاء المقتضى. فاذا قد اتمَّ ذلك تصعد نفسه الى السماء. ويعتقدون ايضًا بان من مات متعرقلًا بخطاء عرضي. لا يذهب الى السماء قبل ان تتم تنقيته بالتمام وهذه التنقية لا بدّ من تتمتها في المطهر لان جهنم مكان العذاب لا التنقية. فقل لنا الآن ايّ تعليم احقّ أتعليم اليونان او تعليم الكاثوليكيين. فان التعليم الكاثوليكي في غايةٍ من المطابقة للعقل والكتاب

ورحمة الله سبحانه وعادة الكنيسة في تقدمة الصلوات عن انفس الموتى

قد قرر المجمع الفلورنتيني الذي حضره وامضاه اساقفة من اللاتينيين واليونان بل البطريرك القسطنطيني اليوناني ان الانفس التي تموت في محبة الله اي بريئة من الخطيئة المميتة ولم تنجز توبتها عمّا ارتكبته من الخطايا في الحياة الحاضرة لا بدَّ من تطهيرها وتنقيتها في الاخرة من خطاياها وان صلوات الاحياء تنفعها كثيراً. امّا نوع العقاب فلم يقطع في تعيينهِ أعذاب نارٍ هو ام غيره. فلا خلاف. هذا ما قرره مجمع عام أنيغلط مثل هذا المجمع

اما البرهان القاطع الذي لا يمكننا ان نتصوّر كيف لا يفهمهُ اليونان فهو ان كنيستهم القديمة كانت تعتقد بوجود المطهر وهم الى الان يتلون ما اتت بهِ من الصلوات والتضرعات لاجل الموتى على انهم يقدسون لاجل الموتى ويتضرعون لاجلهم ويطلبون الصفح عن خطاياهم واثامهم. فان كانت انفس الموتى في السماء او جهنم فما الافادة من كل ذلك. ودونك الان بعضاً مما تأتي بهِ الليتورجية اليونانية

منها ما يقال في البنديكستاري في سحر سبت العنصرة: خلّص وارحم ايها السيد السيح ونيّح نفوس شعبك المؤمن الذين بالامانةِ اكملوا الحياة في سائر انواعها وفي كل مكان وانقذهم من العقوبات المُرّة التي في الجحيم. ما هذا الجحيم أهو جهنم. فمحال

ومنها ما يقال في سحر السبت من اللحن الثامن: ايها المخلص اعتق عبيدك الذين في الجحيم من البكاء وبما انك متحنن وحدك انتزع كل دمعة من وجوههم. أنيعتقهم من جهنم أمن السماء. فلا بدَّ اذن من وجود مكان يمكن العتق منه

ومنها ما يقال في سحر السبت من اللحن السابع: ايها السيد نجّ من العقوبات الذين انتقلوا عنا بما انك محب البشر ومزّق صكَّ خطاياهم يا مَن طُعن جنبك بحربة فاعتقتنا واهّلهم لبهاء تديسيك واسكنهم في النعم الابدي. أفهل يحتاج الابرار الى النجاة من العقوبات والاشرار أيمكن انقاذهم من العذابات. فتأمل ولا محل الى استيفاء كل ما تأتي بهِ الليتورجية بهذا الخصوص من الصلوات والتضرعات التي تؤيد بما لا شبهة فيه انها كانت تعتقد قديماً بوجود المطهر كما تعتقد بهِ الكنيسة الكاثوليكية. وعلاوةً على ذلك فانها تمنح ايضاً غفرانات الأ انها قد نسختها وافسدتها بما يفعله بطاركة القسطنطينية واورشليم فانهم يعطون تذاكر الدخول في السماء ولا ينقص ثمن كلٍ منها عن الثلاثمائة قرش. اما

السينودس الروسي فملتزم ان يؤدي عن ذلك حساباً الى الحكومة وهذه التذاكر تصلح للاحياء والاموات

ولا يسعنا هنا ان نضرب صفحاً عمّا يُنسب الى التذاكر المار ذكرها من القوّة الفعّالة لانقاذ مقتنيها من العقوبات ولادخالهم الى السماء. فما ترى العقوبات التي تنقذ منها الاحياء والاموات. أعقوبات المطهر. كلاّ. اذ لا وجود للمطهر على زعم الروم غير المتحدين. والحال ان خارجاً عن عذابات المطهر لا عذابات في الآخرة الاّ العذابات الجهنمية. يجب اذاً القول ان تلك التذاكر تنقذ اصحابها من عذابات جهنم اذا استوجبوها. وهذا من المحال

ثم ان التذاكر عينها تُدخل اصحابها الى السماء. والحال انها لا تُدخل الى النعيم من هو اثم ولم تغفر خطاياهُ المميتة قبل وفاته. اذ لا قوّة لتذكرة او غفران في ان يُبرّر الخاطىء من خطاياه المميتة بعد موته. ولا خلاص قطعاً لمن استوجب الهلاك. وكذلك لا تُدخل الابرار الى السماء لان الابرار مستحقون السعادة الابدية باعمالهم الصالحة وحصولهم على حالة البرّ والنقاوة ولا حاجة لهم الى تذكرة وغفران. والحالة هذه فلا تنفع تلك التذاكر الاّ لمن يتّجر بها ولا يسلّم واحدة منها باقل من ثلثمائة قرش. يا لها من افكة وسخرية ممقوتتين ✿

الفصل السادس

• في الطقوس والعوائد اليونانية المختلفة عن الطقوس والعوائد اللاتينية •

اعلم ان ست قضايا تفصل الكنيسة الكاثوليكية عن اليونانية وهي : سلطان البابا. وانبثاق الروح القدس من الآب والابن. والفطير وسعادة القديسين. والمطهر. والعماد. اما كتاب «صخرة الشك» فقد اشار الى خمس قضايا فقط. لان الروس يؤمنون بصحة العماد نظير الكاثوليكيين. اما باقي المسائل فهي كلها تختص بالرتب والطقوس ولا تمسّ الايمان بشيء ✿

فصلٌ

• في زيجة الكهنة •

اعلم ان كل من كان متزوجاً لم يمكنه قديماً ان يصير كاهناً الاّ ان يسترضي امرأتهُ ويعيش كلٌّ منهما منفصلاً عن الآخر. ويؤيد هذه العادة القديمة ما نشاهده الان وهو ان مَن كان متزوجاً لا يمكنه ان يصير اسقفاً ابداً حتى في الكنيسة اليونانية نفسها اذ لا يُباح للكاهن اليوناني الذي ماتت امرأته ان يعقد زيجةً

ثانية. ثم قد قال بولس الرسول في رسالته الاولى الى اهل كورنتس (ف ٧ ع ٨) واقول لغير المتزوجين وللارامل انه حسنٌ لهم ان يبقوا على هذه الحالة كما انا. فان كان عدم الزواج حسناً لجميع المسيحيين أفلا يكون للكهنة احسن واشرف. وقال ايضاً (ف ٧ ع ٣٢ و٣٣) اني اريد ان تكونوا بلا همّ. فان الغير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضي الرب واما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته فهو منقسم. أفلا يترتب عليه ان يكنز الكنوز ويسعى في تربية اولاده وفي معالجتهم في امراضهم وتقدمة ما يحتاجون اليه من لوازم المعاش والتهذيب كما تقتضيه قوانين المحبة والاداب والدين أفلا يهمّهُ كل ذلك. اما الكاهن البتول فلا يهمّهُ شيءٌ من ذلك انما همته فيما هو لله وخلاص الانفس. فهذا ما يصنعه كهنة اللاتين اذ نراهم منتشرين في جميع اصقاع العالم. فالكنيسة لا تسمح لهم بعقد الزواج ابداً. اما بالنظر الى الكهنة الشرقيين الكاثوليكيين فتدعهم يتزوجون على سبيل التساهل والتسامح ❊

فصلٌ

❊ في اللحية ❊

ان اللحية قد يمكن حلقها وتركها فان كلاً من الحالين لا يمس الايمان او الكهنوت بشيء بل ولا طائل تحتهما. وعليه فالكهنة اللاتينيون يتركون لحاهم في الشرق على حالها جرياً على عادة الشرقيين. اما في الغرب فيحلقونها ما عدا الرهبان الكابوشيين. وقد جرت هذه العادة بين الغربيين اكراماً لسر الافخريستيا لما يوجد من الخطر في تغطيس الشوارب في الكاس عند المناولة. ثم تمييزاً للاكليروس من العوام منذ ما شرع كثير من العوام يرخون لحاهم. الا ان كهنة اليونان يتركون ايضاً شعور رؤوسهم ولا يحلقونها ابداً زاعمين ان المسيح لم يحلق راسهُ مع انهُ لا يمكننا ان نصنع كلما صنعهُ لهُ المجد ولا يمكن الاقتداء به في كل شيء. فان المسيح لهُ السجود قد اختتن أفهل ينبغي لنا ان نختتن ايضاً. هذا وان القديس بولس يحرّم طول الشعر مما لا ريب فيه لقوله في رسالته الاولى الى اهل كورنتس ف ١١ ع ١٤ او ما تعلّمكم الطبيعة نفسها ان الرجل اذا كان يربي شعر راسه فهو عارٌ لهُ. فمن المقرر ان هذه العادة لم تكن جارية في الكنيسة في بدايتها ❊

فصلٌ

• في المناولة •

ان السيد المسيح قد ناول تلاميذه في العشاء الاخير تحت شكلي الخبز والخمر لكونهم كهنة واساقفة. الّا انهُ تعالى لم يناولهم الخبز والخمر في وقتٍ واحدٍ بل ناولهم الخبز في اثناء العشاء. امّا الخمر فلم يناولهم اياها الاَّ بعد العشاء كما شهد لنا في ذلك بولس الرسول اذ قال: وكذلك الكأس من بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري (١ كورنتس ف ١١ ع ٢٥) امّا تلميذا عمواس فلم يناولهما المسيح الاّ تحت شكل الخبز كما جاء في بشارة لوقا (ف ٢٤ ع ٣٠) حيث قال البشير: ولما اتكأ معهما أُخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما. ولا ذكر البتة لمناولة الخمر. أليس في ذلك دليل على ان شرب دم المسيح تحت شكل الخمر ليس بمفروضٍ على جميع المؤمنين بغير استثناء. ألم يقبل الرسل المسيح كاملاً. اي جسدهُ ودمهُ ونفسهُ ولاهوتهُ قبل ان يشربوا الخمر التي سقاهم اياها المسيح بعد العشاء. فلا ريب في ذلك. ان المسيح بعد قيامتهِ لا يعود يموت كما صرح به القديس بولس (رومية ف ٦ ع ٩) فاذاً لا يمكن ان يُقبل جزءٌ منهُ دون الباقي. واذا تناولهُ احدٌ تحت شكل الخبز فقد تناولهُ كلَّهُ. وزد على ذلك ان كلاًّ من الرسل اخذ الكاس وشرب على انفرادٍ ولم يغمس الخبز في الخمر *

فصلٌ

• في الصلاة •

ان الغربيين وغالب الطوائف الشرقية يصلّون ركوعاً كما صلّى المسيح في مغارة بستان الزيتون اذ قال القديس لوقا: وخرَّ على ركبتيه وصلّى (ف ٢٢ ع ٤١). امّا اليونان فيصلّون وقوفاً. فايهما الحق. ثم ان اليونان يرسمون اشارة الصليب بثلاثة اصابع دليلاً على الثالوث الاقدس. امّا اللاتينيون فيرسمونها بالاصابع الخمسة ويلفظون اسماء الاقانيم الثلاثة ويشيرون بالاصابع الخمسة الى خمس جراحات يسوع المسيح *

فصلٌ

• في الصوم والقطاعة •

اعلم ان كلاًّ من الصوم والقطاعة ليس على طريقةٍ واحدة بين اللاتينيين وكنائس

الشرق المختلفة. قال السيد المسيح ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان بل ما يخرج من الفم هو الذي ينجس الانسان (متى ف ١٥ ع ١١). أُكل آدم من ثمار الشجرة فاخطأ لانه خالف الوصية. فالسيد المسيح لم يرسم الصوم ولا القطاعة انما الكنيسة قد رسمت كلاًّ منهما حسبما يقتضيه اختلاف الاماكن وحالات الشعوب. والطاعة واجبة لما تأمر بهِ الكنيسة لقولهِ تعالى. ان من لا يسمع من الكنيسة فليكن عندك كوثنيّ وعشَّار. وعليه فمن لا يصوم في الايام المعينة فيقترف خطيئةً كبيرة اذا لم يكن لهُ داعٍ يعذرهُ من ذلك. وهي ايضًا رسمت القطاعة ولها ان تعفي منها عند الضرورة والاحتياج. فهي تعفي من الصوم والقطاعة كل من كان غير قادر على تتميمهما اما من قبل المرض او لعلةٍ اخرى. كالاتعاب الشاقة وصغر السن والحبل في النساء الى غير ذلك من الاسباب الصوابية. وهي تأذن ايضًا باكل اللحم لمن يضرهُ اكل الزيت. وكل ذلك لكون الكنيسة واضعة الوصية وغير قاصدة ضرر الاجسام بل نفع الانفس. وكما ان لها سلطان الربط فلها كذلك سلطان الحل والعفو

اما الكنيسة اليونانية فلا تعفي من الصوم والقطاعة ولو مسَّت اليه الحاجة. وانتهاك الصوم او القطاعة لديها اثقل جرمًا من التجاديف والمسبَّات ضد الايمان والدين. مع ان السيد المسيح قد صرَّح ان ما يدخل الفم لا ينجس الانسان بل ما يخرج من الفم كالتجاديف والمسبَّات الخ هو الذي ينجس الانسان. فكم من اليونان ينهكون الصوم والقطاعة لما هم عليهِ من الضعف وانحراف الصحة ويقلق ضميرهم لان اكليروسهم لا يسمحون لهم بذلك. وكل من الطوائف الشرقية تتبع طقسها وجوبًا. انما الكاثوليكيون منها فيتساهل معهم احيانًا رؤساؤهم حسبما يقتضي الحال والظروف ولا لوم عليهم من هذا القبيل لانه من الواجب على الراعي ان يرعى غنمهُ بحكمةٍ وفطنة ولا يبدي نحوها تارةً تأول الى شرها لا الى خيرها ✫

فصلٌ

• في مسحة المرضى •

قد جاء في بشارة القديس مرقس (ف ٦ ع ١٣) ومسحوا اي الرسل بالزيت مرضى كثيرين فشفوهم. وقال القديس يعقوب الرسول في رسالتهِ (ف ٥ ع ١٤) هل فيكم مريض فليدع كهنة الكنيسة وليصلّوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب. فان صلاة الايمان تخلص المريض والرب ينهضه وان كان قد ارتكب خطايا

تغفر له. لمّا هذا الزيت فهو زيتٌ مكرّسٌ لمعلونة المرضى نفساً وجسماً. ويتم تكريسهُ كل سنةٍ يوم الخميس من الجمعة العظيمة. فكهنة الكاثوليك يمسحون باصابعهم ويصلّون على المريض عند وجوده في خطر الموت فيشفى وتُغفر خطاياه. امّا الشفاء فليس لمراً مقطوعاً به. اذ لا بد من الموت اخيراً. وقد يشيع المقلقون بين الشعب البسيط من الروم ان الكاهن الكاثوليكي عندما يباشر المسحة الاخيرة يقتل المريض ويأخذ نفسه. وما ذلك الّا من الاراجيف الوخمة التي تتعمدها اصحاب الغايات فيفسدون الضمائر مع انه من المقرر ان كثيرين من المرضى يحصلون على الشفاء بعد قبولهم المسحة الاخيرة من يد الكهنة الكاثوليكيين. ومن المحقق عندنا ان المفترين على كهنتنا لولا شدة الغرض لقرّوا بانهم عارفون بين الكاثوليكيين اناساً مُسحوا بزيت المرضى المقدس اكثر من دفعةٍ واحدة ولا يزالون الى الان في قيد الحياة بل فيها يرام من الصحة والرفاهية

الّا انهُ اذا تعذر على المفترين اثبات افترائهم فلا يصعب علينا اثبات وجود كهنةٍ روم يمسحون ابناء رعيتهم بعد وفاتهم لتيقّنهم الباطل ان المسحة تفيد نفسهم حتى بعد افتراقها من الجسد ودخولها الى الابدية ☆

الفصل السابع

• فيما يعتمده اليونان في اثبات كون كنيستهم هي الحقيقية •

تثبت الكاثوليكيون ان كنيستهم هي الحقيقية بشهادات الاناجيل المقدسة بان المسيح اقام رئيساً على كنيسته. ثم بشهادات المجامع المسكونية بحيث اعترفت ان القديس بطرس وخلفاءهُ هم الرؤساء الذين اقامهم السيد المسيح على كنيسته. ثم بشهادات ياخذونها عن الكنائس المنفصلة نفسها بحيث جميعها اعتقدت قبل انفصالها ان بطرس انما هو الرئيس الذي اقامه السيد المسيح راعياً يسوس كنيسته كما يؤخذ عن ليتورجية الكنيسة اليونانية نفسها حسبما اسلفنا بيانهُ في الفصول السابقة. امّا الكنيسة اليونانية فليس لها شيء من ذلك في اثبات كونها الكنيسة الحقيقية اذ لا نجد لا في الاناجيل المقدسة ولا في المجامع المسكونية ولا في ليتورجيتها ولا اعتقادها القديم ما يشير الى ما يدّعون به. على اننا لا نرى ان احد المجامع المسكونية قرّر ان ليس لبابا رومية الرئاسة العامة على كنيسة المسيح او نادى بان البطريرك القسطنطيني رئيسٌ عامٌ مقام البابا. بل نرى ان البطريرك قد اقام نفسه رئيساً عامّاً على الكنيسة الشرقية. غير ان اليونان يأتون

ببعض حجج اثباتًا لرئاسة البطريرك القسطنطيني : وهاك تلك الحجج وتفنيدها

يقولون اولاً . ان السيد المسيح قد بنى كنيسته على اثني عشر رسولاً متساوين كلهم في الشرف والسلطان . اما بطرس فلما كان اول من تبع السيد المسيح وكان اكبر سنًّا من بقية الرسل قد كان له اولية الشرف ولذا قد اعتاد بطاركتنا ان يدعوا اسقف رومية اخانا الاكبر . ثانيًا : ان البابا اسقف رومية مساوٍ لسائر الاساقفة . امَّا لما تنصَّر الملك قسطنطين وكانت رومية مستقرَّ وعاصمة مملكتهِ صار لاسقفها الاوليَّة في الشرف ولكن لما نقل الملك كرسيهُ الى القسطنطينية انتقلت ايضًا اوليَّة الشرف الى اسقف القسطنطينية . فاذا تبيَّن لهم ما في ادمغتهم هذا من الغي الباهظ قالوا ثالثًا : ان البابا قد كان لهُ اوليَّة الشرف الى ان ضلَّ في الايمان لانه منذ ذلك الزمان قد فقد تلك الاوليَّة وانفصلت عنهُ الكنيسة اليونانية فانتقلت الاولية الى اسقف القسطنطينية . رابعًا . ان اصل الكنيسة كلها يوناني . خامسًا : ان الاناجيل الاربعة قد كُتبت في اللغة اليونانية الاوليَّة . سادسًا : ان الملك قسطنطين وأُمه الملكة هيلانة يونانيان . سابعًا : انه قد كُتب على صليب المخلص في اللغة اليونانية . ثامنًا : ان الآباء القديسين اي كلهم يونانيون ومثلهم المسيحيون الاولون . تاسعًا : ان اليونان هم الذين حفظوا الايمان الصحيح . عاشرًا : انهم يؤمنون كما تعلّم المجامع السبعة المسكونية . حادي عشر : ان الكنيسة اليونانية لم تضلَّ قط في الايمان . ثاني عشر : ان البابوات قد ضلُّوا في الايمان . ثالث عشر : ان البابا قد اقام نفسه رأس الكنيسة وانه يدَّعي انه لا يخطئ وانه معصوم عن الغلط

الجواب : لا اسألكم ايها الاحبَّاء الاَّ ان ترفعوا ما تلقيه الاوهام من الغشاوة على عقولهم وتمعنوا النظر في ما تقوم به الحقيقة

اولاً قد بيَّنَّا ان القديس بطرس لم يكن اول من تبع السيد المسيح بل ان اخاه اندراوس قد قاده اليه سبحانه وانه لم يكن الاكبر سنًّا بين الرسل . ثم اي مورخٍ يأتي بقصة قسطنطين وهيلانة ويذكر انهما كانا يونانيين . وعلى فرضٍ انهما يونانيان فان الكنيسة قد كانت قبلهما ثلاثمائة سنة والمسيح له المجد لم يبنِ كنيسته على قسطنطين او هيلانة او على احد الملوك بل على بطرس وحده . واذا كانت اولية الشرف التي لاسقف رومية قد توقفت على كون رومية كرسيًّا لملك المسيحيين وانها انتقلت منه عند انتقال الكرسي منها أفلا ينتج انها انتقلت ايضًا عن بطريرك القسطنطينية بعد انتقال كرسي ملك المسيحيين منها . وعليه أَيحق للبطريرك القسطنطيني أن يدَّعي اوليَّة الشرف بازاء روساء اساقفة العواصم المسيحية

ثانياً. يقول البطريرك القسطنطيني ان لبطرس وخلفائهِ اولية الشرف فقط لا اولية السلطان والسياسة وعليهِ فلا يحق للبابا ان يقيم بطاركة واساقفة وينتخبهم ويعزلهم. ولا ان يجمع مجامع ويحلها ويثبت احكامها او ينقضها وعليهِ فلا سلطان لهُ على كل الكنيسة. امَّا البطريرك القسطنطيني فقد نال اوليَّة الشرف عند انتقال الملك الى تلك العاصمة رغماً عن زعمهِ ان المسيح قد اقام الاثني عشر رسولاً متساوين في الاولية والسلطة. يا للعجب. اذا صدق القول ان الاثني عشر كانوا متساوين شرفاً وسلطةً فمن اين امتياز البطاركة عن اساقفتهم وتسلطهم على هولاء. أمن الملوك ام السلاطين. كلاَّ اذ لم يكن في وسعهم ان يخوّلوا غيرهم سلطاناً ليس لهم ولم يفوضه اليهم الرب تعالى. أجاء امتيازهم وسلطانهم من الاساقفة. كلاَّ لانهم منكرون رئاسة البابا بحجةِ ان السيد المسيح لم يميّز بطرس عن بقية الرسل بل جعل جميع الرسل متساوين. وعليه فمستقبحون اقامة احدهم رئيساً على الغير فضلاً عن ان البطريرك المقام على هذا النمط يسوغ لخلفاء منتخبيه رفضهُ وعدم الاقرار برئاستهِ لكون تلك الرئاسة من الناس لا منهُ تعالى

والثابت من التاريخ ان كرسي القسطنطينية لم يكن الاَّ اسقفياً الى عهد المجمع الثاني المعقود في تلك العاصمة سنة ٣٨١ اذ انهُ قد نقل اليها الكرسي البطريركي المقام سابقاً في مدينة هيراكلية من بلاد طراكيا وقد صرح في قانونهِ الثالث ان اسقف رومية الجديدة يكون له فيها بعد اولية الشرف بعد اسقف رومية القديمة. وسنة ٤٥١ قد ثبَّت المجمع الخلكيدوني القانون المشار اليه دون ان يزيد شيئاً على اولية الشرف. والحالة هذه فكان انشاء البطريركيات جميعها من الكنيسة الكاثوليكية. امَّا الكنيسة اليونانية المنفصلة وغيرها فقد خالفت هذا النظام واقامت زوراً بطاركة لا تثبيت لهم سوى من السلطة المدنية .

ثالثاً. على فرضِ ان البابا قد ضلَّ في الايمان فمن اين يحقّ لبطريرك القسطنطينية ان يقيم نفسه رئيساً مسكونياً لكل الكنيسة ويدبّرها تدبير رئيسٍ عام وخليفة السيد المسيح. وعلى فرض وجود هذا الحق ألاَ يكون أولى بالبطاركة الأُخر الثلاثة. أليس كرسيهم اقدم من الكرسي القسطنطيني. ثم على فرض لزوم اقامة رئيسٍ جديد على الكنيسة أفلم يكن الحق للمجمع المسكوني. فايُّ مجمع من السبعة الاولى يذكر انهُ اقام بطريرك القسطنطينية رئيساً عاماً لكنيسة المسيح. فان هذه المجامع قد تمّت بزمان مديد قبل ان يقيم فوتيوس نفسه رئيساً عاماً للكنيسة ولولا معاونة الملوك لما تمكّن فوتيوس ولا ميرولاريوس من اخذ هذا اللقب

وعلى فرض ان احد المجامع قد فوّض هذا السلطان الى البطريرك القسطنطيني فيكون اجرى شيئًا لا يقدر عليه المجمع نفسه لانه لا يقدر ان يأتي بشيء يكون مخالفًا لارادة السيد المسيح وهو له المجد على زعمهم اقام الاثني عشر متساوين. وعليه فلا يمكن المجمع نفسهُ ان يصنع تفاوتًا ما بين الاساقفة لانه بذلك يكون قد قرّر شيئًا مضادًا لارادة المسيح وغيّر شيئًا ممّا رسمه لهُ المجد

يقول البطريرك القسطنطيني ان البابا قد ضلّ في الايمان والبابا يقول القول عينهُ عن البطريرك. فمن له والحالة هذه ان يحسم مثل هذه المسئلة الكبرى ومن هو الاجدر بان يُصَدَّق. فلا واسطة لحسم ذلك المشكل سوى التئام مجمعٍ مسكونيٍّ لانه من كونهِ معصومًا عن الغلط فيمكنه ان يحسم المسئلة بلا مراجعة. والحال قد التأمت ثلاثة مجامع مسكونية لحسم هذه المسئلة. فاولها قد صار التئامه في القسطنطينية وهو الطلق. والثاني في ليون. والثالث في فلورنسا. وهذه المجامع قد حضرها جمهور من اللاتين واليونان وجميعهم قرّروا ان البطريرك قد ضلّ. فلمن نذعن والحالة هذه. هل لعصمة المجامع الثلاثة او لفوتيوس وقيرولاريوس اللذين قسما الكنيسة. فتأمل

الّا انهم يجيبون قائلين: اننا نرفض هذه المجامع الثلاثة لانها لم تكن حرّة ومن ثم لم تكن مسكونية صحيحة. ولكن رفضهم هل يكفي برهانًا على عدم صحتها. فان الارمن والسريان والكلدان والقبط الغير الكاثوليكيين يرفضون المجامع المسكونية التي تمّ التئامها في افسس وخلكيدونية وهم يحتجّون نظير اليونان ان هذه المجامع ليست صحيحة لانها لم تكن حرّة. أفيكفي رفضهم هذا لابطال هذه المجامع. ولا يخفى ان اليونان لم يرفضوا المجمع الثامن الّا على عهد قيرولاريوس الذي جدّد واتمّ الانفصال سنة ١٠٥٤ اي ١٦٨ سنة بعد موت فوتيوس. ومن الغريب تقلّبات هذه الكنيسة فانها قد انفصلت خمس مرار. ثم رجعت وقد حضرت مجمع ليون وفلورنسا ورفضت والفت كلما علّمه فوتيوس وقيرولاريوس. ثم رجعت الى ما كانت عليه الى ان تمّ الانشقاق الاخير الذي لا تزال تتقلب بدياجيراضاليله.

نعم ان ليس لنا في العربية كتب تاريخية تنبيء عن ذلك غير ان المورخين الغربيين واليونانيين قد افصحوا بما لا مزيد عليه من البيان عن الانفصالات وعمّا جرى في المجامع وعمّا قررته واذاعته. وعدد تلك الكتب يكاد لا يحصى. اما فوتيوس ثم قيرولاريوس فقد شوّشا كثيرًا من الاخبار وادخلا بين المجامع العامّة بعض مجامع خصوصية كانا عقداها بمعيّة محازبيهما بلبلةً للافكار واحادةً لها عن الكنيسة الكاثوليكية. وقد اسلفنا بيان ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب

اما قولهم ان الكنيسة اصلها يوناني فلا طائل تحته اذ انه من الثابت ان المسيحيين الاولين كانوا كلهم يهوداً وقد اقتصرت الكنيسة في مبدئها على تعميد اليهود فقط وان اول من ارتد الى الديانة المسيحية من الوثنيين كان رومانياً وهو كرنيليوس قائد المائة الذي عمده القديس بطرس ثم السريان وقد تسموا مسيحيين في انطاكية. ثم سائر الامم بدون فرق وتمييز ولا اظن ان المتفقهين من اليونان يأتون بمثل هذا الاعتراض الدالّ على غريب جهل المعترض به

وقس على ذلك قولهم ان الاباء القديسين كانوا كلهم يونانيين اذ لا يحملهم على مثل هذه الاقوال وهذا الزعم السخيف الا عدم اطلاعهم على التواريخ الكنائسية. ألم يشتهر بين اباء الكنيسة المقدسة القديس هيلاريوس والقديس امبروسيوس والقديس اغسطينوس والقديس يرونيموس والقديس مكسيموس والقديس مرتينوس التوراني والقديس ايزيدوروس وإيلدفنس الخ. وكانوا جميعهم لاتينيين. واذا حصرنا المسألة في اباء الشرق هل يسوغ القول ان جميعهم كانوا يونانيين. لا لعمر الله. نعم ان غالب الاباء الشرقيين قد الفوا تآليفهم في اللغة اليونانية وسببه ان اسكندر الكبير لما افتتح الشرق واقتسمت قواده الاربعة بعد موته مملكته ما بينهم امسى الشرق كله وقتئذٍ خاضعاً لليونان من مصر الى اسيا الصغرى فاضطرَّ والحالة هذه سكانه الى ان يتعلّموا لغة ولايتهم ليتمكنوا من الارتقاء الى المناصب والمعاملات التجارية وغيرها. فلم يطل الزمان الا اضحت هذه اللغة عامة خصوصاً بين المصريين والسوريين. ولما تغلّب الرومانيون على بلاد اليونان وسورية ومصر وسائر الشرق نهجوا هم ايضاً تدريس اللغة اليونانية حتى ان كل من كان يرغب ان يتوظف في الشرق كان من المتوجب عليه ان يتعلمها قبلاً. وعليه فبقيت هذه اللغة على ما كانت عليه من الاشتهار والانتشار فنرى والحالة هذه ان بعض الاباء السريان والارمن والقبط كتبوا باليونانية وذلك لتكون تآليفهم مأنوسة مفهومة من الجميع. لانهُ لو كتب كلٌّ منهم في لغتهِ لانحصرت تآليفهم بين اولاد جنسهم فقط. وهذا انما هو ما حمل غالب الانجيليين على كتابة بشارتهم في اللغة اليونانية. ولكن هل يؤخذ عن ذلك ان الاباء والانجيليين الذين كتبوا باليونانية قد كانوا يونانيين كما هل يُعَدُّ افرنسياً كل من يكتب بالافرنسية من اهالي مصر وسورية وروسية وغيرها. وهنا فليسمح لنا ان نذكر بعضاً من الاباء القديسين الذين كتبوا باليونانية ولم يكونوا يونانيين والكنيسة اليونانية لا تزال تُعيّد لهم. وهم القديس غريغوريوس النيصي والقديس باسيليوس الكبير والقديس غريغوريوس الثاولوغوس فكانوا كلهم من بلاد الارمن. والقديس

اثناسيوس وثاوفيلوس الاسكندري والقديس كيرلس واكليمنضوس الاسكندري كانوا قبطيين اي مصريين . والقديس يوحنا الدمشقي والقديس يوحنا فم الذهب كانا سوريين . وغيرهم كثيرون ليس محل هنا لاستيفاء اسمائهم قد كتبوا في اليونانية ولم يكونوا مع ذلك يونانيين . والحالة هذه فباي حق وصواب يدعي اليونان ان اصل الكنيسة انما يوناني وان الآباء القديسين جميعهم يونانيون . ألا يوجب ادعاء كذا ضحك وسخرية كل من له ولو ما قل من الالمام في الكتب المقدسة والتاريخية . والحق يقال ان الكنيسة اليونانية بدلاً من ان تدعي اصل الكنيسة يجب ان تعد اصل اكثر البدع التي نبعت في الشرق وافسدته وشوهت محياه . ألم يكن نسطوريوس بطريرك القسطنطينية ومبتدع هرطقة الكلدان المنفصلين . ألم يكن اوطيخا راهباً يونانياً أقيم ارشمندريطاً على احد الاديرة المجاورة القسطنطينية وافسدت هرطقته السريان المعروفين الآن باليعاقبة والارمن غير المتحدين بالكنيسة الكاثوليكية . ألم تنفصل الكنيسة اليونانية من الكنيسة الكاثوليكية اي العامة بمساعي فوتيوس وقيرولاريوس ومرقس الافسوسي وكانوا ثلاثتهم من بنيها بل من اعمدتها اذ كان الاول والثاني بطريركين والثالث اسقف افسس

ثم يقول اليونان اننا نؤمن بما تعلم المجامع السبعة الاولى المسكونية ولذلك لا نضل في الايمان ابداً

نجيب : انه من المؤكد اولاً ان المجامع السبعة الاولى قد علمت ان البابا خليفة القديس بطرس رئيس الكنيسة كلها كما شهدت ولا تزال تشهد به ليتورجية الكنيسة اليونانية نفسها . ثانياً : من المقرر ايضاً ان المجامع السبعة الاولى لم تعترف برئاسة بطريرك القسطنطينية على كل الكنيسة . اما اضافة كلمة «والابن» على قانون الايمان فمن المعلوم انه قد التأم خمسة مجامع مسكونية بعدها ولم تقرر انها هرطقة . وفوتيوس نفسه لم يحتج بها قبل انفصاله الثاني عن الكنيسة . أتكون هذه الاضافة هرطقة ولم تذكرها المجامع ولم تحرمها قط . ألا تعتقد بكون المجامع المسكونية معصومة عن الغلط على الاطلاق . اما فوتيوس فقد احتج بهذه الاضافة ولم يقصد الا الطعن في البابوات كأنهم ضلوا في الايمان توصلاً الى فصل الكنيسة اليونانية واقامة نفسه بطريركاً رئيساً عاماً لكل الكنيسة . اما التقديس على الفطير فكان جارياً في الكنيسة منذ اوائلها ولم يأت بشيء ضد هذه العادة لا المجامع السبعة المسكونية ولا البطاركة القسطنطينيون ولا احد الآباء القديسين ولا فوتيوس نفسه ولا الكنيسة اليونانية نفسها بعد عصيان فوتيوس الى ان مضى ١٦٨ سنة فظهر البطريرك قيرولاريوس وشرع يعلم ان التقديس على الفطير

هو هرطقة وان الباباوات قد ضلّوا في الايمان وبناء عليه قد فصل الكنيسة اليونانية عن الكنيسة اللاتينية اي الكاثوليكية واقام نفسه رئيساً عاماً على كنيسة المسيح بدلاً من البابا لاون التاسع الذي كان قد ابرز عليه الحرم وذلك سنة ١٠٥٤

اما الآن فنسالكم ايها اليونان المتنورون هل من المستطاع ان تضلّ الكنيسة مدة اكثر من الف سنة اي الى ان بزغت شمس قيرولاريوس وهل يسوغ لنا ان نفضّل تعليم قيرولاريوس وحده على تعليم خلفاء القديس بطرس المفوّض اليه اثبات اخوته في الايمان وعلى تعليم المجامع المسكونية نفسها. واذا لم يسغ لنا مثل هذا التفضيل الذميم فقد ضلّ اذاً ذلك البطريرك في احصائه بين الهرطقات القضايا التي انكرها. ولا تزال الكنيسة اليونانية المنفصلة عن الوحدة تنكرها الى ايامنا هذه نفوراً من الكنيسة الكاثوليكية التي حق لها ان تقول مع النبي داوود. فانهم ابغضوني مجاناً (مز ٢٤ ع ١٩)

لعمري انه لا بدّ لهم من احد الامرين. اما انهم ضلّوا عند حضورهم المجامع وضلّت ايضاً تلك المجامع المسكونية التي حضروها. واما انهم ضالّون الآن لانفصالهم عن الكنيسة الجامعة. والحال ان المجامع المسكونية لا تضلّ ولا تغشّ. فهم اذن الضالّون. ثم من المقرّر ايضاً ان الكنيسة اليونانية قد اتحدت اربع مرار بالكنيسة الكاثوليكية وانفصلت خمس مرار وكل مرّة في اتحادها وانفصالها كانت تغيّر ايمانها. مع ان كنيسة المسيح له المجد لا تضلّ ابداً ولا تغيّر ايمانها. وعليه فالكنيسة اليونانية اما انها ضلّت اربع مرار عند اتحادها او خمس مرار عند انفصالها. فانصفوا يا ذوي الالباب. اما الكنيسة الكاثوليكية فلا تزال ابداً محافظة على المعتقد الذي رسمه السيد له المجد وقرّرته المجامع المسكونية

ألا ترى ايها القارئ ان جميع الادلّة التي تأتي بها الكنيسة اليونانية باطلة وكاذبة. ألا ترى انها تؤيّد ما تعلّمه الكنيسة الكاثوليكية خلافاً لما تدّعيه هذه الكنيسة. فراجع ان انصفت كل هذه الادلّة وامعن النظر فيها. فانك لا محالة ترى فيها خلاف ما تدّعيه هذه الكنيسة المسكينة. تتعجّب هذه الكنيسة من ان الكاثوليكيين يؤمنون بعصمة انسان وهو الحبر الاعظم بابا رومية مع ان ايمانهم متوقف على تعليم السيد المسيح ومواعيده الراهنة. ولا تتعجب ولا تنذهل من انها هي نفسها تؤمن بان فوتيوس وقيرولاريوس اشدّ عصمة من البابوات والمجامع المسكونية. مع ان ليتورجيتها تصرّح بعكس ما علّم ذانك البطريركان القسطنطينيان

ولما كان البعض بل الكثيرون يستغربون كثرة انفصالات الكنيسة اليونانية عن

الكنيسة الكاثوليكية والحاداتها الشهيرة بها واصرارها مع ذلك على الادعاء بكونها كنيسة المسيح الحقيقية وكون الكنيسة الكاثوليكية ضالّة وفاسدة الاعتقاد وبابل الزانية المذكورة في سفر الرؤيا قد احوجنا الامر الى ان نأتي ببعض الايضاح في ذلك

اعلم اولاً ان الانفصالات والاتحادات المشار اليها لم تتم الاّ برضى السلاطين اليونانيين بل مراراً بسعيهم او امرهم . وهذا دليل جليّ على ان الاكليروس والشعب اليونانيين لم يخرجا عن طاعة رأس الكنيسة المنظور ولم يضعف خضوعهما له الاّ عندما افرطا في الخضوع لسلاطينهما ومراعاة اهوائهم والانقياد الى مآربهم وارائهم مع ان السلطة الزمانية لا تداخل لها في امور الدين . لانه تعالى احق من الناس بان يُطاع (اعمال ٥ : ٢٩) والذي هو لله فلا يسوغ ان يُعطى لقيصر كما علّم السيد المسيح في بشارة القديس متى (٢٢ : ٢١) ألم يستشهد جميع الرسل من اجل انكارهم الطاعة للسلاطين والولاة الوثنيين في امر الدين الذي كان قد فوّض اليهم الانذار فيه . ألم يستشهد نظيرهم ملايين من الاساقفة والكهنة والعوام رفضاً لما كانوا يؤمرون به من الجحد

الاّ انهُ لا بدَّ لمن يعصي رئيسهُ الديني الشرعي من ان يطيع رئيساً غير ديني حتى في الدينيات . وبهذا بعض عقاب لعصيانه . أليست هذه حالة اليونانيين والروسيين والانكليز غير المصدين

امّا ادّعاء الكنيسة اليونانية بانها الكنيسة الحقيقية دون غيرها فهذا امرٌ غريبٌ كاد لا يُدرك لانهُ من الجهة الواحدة لا يمكن ان الايمان الحق يتغيّر ادنى تغير وفقاً لقول النبي داود هذا : وحق الرب ثابتٌ الى الابد (مز ١١٦ : ٢) ولقول المسيح نفسه الذي قد قال : وكلامي لا يزول (متى ٢٤ : ٣٥) وانا معكم كل الايام الى منتهى الدهر (متى ٢٨ : ٢٠) وابواب الجحيم لن تقوى على كنيستي (متى ١٦ : ١٨) ولقول بولس الرسول الذي قد دعا الكنيسة عمود الحق وقاعدته (١ تيموثاوس ٣ : ١٥) ومن الجهة الاخرى قد تغيّر مراراً اعتقاد الكنيسة اليونانية كما تقدم عنه القول . لا بدَّ اذاً لها من الاقرار بانها قد ضلّت في انفصالها عن الكنيسة العامة او في اتحادها بها . وبهذا برهان سديد على انها ليست بكنيسة المسيح الحقيقية . تأمّل ايها اليوناني السليم النية والخالي من الغرض الاعمى

الفصل الثامن

• في كيف تثبّت كلّ من الكنائس المنفصلة انها هي الحقيقية •

قد بينّا من الكتاب المقدس والتاريخ وشهادة العقل والليتورجية اليونانية ان

الكنيسة الكاثوليكية انما هي الكنيسة الحقيقية التي بناها السيد المسيح فبقي ان نبين ذلك من اقوال الآباء القديسين

اعلم انهُ لأمرٌ مقرر ان الآباء القديسين قد لزمهم قبل المجمع السابع ان يتكلموا في تآليفهم عن الكنيسة هل اقام لها السيد المسيح رئيسًا واحدًا او اقام الرسل كلهم متساوين ومن هو الرئيس الذي اقامه اذا اقام واحدًا وكيف اقامهُ وكيف يجب الالتجاء اليه عند وقوع الخلاف بين الاساقفة والبطاركة ومن له السلطان باقامة الاساقفة ونزعهم عند دخول الهرطقات ما بينهم ومن يمكنه ان يحكم ويحسم المسائل المتعلقة بالايمان ويجمع المجامع ويترأس عليها ويثبتها. فان لم يتكلم الآباء عن جميع هذه المسائل فعن اي شيء اذًا قد تكلموا. أليست هذه المسائل الجوهرية في الكنيسة

فمن المقرَّر ان ايمان الآباء لا يمكنه ان يكون مخالفًا لِما هو متضمن في الليتورجية القديمة والمجامع المسكونية وغير ممكن ايضًا ان الليتورجية تكون مخالفة لما علَّمهُ الآباء فلو علَّم الآباء ضد ما هو في الليتورجية لكانت تعاليمهم اراطيقية. وعليه فمن يعرف الايمان في الليتورجية يعرف ما قررته المجامع وعلَّمه الآباء القديسون على ان الكنيسة قد حفظت ايمانًا واحدًا منذ عهد الرسل وهي سوف تحفظه واحدًا الى انقضاء الدهور. والتغيُّر في الايمان محال. فان المجامع لا تبتدع شيئًا جديدًا في الايمان انما تقرر وتوضح ما يقتضي الايضاح وتحديده عند حدوث الهرطقات فتجتمع الكنيسة وتفتش الكتاب المقدس وكتب الآباء القديسين. فتستوضح المسائل التي وقع عليها الخلاف فتحكم بان الايمان قد كان كذا منذ عهد الرسل المفوَّض اليهم حفظ وديعة التعلم المسيحي. فيترتب على الجميع حينئذٍ ان يؤمنوا بما تقرره ويذعنوا لما تأمرهم بهِ. وكل من لا يذعن لها يُعدّ اراطيقيًا عملًا بقولهِ تعالى: من لا يسمع من الكنيسة فليكن عندك كوثني وعشار. فلا ريب اذًا ان من يتطلع على الايمان في الليتورجيات يتطلع بالوقت نفسه على الايمان الذي قررته المجامع لان الايمان واحد لا يتغيَّر في الكنيسة

وعليه فكل كنيسة ادَّعت بانها هي الحقيقية يترتب عليها ان تثبت حقيقتها من الكتاب المقدس وشهادة الآباء والليتورجيات والعقل نفسه. والكنيسة الكاثوليكية تتعمد كل ذلك وتأتي بهِ بما يصدع رداء كل شك. اما الكنائس المنفصلة عنها فليس في وسعها ان تأتي بشيء من ذلك لا من الكتاب المقدس ولا من المجامع المسكونية ولا من الليتورجيات ولا من اقوال الآباء القديسين ولا مما يرشد اليه العقل المستقيم لان الحق واحد لا يتجزأ. والكذب لا يصير حقيقةً.

نقل عن الاصل مع اسم اباتها .



ألا ترى ما في الادلّة التي تأتي بها هذه الكنائس من السقم والسخافة بل احيانًا من الكذب كزعمها بان بطرس كان الاكبر سنًا واول من تبع السيد المسيح وان المسيح قد اقام الاثني عشر رسولاً متساوين. وكاتيانها بنصوص يلفقونها ويحرّفونها على هواهم ويفسدونها بتآويل وتفاسير لا صحة لها ولا علاقة. اما النصوص الكثيرة الصحيحة التي نوردها فلا يجيبون عليها غشًا وخداعًا. هذا دأب الهراطقة والشاقين. اما الكنيسة الكاثوليكية فلا تأتي بنصٍ او شهادةٍ إلاّ وبيّنت معانيها ومطابقتها لما ترشد اليه صراحة الكتاب المقدس. وان خفي شيءٌ منها اعتمدت ما اجمعت عليه الاباء والمجامع المسكونية. وان كنت في ريب من ذلك فعليك بمطالعة تآليف الكاثوليكيين ومقابلتها بتآليف الاراطقة والشاقين

قد قدمنا ان الاباء قد اجمعوا على ان الايمان لم يتغيّر ابدًا عمّا تؤمن بهِ الكنيسة الكاثوليكية. وعليه فقد علّم كلٌّ منهم ما علّمته ولا تزال تعلّمهُ الى الان الكنيسة الكاثوليكية من عقائد الايمان. فحبذا لو كانت الكنيسة اليونانية تطالع تآليف ابنائها الاجلاء كالقديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس اثيصي والنازينزي الثاولوغوس ويوحنا فم الذهب الخ لوجدت فيها كل التعليم الكاثوليكي وتعلمت منها ان البابا هو راس الكنيسة ومدبرها والمركز الوحيد الذي لا بدّ من الرجوع اليه عند وقوع النزاع وحدوث الهرطقات. الاّ اني اضرب صفحًا عمّا صرّحوا بهِ من الاقوال اذ قد سبق ايراد بعضها وبها كفاية. الاّ ان كتاب صخرة الشك قد أورد كثيرًا من الشهادات المحرّفة كاذبة وعلى الخصوص من شهادات القديس اغوسطينوس. ولكن كيف يكون السبيل الى تبيين ما حرّفوه والاتيان بما هو الصحيح. وكتب الاباء الغربيين والشرقيين لم تترجم الى العربية. أفيمكن والحالة هذه ان يتطلع القارئ العربي على ما في ذلك من التحريف وكيف يمكنه ان يبحث ليعرف مَن هو المحقّ فيما يورده أنحن ام صاحب الكتاب المذكور. فان لم يمكنه ان يحرّف النصوص الانجيلية لانها مترجمة الى جميع اللغات فيمكن لكلٍّ ان يطّلع عليها ويقابلها. فان عثر على تحريف فيما يورد منها اساء الظن في المؤلف وقال: اذا تجرّأ على تحريف الكتاب المقدس أفلا يمكنه ان يحرّف اقوال الاباء القديسين. والحال انهُ قد حرّف بعض النصوص الانجيلية. فماذا يكون اذن تحريفهُ اقوال الاباء التي قد تحقق لديه عدم وجود من يحسن مطالعة كتب الاباء اليونانيين في لغتها الاصلية وتحصيل حقيقة اقوالهم وحقيقة معانيها

اما تحريفه للنصوص الانجيلية فيؤخذ من كتاب صخرة الشك نفسهِ. خذ هذا الكتاب تجد في اولهِ رسمًا صورة فيهِ سفينة وفوقها صخرة مدنون فيها

يسوع المسيح وفوق هذه الصخرة تجد اثني عشر راساً رمزاً للاثني عشر رسولاً الذين بنيت عليهم الكنيسة: اي اورشليم السماوية فتجد فوق الصخرة قبر السيد المسيح مكتوباً عليه ما جاء في ف ٣ ع ١١ من رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنثس وهو انه: لا يستطيع احدٌ ان يضع اساساً غير الموضوع وهو يسوع المسيح. فكأنهُ يشار بهِ ان ليس بطرس الصخرة التي بُنيت عليها الكنيسة. الَّا انه لا بدَّ من الملاحظة هنا ان القديس بولس لا يتكلم في النصّ المورد عن الصخرة بل عن الاساس. فان بين كليهما فرق لا يخفى على ذي بصيرة. واذا اردت مزيد بيان لِمَا يعنيهِ الرسول في هذا الاساس فطالع ما كتبهُ في هذه الرسالة ف ١ ع ١٠ وما يليه وهو ان هذا الرسول لمَّا أُخبِرَ ان بين اهل كورنثس خصوماتٍ وانشقاقاً كتب اليهم يحضّهم على الائتلاف والالتئام بفكر واحدٍ ورأي واحدٍ بان لا يقول كلُّ واحد انا لبولس او انا لابلُّوس او انا لكيفا او انا للمسيح. فقد وبَّخهم على مثل هذه الاقاويل وسأَلهم ألعلَّ المسيح قد تجزَّأ. ألعلَّ بولس قد صلب لاجلكم او باسم بولس اعتمدتم. ثم يرجع الى الموضوع نفسه في الفصل ٣ ويوبّخهم لانهم لم يزيلوا من بينهم الحسد والخصومة فقال: فمن ذا ابلُّوس ومن ذا بولس. انهما خادمان امنتم على ايديهما (٤ و ٥) ثم اردف قولهُ بقولهِ. انا غرست وابلُّوس سقى لكن الله هو الذي أنمى (٦) فليس الغارس اذاً بشيءٍ ولا الساقي بل المنمي وهو الله (٧) والغارس والساقي كلاهما واحدٌ (٨) انا بحسب نعمة الله التي أُوتيتها كبنَّاء حكيم وضعت الاساس وآخر يبني عليه فلينظر كلُّ احدٍ كيف يبني عليه (١٠) اذ لا يستطيع احدٌ ان يضع اساساً غير الموضوع وهو يسوع المسيح (١١) كأن الرسول قد قال: لست انا وليس ابلُّوس ولا كيفا اساس ايمانكم بل انما هو السيد المسيح وبنعمتهِ تعالى قد وضعت هذا الاساس فيكم. ألا يتضح والحالة هذه ان القديس بولس عنى بقوله هذا اساس الايمان الذي هو المسيح يسوع لا الصخرة التي بُنيت عليها الكنيسة وهذه الكلمة اساس قد وردت في رسائله على عدة معانٍ على انه قد عَنى بها في رسالته الى الرومانيين ف ١٥ ع ٢٠ تبشير الرسل لقوله: واعتنيت ان لا ابشّر بالانجيل في موضع دُعي فيه اسم المسيح لئلَّا ابني على اساس غيري. وفي رسالته الى العبرانيين قد عَنى بها التوبة والثواب لقوله ف ٦ ع ١: ولنأتِ الى الكمال من غير ان نضع ايضاً اساس التوبة من الاعمال الميتة. وفي رسالته الثانية الى تلميذه تيموتاوس قد عنى بها علم الله لقوله ف ٢ ع ١٩: الَّا ان اساس الله الراسخ يثبت وعليه هذا الختم ان الرب يعلم الذين لهُ

اما صاحب كتاب صخرة الشك فيورد فوق آية القديس بولس: لا يستطيع احد ان يضع اساساً غير الموضوع وهو السيح هذه الآية: انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها. فحرّف الكلمة الاولى ولم ينقلها كما هي في اليونانية الصفا او الصخرة وقال بطرس. اقتداء بما صنعه ابروتستانط بيروت في طبعهم التوراة بتحريف هذه الكلمة خلافاً لما صنعه الابروتستانط في طبعهم التوراة في لندن اذ وردت فيها هذه الآية هكذا: انت الصخرة وعلى هذه الصخرة الخ. وقد حرّف كلٌّ من اصحاب كتاب صخرة الشك وابروتستانط بيروت هذه الكلمة ليوهموا الغفلة ان السيد المسيح عندما خاطب بطرس بهذه الآية لم يعنِ انه يبني كنيسته على بطرس بل على ذاته. اما صاحب كتاب صخرة الشك فقد فاقَ الابروتستانط حيلةً لانهُ عزز تحريف هذه الآية بصورة حسّية تؤيد ما حرّفه. هذا وانك ترى فوق هذه الآية الاخيرة اثني عشر راساً تشير الى الاثني عشر رسولاً اشارةً الى ان بطرس ليس هو الصخرة ولا الرئيس بل ان الجميع متساوون وفوق هذه الروس تجد مكتوباً ما جاء في رسالة القديس بولس الى اهل افسس ف ٢ ع ٢٠: قد بنيتم على اساس الرسل والانبياء وحجر الزاوية هو المسيح يسوع. ولكن ما قولكم افهل ان السيد المسيح صخرة بالحقيقة. والرسل والانبياء هل هم حجارة حقيقية لبنيان الكنيسة. أليس ان المراد من مثل هذه النصوص ان السيد المسيح هو اصل الكنيسة ورأسها وعمدتها والصخرة الاولى الثابتة التي تصونها وحدها من كل غلط لئلا تقوى عليها حيَل المكرة والملحدين. وانه لهُ المجد قد اقام بطرس موضعهُ وقلّدهُ سلطانه فاصبح بذلك صخرةً ثانية يصون عصمة الكنيسة ووحدتها بمعاونة السيد المسيح الدائمة. نعم ان القديس بطرس ليس هو الصخرة الاولى ولا الرئيس الاصليّ لكنّهُ رسولٌ استخصّهُ لهُ السجود بالنيابة عنه والرئاسة على كنيسته لكي يكون رأساً منظوراً للكنيسة المنظورة المجاهدة على الارض قبل ان تنضمّ الى رأسها غير المنظور المجّد في السماء وتشترك في مجده وسعادته. ومثلهُ مَثل السلطان الذي قد سافر مُبايناً مدةً مملكتهُ واقام قبل سفره وزيراً موضعهُ وقلّده زمام السياسة العامّة ولا يصير مع ذلك وزيرهُ سلطاناً ورئيساً اوّلياً على المملكة بل يُدعى نائب السلطان الاصلي

فاذا نظرت الى هذه الصورة ترى يساراً على صخرة القديس بطرس تخرج منها حيّة تشير الى الضلال في الايمان والملاك الحارس يمانع ولداً عن الاقتراب اليها والاستناد عليها. اما باقي ما نشاهده مصوراً فليس بشيء يُعبأ بهِ اذ لا

يخفى ان سعي صاحب كتاب صخرة الشكّ وجميع الاراطقة المحصر في بيان كون السيد المسيح لم يُقم القديس بطرس رئيساً على الكنيسة لان هذه الرئاسة هي من اهمّ الامور واكبرها. فاذ تقرّر ان لا بدّ للكنيسة من رئيس فيتحتّم على الجميع ان يخضعوا والّا عُدّوا خارج الكنيسة. وعليه فاننا نراهم يوجهون جميع سهامهم ضد هذه الرئاسة. فاصحاب كتاب صخرة الشك بعد ان افرغوا جعبتهم واوردوا جميع ما امكنهم ان يختلقوهُ من الوشايات والاعتراضات استعانوا بصورة ليس لها وجود في الكتاب المقدس ليتمكنوا بها من خداع الغفلة وتحريف نصوص الكتاب ممّا بيّناه انفًا في الشهادة التي يوردونها من رسالة القديس بولس الى اهل افسس

ان كتاب صخرة الشك قد الفهُ اشخاصٌ علماء نشروه في كل اقطار روسية ثم تُرجم الى العربية عند انفصال بعض الروم الكاثوليكيين عن الكنيسة الكاثوليكية فلنرجع الى البحث عما تشير اليهِ الصورة السخيفة المار ذكرها: ترى في اسفل الصورة سفينةً تمثل الكنيسة الروسية يمسك دفتها السيد المسيح اشارةً الى انهُ هو يسوسها ويدبرها من السماء. ثم ترى تسعة اشخاص مصطفين امامه يمثلون الملك والاساقفة الثمانية اعضاء السينودس المقدس فترى الاساقفة مكشوفي الراس اجلالاً للملك. امّا الملك فعلى رأسه التاج واسقف ماسكٌ فوق رأسه لوحَي الوصايا اشارةً الى ان للملك وحده ان يسهر على حفظ شريعة الله لانه نائب الله على الارض لا بل صدرٌ من الله كما يسميهِ التعلم المسيحي الذي الّفوه حديثًا. وعليه فكما ان جميع الذين دخلوا سفينة نوح قد نجوا من الطوفان كذلك جميع الذين يدخلون الكنيسة الروسية وحدها يحصلون على الخلاص كما تراه في تعليمهم وجه ١٢٥ سطر ١٣. ومما يجدر بالتنبيه عليهِ ان هذا التعلم لا يسمّي الكنيسة الروسية ارثوذكسيّة لان هذه التسمية حديثة بل جامعة كما تُدعى في التعاليم القديمة وفي قانون الايمان الذي الّفه الرسل

اعلم انهُ لا يُذكر في هذا التعليم عبثًا كلمة «وحدها» فان الغاية منها ظاهرة وهو انه لا خلاص خارجًا عن الكنيسة الروسية لا اليونانية. على انهم لو ارادوا ان يعنوا عن الكنيسة اليونانية ايضًا لقالوا وعن الكنيسة اليونانية ايضًا او عن كليهما. وعليه فلم يصوّروا في السفينة بطاركة الشرق الاربعة لاعتقادهم ان انتخابهم وقيامهم ليسا بقانونيين بل انهم غيّروا ايمان الكنيسة القديمة. وعليه فانهم يحتقرون البطريرك القسطنطيني ولا يعتبرونه رئيسًا عامًّا للكنيسة. وكتاب صخرة الشك يفصح جليًّا عن معتقد الكنيسة الروسية بذكر الخمس القضايا التي تفصلها عن

الكنيسة الرومانية. امّا امر العماد بالتغطيس الذي تتمسك فيه الكنيسة اليونانية فليس لهُ فيه ذكر البتة ☆

الفصل التاسع

• في انقسام الكنيسة اليونانيّة •

اعلم ان البابا من كونه خليفة القديس بطرس قد كان يدبّر الكنيسة الجامعة ولا نكير لرئاسته. الى ان روح العظمة قد وسوس للبطريرك القسطنطيني وحمله على اتهام البابا بالهرطقة ففصل الكنيسة واقام نفسهُ رئيساً عامّاً على الكنيسة الجامعة ليدبّرها كما كان يدبّرها تبلاً ويسوس امورها الحبر الاعظم بابا رومية. فايدتهُ الملوك والتزم البطاركة الثلاثة الأُخر وجميع الاساقفة ان يخضعوا لهُ والاَّ عزلوا عن كراسيهم ونفوا او حبسوا. ثم بعد افتتاح القسطنطينية قد ثبّت السلطان نفسه رئاسة البطريرك وسمّاه ميلّي باشا او رئيس امة نصارت وحدة الكنيسة اليونانية بالقوة الجبرية. امّا روسية فلما بدأت تتمدّن لم تعمّ ان انفصلت عن سلطة البطريرك الروحيّة فاستقلت في امورها الدينية. امّا الكنائس الأُخر فأخذت تنفصل عنه عند انفصالها عن السلطة واستقلالها منها. فكان اول من انفصل بلاد الاروام المنشقة من السلطنة العثمانية سنة ١٨٣٠. ففي تموز سنة ١٨٣٣ قد اجتمع اساقفة الاروام في مدينة نوبليه وقرروا فصل الكنيسة الرومية عن البطريرك القسطنطيني واستقلالها منهُ ونادوا بكون ملكهم رئيس كنيستهم اقتداءً بما جرى في الروسية. بل انهم فيما بعد قد قرروا ان الكهنة المرسومين في خارج المملكة لا يباح لهم العمل بسلطتهم الروحية ضمن المملكة. ثم تبعتهم فالاشيا فالامير كوزا وفّر خمسة ملايين ونصف مليون من القروش التي كانت تستوردها بطاركة القسطنطينية من فلاشيا. ثم انفصلت مُلداقيا وسربيا ثم الجبل الاسود ثم بلغاريا. اما الشعب السلافي وهو نيف عن سبعة ملايين فقد هاجر الى النمسا فثلاثة ملايين ونصف منهم كاثوليكيون والاخرون قد انفصلوا عن البطريرك القسطنطيني سنة ١٨٤٨ ونادوا بكون رئيس اساقفة كارلوفيتس مستقلاً من البطريرك القسطنطيني. وقد جرى حينئذٍ بين الفريقين مناقشات ومجادلات طويلة وكانت اخص اجوبة السلافيين للبطريرك: تعلّم ان المسيح لم يقم رئيساً عامّاً للكنيسة فلماذا تاخذ لنفسك هذه الرئاسة العامة: اذن نلت اوليّة الشرف لانتقال تخت الملوك المسيحيين الى القسطنطينية فقد فقدت اذن هذه الاوليّة منذ انقراض الملوك المسيحيين القسطنطينيين. فلا يخفى احداً والحالة هذه ان الكنيسة الجامعة

اليونانية على زهاء مليونين من اليونان والعرب الذين يسكنون في الممالك العثمانية وبعض من البلغاريين الذين لم ينضموا الى بلغاريا. وعدد الذين يخضعون للبطاركة الثلاثة اي بطريرك انطاكية واورشليم واسكندرية لا يتجاوز ثمانين الفاً. على ان اليونان الذين يأتون مصر او سورية للتجارة تتعلق امورهم بالقنصل وبالسينودس المقام في اثينا تحت رئاسة الوزير الاول

فيجدر بنا والحالة هذه ان نبحث هنا عن سبب تمزيق الكنيسة اليونانية وانقسامها الى كنائس جمّة. امّا هذا السبب فغير خفيّ. قال السيد المسيح في متى (ف ٧ ع ٢٤ وما يليه): كل من يسمع كلامي هذا ويعمل به يشبه رجلاً حكيماً بنى بيته على الصخر فنزل المطر وجرت الانهار وهبّت الرياح وجرت الامطار واندفعت على ذلك البيت فلم يسقط لان اساسه كان على الصخر

امّا البيت الذي لا يبنيه صاحبه على صخر بل على رمل فيسقط عند هبوب الرياح وجريان الامطار وصدمها اياه. وهذا الصخر قد وضعه السيد المسيح وهو رئاسة القديس بطرس الذي يثبّت بيت الله ويصونه كصخر لا تزعزعه الامطار. فقد انفصلت الكنيسة اليونانية عن هذا الصخر وبنت بيتها على الرمل اي على اناس لم يفوّض اليهم السيد المسيح رعاية خرفانه ولا بنى عليهم كنيسته. فثبتت هذه الكنيسة طالما سندتها الملوك وحفظت وحدتها. الّا انها تسقط شيئاً فشيئاً كل مرّة تهبّ الارياح وعصفت العواصف وجرَت الانهار. لان الدوَل تزول. وافاق السياسة يعتريها ما يعتريها من دياجير التقلّبات. امّا الكنيسة الكاثوليكية فقد برحت بها اضطهادات الوثنيين. فاراقوا دماء ما ينيف على الاحد عشر مليونًا من المسيحيين وصادمتها الهرطقات وحاربتها الخلاعة وسعى في هدّ اركانها الكفر والالحاد واوقدت الجحيم ضدها نيران حرب عوان ولم تتزعزع. بل لبثت صخرةً تلاطمها الامواج من كل جهة وهي راسخة لان الساكن في العلى لا يزال يحرسها مدى الدهور فلن تقوى عليها ابواب الجحيم. امّا سائر الكنائس المنفصلة عنها فتساقطت لانها بنَت اساسها على ملوك لم يأت بذكرهم السيد له المجد اذ لم يقل قط: انه اقام ملوكًا ليرعوا كنيسة الله بل اساقفة كما جاء في اعمال الرسل ف ٢٠ ع ٢٨: احذروا لانفسكم ولجميع القطيع الذي اقامكم فيه الروح القدس اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه. وعليه فلا تشاء الكنيسة الكاثوليكية ان تخضع لملك عالميّ يحاول ان يترأس عليها في الامور الدينية

يقول بعض اليونان: اننا وان كنا منفصلين عنكم ومتفرقين الى كنائس كثيرة

الا اننا متحدون في الايمان. اما نحن فنجيب الى قولهم هذا: ألم تقرأوا قط او لم تفقهوا ما قال السيد المسيح في بشارة يوحنا اذ تنبأ قائلاً: وتكون رعية واحدة لراعٍ واحد. فكيف تكون هذه الكنيسة واحدة والرعايا كثيرة والرعيان منفصلون كلٌّ منهم مستقلٌّ عن الآخر. ثمَّ ألم يقل له المجد انه يبني كنيسة واحدة على بطرس بقوله: وانا اقول لك انتَ الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي. أفهل قال ابني كنائسي. والقديس بولس في رسالتهِ الاولى الى تلميذهِ تيموثاوس قد قال ف ٣ ع ١٥: حتى اذا ابطأت (اي تأخرت عن الحضور اليك) تعلم كيف يجب عليك ان تتصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي عامود الحق وقاعدته: ولم يقل بيوت الله او كنائس الله: ولم يقل ايضًا عمد الحق الخ. والرسل ألم يعلّموا في قانون الايمان الذي لا بدَّ لكم من قبولهِ: ونؤمن بكنيسةٍ واحدة. فالكنيسة اذن التي اسسها السيد المسيح واحدة لا غير وسائر الكنائس الاخرى كاذبة فلم يؤسسها المسيح انما اسسها البشر ضد ارادة السيد المسيح. فعلى فرضٍ ان الولاة يتمردون كلٌّ في ولايتهِ ويأبون دفع الجزية للسلطان مدعين انهم مستقلون ليس فوق يدهم يد هل تبقى السلطنة واحدة

قد كانت سلطنة اسكندر الكبير واحدة. الا انها بعد وفاتهِ قد اضمحلت لانقسامها ما بين قوادهِ الاربعة. فقس على ذلك الكنائس اليونانية المنفصلة بعضها عن بعض. وزد على ذلك ان الايمان ليس واحدًا فيها لان الروسيين يؤمنون ان العماد يصحّ دائمًا بالسكب. والكنيسة الاغريقية تؤمن انه يصحّ فقط في خطر الموت. واما كنيسة البطريرك القسطنطيني فتعتقد انهُ لا يصحّ ابدًا مهما كانت الظروف. فهم اذن منقسمون في اهمّ قضايا الايمان وعليهِ فلا بدّ لاحداها ان تكون في الضلال والراطيقية

قد استأذنت الروس في باريس الاذن ببناء كنيسةٍ لهم ثم طلب الفلاغيون ايضًا الاذن ببناء كنيسة لهم فأجيبوا ان لهم كنيسة الروس فيمكنهم ان يذهبوا اليها. فاجابوا انهم والروس ليسوا على ايمانٍ واحد. فاذنوا لهم ببناء كنيسة خاصة لهم. اما يوم فتح هذه الكنيسة فقد استدعى الفلاغيون جمهورًا كبيرًا للحفلة وخطب بهم الارشمندريت مذكوانو فنشرت الجرائد خطبته وهاك مآلها: قد اخبر اولاً كيف ان الحكومة الفرنساوية قد اشارت اولاً اليهم ان يذهبوا الى الكنيسة الروسية وكيف انه قد احتجَّ باسم أمّتهِ انه لا يشارك الروس لِما بينهم من الاختلاف في الايمان وقد اعلن انه لا يسوغ لاحدٍ من أمّتهِ ان يدخل في كنيسة الروس

ولا يُسمح ابداً لاحد كهنة الروس ان يدخل في كنيستهم وابان ان كنيسة الروس تخضع الى سينودوس اسير للملك الذي غيّر الصيامات والقطاعات وكثيراً من الطقوس القديمة وقد جعل سرّ الاعتراف الذي هو الواسطة الوحيدة للخلاص آلةً يستخدمها للتجسُّس ولمآربهِ السياسية. هذا الخطاب قد كان القاهُ قبل الخان الكالشيا والدالفيا. اما الآن فلهم مجمع مؤلَّف من ثلاثة اساقفة يترأس عليهم الوزير الاول ويدير كنيستهم نظير ما نشاهده بين الروسيين

ومن الناس مَن يقول: لماذا لا يجتمع جميع بطاركة الكنيسة اليونانية واساقفتها ويتفقون على عقيدة: ولكن هذا الاجتماع من المحال. لعمري في اية مدينةٍ يجتمعون وفي اي زمان. افهل يتفقون على ذلك أليس ما يريده احد الملوك يخالفه الآخر والغايات مختلفة والمصالح متنافية. ولكن على فرض المحال انهم يجتمعون فكيف يتفقون على العقائد الايمانية وليس لهم رئيس واعتقادهم بانهم كلهم متساوون بالسلطان. فاين الرئيس الذي اقامه السيد المسيح وقلده مفاتيح الحلّ والربط وسلطه على اخوته لان يثبتهم اذا نقص ايمانهم. واذا فرضنا انهم يتفقون على رئيسٍ أفهل ترضى الملوك بذلك والملوك ينزعون ما لهم من التسلّط على شعوبهم وادارة الاعمال بيدهم فكيف يقبلون رئيساً ينزع من يدهم ما لهم من التسلط على كنائسهم

ها قد حاول ذلك بطاركة القسطنطينية مراراً اما باقي البطاركة والاساقفة فلم يذعنوا لهم لانهم مساوون لهم فلا يخضعون. فان المجامع السبعة الاولى لم يثبتها البطاركة المسكونية بل الباباوات كما لا يخفى على ذي المام في التاريخ هذا ولا تزال الكنيسة الكاثوليكية تجمع المجامع كلّما اقتضتها احوال الكنيسة وقد التأم منذ اول الكنيسة الى ايامنا عشرون مجمعاً مسكونيًّا. واما الكنيسة اليونانية فقد امست عقيمة منذ انفصالها والاحوال بيّنة لم تعد تخفى على احدٍ

لما هاجت مسئلة البلغار وطلبوا الانفصال عن الكنيسة القسطنطينية سعى البطريرك انثيموس بجمع مجمعٍ للبحث عن هذه المسئلة واستمالتهم اليه فلم يحضر اساقفة الكنائس المنفصلة وعليه فاقتصر التئام المجمع على الاربعة البطاركة واربعة بطاركة أُخر كانوا قد عزلوا عن منصبهم والاساقفة الذين في السلطنة العثمانية فبلغ عدد المجتمعين اثنين وثلاثين شخصاً. اما روسية فلكونها مريدة للانفصال ومهيّجة له فقد اكتسبت كيرللوس بطريرك اورشليم واستمالته الى المدافعة عن البلغار. فلمّا عقد المجمع وارتأ مؤلفوه ان يحرموا البلغاريين صادمهم كيرللوس وترك المجمع قبل انتهائهِ فاستشاط غيظاً الملي باشا وعملاً بما يدّعي بهِ من السلطان

عزل كيرللوس عن منصبه رغمًا عن محاماة روسية عنهُ. ولا يخفى ان هذا المجمع لم يلتئم ولم يتمكن البطريرك من خلع كيرللوس لولا معاونة السلطة المدنية وتأييدها له

ولا يخفى ان القبط والسريان والكلدان والارمن قد اقام كلٌّ منهم بعد انفصالهم بطريركًا عليهم يدبر امور كنيستهم لانهُ من المحال صيانة وحدة الكنيسة بدون رئيس يتولى لتدبير امورها وهم مع ذلك يعلّمون نظير اليونان ان السيد المسيح لم يقِم رئيسًا على الكنيسة انما جعل الاثني عشر رسولاً متساوين بالسلطان وعليهِ فان عملهم هو يناقض اعتقادهم. وهذا دأب جميع الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الكاثوليكية التي بناها السيد المسيح على الصخرة البطرسية ✿

الفصل العاشر

• في الكنيسة الجامعة •

اعلم انه قد نشأ منذ عهد الرسل هرطقات وكنائس كاذبة وقد نبَّه الرسلُ على ذلك والقديس بولس قد اشار الى ضرورة وقوعها ليظهر المزكون واصحاب الفضائل وذوو الثبات. الّا ان الرسل الكرام قد حرزونا من ذلك بعلامات يمكنا بمجرد الاطلاع عليها من تمييز الكنيسة الحقيقية عن الكنائس غير الحقيقية. وهذا وضوح تلك العلامات حتى ان السذَّج والجهلاء يتأثرون منها احسن تأثير ويستنيرون من ساطع ضيائها

قد اجتمع الرسل قبل انفصالهم والّفوا قانون الايمان وهو مختصر يتضمن جميع الحقائق التي يتوجب على كل مسيحي ان يعتقد بها ليتمكن من الفوز بالخلاص وكل من أبى ان يؤمن بجميع ما يتضمنه من الحقائق او رفض احداها فهو هرطوقي لا مسيحي حقيقي. وعليه فيتحتم على كل مسيحي ان يتعلم قانون الايمان منذ صغر سنّه وكل الكنائس الشرقية تعترف بهذا القانون وتقول معنا: نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية. فهذه لا محالة الكنيسة الحقيقية التي اسّسها يسوع المسيح وسلّمتنا اياها الرسل. فلا يجوز والحالة هذه لاحد ان يقول اني اريد ان احيا واموت في الكنيسة التي ولدت فيها متيقنًا التعاليم التي علّمني اياها ابي وامي

لا حاجة هنا الى اثبات كون الكنيسة الكاثوليكية واحدة لاننا قد سبقنا فثبّتنا وحدتها تثبيتًا واضحًا فضلاً عن ان وحدتها ليست بمنكرة بل تسلّم فيها سائر الكنائس المنفصلة. فلنأخذ اذن باثبات كون الكنيسة الكاثوليكيّة جامعة دون غيرها

اعلم اولاً ان الكنيسة الجامعة المدعوّة باليوناني كاثوليكيّة انما هي الحقيقية ان تكون جامعة علي هذا المعنى اذ قال السيد المسيح لرسله: اذهبوا الآن وتلمذوا جميع الامم معمّدين اياهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به (متى ف ٢٨ ع ١٩) نشدتك الله يا صاح ألا يدلّ هذا القول دليلاً واضحاً على انه من اللازم امتداد كنيسة المسيح الى اقاصي المعمورة وانتشارها بين جميع الامم. وزدْ على ذلك ان ابن الله المتجسد قد أتى ليخلّص الجميع. والكنيسة هي الواسطة فلا بدَّ اذن من امتدادها الى جميع اقطار الارض

ولسائل ان يسأل هل الكنيسة الكاثوليكيّة هي حقًّا جامعة ومنتشرة انتشاراً لم تبلغه بقية الكنائس المسيحية. اما نحن نجيبهُ بادراج الجدول الآتي وتكليف السائل بامعان النظر فيه ❁

فصل

• في تعديل سكان العالم الكاثوليكيين وغيرهم •

قد عدّل بعض العلماء سكان العالم وعدّل الابروتستان عدد محازبيهم الا انهم تجاوزوا حدّ الحقيقة ليس بقليل. اما التعديل الذي نذكره هنا فهو احسن تعديل واصدقه قد طبع في رومة سنة ١٨٦٥ وقد أُخذ عن دفاتر كلّ من الدول. اما الشعوب المتوحشة التي لا يوجد فيها ضبط عدد السكان فقد تبعوا فيه اخبار من اشتهر من المؤرخين فاذا وجدوا عدداً لم يبلغ الخمسمائة طرحوه وان وجدوه متجاوزاً لذلك حسبوه الفًا وهاك تعديل الكاثوليكيين في كلّ من ممالك العالم

وهاك تعديل الكاثوليكيين في العالم كله

شعوب اوربا ١٤٦,٠١٥,٠٠٠

وهذا احصاؤها مفصّلاً

اسم المملكة	عـــدد نفوسها
المملكة البابا ويّة	٣,٢٠٠,٠٠٠
صقليّة	٩,٥٠٠,٠٠٠
توسكانا	١,٩٠٠,٠٠٠
سردة ولومبرديا	٧,٧٠٠,٠٠٠
مودينا	٠,٦٥٠,٠٠٠
برمه	٠,٥٦٠,٠٠٠
سان مارينو	٠,٠١٠,٠٠٠
اسبانيا	١٧,٠٠٠,٠٠٠
برتوغال	٤,٣٠٠,٠٠٠
الذورة	٠,٠١٢,٠٠٠
سفيسرة	١,١٢٠,٠٠٠
انكلترا	٧,٥٠٠,٠٠٠
افرنسا	٣٦,٠٠٠,٠٠٠
بلجيكا	٤,٨٠٠,٠٠٠

اوستريا	٣٠,٠٠٠,٠٠٠
بڤاريا	٠٣,٦٠٠,٠٠٠
بروسيا	٠٧,٠٠٠,٠٠٠
بادن	٠٠,٩٦٠,٠٠٠
برونسويك	٠٠,٠٠٦,٠٠٠
برما	٠٠,٠٠٥,٠٠٠
فرنكفور	٠٠,٠١٢,٠٠٠
امبور	٠٠,٠٠٨,٠٠٠
اسيا الكبرى	٠٠,٢٨٠,٠٠٠
اسيا البحرية	٠٠,٢٠٠,٠٠٠
اورتمبور	٠٠,٥٨٠,٠٠٠
مكلمبور سويرين وسترليز	٠٠,٠٠٤,٠٠٠
ناسو	٠٠,٢٢٦,٠٠٠
اولدمبور	٠٠,٠٨٦,٠٠٠
الدوكات الصغيرة	٠,٠٦٠,٠٠٠
لوبيكا	٠,٠٠٢,٠٠٠
هانوفره	٠,٢٥٦,٠٠٠
لوكسمبور	٠,٢٩٠,٠٠٠
سكسونيا	٠,٠٦٥,٠٠٠
دانمركا	٠,٠٠٥,٠٠٠
نورفيجيا	٠,٠٠٧,٠٠٠
بولونيا	٤,٠٠٠,٠٠٠
روسيا	٣,٠٠٠,٠٠٠
تركيا اوربا	١,٠١٠,٠٠٠
اليونان	٠,١٠٠,٠٠٠

شعوب اسيا واوقيانيا ٩,٦٨٦,٠٠٠

تركيا اسيا	٦٠٠,٠٠٠
ملداڤيا وڤالاشيا	١٣٠,٠٠٠
روسيا اسيا	١٠٠,٠٠٠
الهند الانكليزية	١,١٠٠,٠٠٠
الهند الهولندية	٠,٠٣٥,٠٠٠
الهند الافرنسية	١٧٠,٠٠٠
الهند البرتوغالية	٥٤٦,٠٠٠
الهند الاسبانيولية	٤,٧٥٠,٠٠٠
الفرس	١٢٠,٠٠٠
انام	٦٠٠,٠٠٠
سيام	٠٣٥,٠٠٠
الصين	١,٠٠٠,٠٠٠
هولنده الجديدة	٣٠٠,٠٠٠
تاسمانيا	٠٤٠,٠٠٠
زيلندا الجديدة	٠٦٠,٠٠٠
كلدونيه الجديدة	٠٧٠,٠٠٠
جزائر سندويك	٣٠,٠٠٠

شعوب افريقيا ٣,٣١١,٠٠٠

مصر	٠,١٧٢,٠٠٠
الحبش	٢,٠٠٠,٠٠٠
طرابلس وتونس ومراكش	٠,٠٣٠,٠٠٠
الممالك الاسبانيولية	٠,٠٢٥,٠٠٠
جزائر كاناديا	٠,٢٦٠,٠٠٠
مدرا وجزائر أخر	٠,٢٩٠,٠٠٠
المستعمرات الفرنساوية	٠,٢٥٠,٠٠٠
ربونا وجزائر أخر	٠,١٨٠,٠٠٠
المستعمرات الانكليزية	٠,٠٣٠,٠٠٠
موريسيا وجزائر أخر	٠,١٥٠,٠٠٠
ليبيريا	٠,٠٠٤,٠٠٠
مدكاسكر	٠,٠١٠,٠٠٠
كلأس	٠,٠١٠,٠٠٠

شعوب اميركا ٣٦,٩٣٦,٠٠٠

الممالك المتحدة	٥,٠٠٠,٠٠٠
المكسيك	٨,٥٠٠,٠٠٠
كواتمالا	١,٢٠٠,٠٠٠
سان سلفادور	٠,٧٠٠,٠٠٠
هندوراس	٠,٤٠٠,٠٠٠
نيكاراكا	٠,٥٠٠,٠٠٠
كوستاريكا وباناما	٠,٢٠٠,٠٠٠
فنيزويلا	٢,٠٠٠,٠٠٠
كراناتا الجديدة	٣,٠٠٠,٠٠٠
الخط	١,٥٠٠,٠٠٠
بوليفيا	٢,٢٠٠,٠٠٠
بيرو	٢,٨٠٠,٠٠٠
شيلي	١,٨٠٠,٠٠٠
ارجنتينا	١,٥٠٠,٠٠٠
باراكي	١,٦٠٠,٠٠٠
اوروكي	٠,٣٦٠,٠٠٠
برازيل	٨,٥٠٠,٠٠٠
كيانا الانكليزية	٠,٠٦٠,٠٠٠
كيانا الهولندية وجزائر أُخر	٠,٠٤٠,٠٠٠
كيانا الفرنساوية وجزائر أُخر	٠,٣٠٦,٠٠٠
جيامايكا	٠,١٥٠,٠٠٠
الجزائر الاسبانيولية	٢,٢٦٠,٠٠٠
كَندا	١,٥٦٠,٠٠٠
هيتي	٠,٨٠٠,٠٠٠

فيكون مجموع اعداد الشعوب الكاثوليكيّين في العالم كلهِ المحصاة في سنة ١٨٦٥ مفصَّلة كما مرَّ بك	٢٠٦,٠٤٨,٠٠٠
المزاد من سنة ١٨٦٥ الى عامنا هذا	٠١٠,٠٠٠,٠٠٠
	٢١٦,٠٤٨,٠٠٠
اما عدد اليونان والروس والارمن والسريان والحبش وباقي الشعوب المسيحيّة المنفصلة عن الكنيسة الرومانية فزهاء :	٠٧٠,٠٠٠,٠٠٠
وعدد الابروتستنط	٠٦٦,٠٠٠,٠٠٠
فيكون عدد المسيحيين من كاثوليك وخلافهم	٣٥٢,٠٤٨,٠٠٠
واما عدد اليهود	٠٠٤,٠٠٠,٠٠٠
« الاسلام	١٠٠,٠٠٠,٠٠٠
« الوثنيين	٢٤٢,٠٠٠,٠٠٠
فيكون مجموع كل سكان العالم	٦٩٨,٠٤٨,٠٠٠

قد رأيت في هذا الجدول ان الكنيسة الكاثوليكيّة تحتوي على جميع الشعوب وعدد اعضائها اكثر من عدد سائر الكنائس المنفصلة عنها . وهذه علامة كونها جامعة وعليه فهي من هذا القبيل الكنيسة الحقيقية التي رسمها المسيح

اذا امعنت النظر في الكنائس المنفصلة تجد ان كلًّا منها مؤلفة من طائفة او طائفتَين ومنحصرة في بعض الاقاليم . فالقبطيّة مؤلفة من بعض المصريين والحبشة . والارمنيّة من بعض الارمن . والسريانية من بعض السريان . واليونانية قد كانت قديمًا مؤلفة من طائفتَين وهما اليونان والروس اما الآن فقد انقسمت الى كنائس شتّى وصارت الآن منحصرة في الممالك العثمانيّة اذ لم يعد للكنائس اشتراك

معها لا اعتقاداً ولا سياسةً ولا طقساً. اما الابروتستان فمنقسمون ومتشعبون الى مئات من البدع والمذاهب فلا واحدة اذن من هذه الكنائس تنطبق عليها هذه العلامة وهي كونها جامعة. وعليه فلا واحدة منها تكون الكنيسة الحقيقية التي بناها السيد المسيح

هذا ويقول مع ذلك كلٌ من الكنائس المنفصلة: انا الكنيسة الاصلية الحقيقية التي اسسها وانشأها المسيح: قل لي يا صاح اذا سحتَ الى تدمر وصادفتَ في وسط الصحراء شجرةً عظيمة بهيّة ورأيتَ حولها شجيرات عديدة من جنسها. هل تعدّ هذه الشجيرات اقدم من تلك. هل يخال لك ان الشجرة الكبيرة قد أتت من احدى الصغار. كلاّ بل بالاحرى يبدو لك ان الصغيرة نبتت من ثمَر او عروق الكبيرة التي قد ضرب فيها المسيح مثلاً فقال انها اذا نمت صارت شجرة كبيرة تستظل طيور السماء تحت اغصانها (متى ف ١٣ ع ٣٢) فما اكثر الطيور الروحيّة اي الانفس المستظلّة تحت ظلّ الكنيسة الجامعة اي الكاثوليكية. وكيف يمكن ان تكون هذه الكنيسة اجدّ وأحدث من بقية الكنائس الظاهرة على وجه الارض بعد المسيح ورسله بامدٍ مديد. غير ان مثل هذه الكنائس المستجدّة مثل الاغصان الجافّة المتراكمة تحت الشجرة الكبيرة لانها فقدت الحياة بفقدها ايمان المسيح القويم وانفصالها عن الكنيسة التي قال السيد المسيح لرأسها المنظور: ثبِّت اخوتك ولا تخَف: انا صلّيت لاجلك لئلاّ ينقص ايمانك

قد أشرنا فيما تقدمناه الى ان عنوان كتاب صخرة الشك يشرّف الكنيسة الروسية بلقب الكنيسة الجامعة التي قد اجتهدت منذ انفصالها في حفظهِ مع انها قد كانت صارت كنيسة طائفية ليس غير. الاّ انه لمّا كان الشعب الروسي لا يفهم بالكنيسة الجامعة اي الكاثوليكية سوى الكنيسة البطرسية البابابوية قد اضطر الملك نيقولاوس ان يُبدل لقب جامعة بلقب ارثوذكسية الذي قد تمسك بهِ الروم الغير المتحدين اقتداء بالروس. وعليهِ فلا تجد كنيسة من الكنائس المنفصلة تدّعي بالكثلكة بل ترى كلاًّ منها اخذت لقباً خصوصياً تمتاز به عن بقية الكنائس مع ان جميعها تقول مع الرسل القديسين: ونؤمن بكنيسة جامعة: يا له من تناقض غريب لا يشعر به الشاقون مع انه واضح وضوح نارٍ على علم او وضوح الشمس في رابعة النهار

لعمري لماذا قد اوصانا الرسل وعلمونا ان نؤمن بكنيسة جامعة او كاثوليكية. فلا ريب انهم اوصونا بذلك لئلاّ نتخدع بغرور الكنائس الكاذبة وسفسطاتها المخدعة ثم لكي يتمكن جميع المسيحيين من معرفة الكنيسة الحقيقيّة والتمسك بالايمان

الصحيح فيجدون الطريق المستقيم الذي يؤدي الى الخلاص على ان هذه العلامة واضحة يسهل الاطلاع عليها وان لم يكن الانسان عارفًا بالقراءة والكتابة. ثم أليس كل مسيحي ملتزمًا بتلاوة هذا النص من قانون الايمان: ونؤمن بكنيسة جامعة. فما عليه والحالة هذه الَّا ان يسأل ما هي الكنيسة الجامعة واين هي. فكل كنيسة لا يُوجَد فيها هذه العلامة لا تكون كنيسة المسيح بل كنيسة كاذبة. ولا يخفى انه لا يكفي الانسان ان يعرف قانون الايمان لفظيًا فقط انما يتحتم عليه ان يستوضح معانيه ويستفحص عمّا يُراد به ويفهم ان الكنيسة الحقيقية لا بدَّ من ان تكون جامعة رسوليّة لذلك قد أُوجبت الكنيسة منذ قديم الزمان على الاساقفة والكهنة تلاوة قانون الايمان في وسط الخدمة الالهية بل امرت رعاة الطقوس بان يفسروا تواترًا جميع قضايا هذا القانون لئلَّا يجهل الشعب المؤمن ما تلزمه معرفته من عقائد ديانته. ولكن يا للأسف ما اكثر المسيحيين غير المتعلمين قانون الايمان او على الاقل غير المنتبهين الى معانيه الجليلة وغير المدركيها وغير المبالين بالعلامات الاربعة التي قد شاء السيد المسيح له المجد ان يميّز بها كنيسته ويفرزها عن سائر الكنائس غير الحقيقية

لمّا كان احد الروم الغير المتحدين القاطنين الارض المقدسة قد امعن النظر في العلامات البهية وأدرك ضرورة وجودها في كنيسة المسيح الحقيقيّة ولم يرَ كنيسة مزدانة بها سوى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية قد انضم اليها بل حركته الغيرة المقدسة على انشاء كتاب اوضح فيه العلامات المار ذكرها واثبت مطابقتها للكنيسة الرومانية دون غيرها وطبعه حديثًا في القدس الشريف إفادةً لجميع الطوائف غير الكاثوليكية. وبالحقيقة انه قد نهج المنهج الامين السهل توصُّلًا الى تمييز الكنيسة الحقيقية من كل كنيسة سواها وافتتاحًا لطريق الخلاص الوحيد ☆

الفصل الحادي عشر

• في ان الكنيسة الحقيقية لا بدَّ لها من ان تكون مقدسة •

لمّا كانت الكنيسة هي الواسطة الوحيدة التي تركها لنا ابن الله المتجسد لبلوغ السعادة الابدية وكنا لا نستطيع ان نصل اليها بدون تقديس انفسنا كان لا بدَّ لكنيسة المسيح ان تهدينا اليها. ولكن لا تقدر أن تهدينا اليها ما لم تكن هي مقدسة وهذا واضح يغني عن الاثبات ومع ذلك يحسن بنا ان نؤيده بما يأتي: قد علمنا الرسل في قانون الايمان الذي ألفوه قبل تفرقهم على سطح الارض ان نؤمن بكنيسة مقدسة كاثوليكيّة اما المجمع النيقاوي فقد اضاف الى

هاتين العلامتين علامتين غيرهما وهما « بكنيسة واحدة رسولية » كما لا يخفى من تعلم قانون الايمان النيقاوي وسمع تلاوته في القداس

ولسائل ان يسألنا كيف كنيسة المسيح الحقيقية هي مقدسة . أما نحن فلنجيبهُ بل ندع احداث مدارسنا يجيبونه عن كتاب التعليم المسيحي الذي قد تعلموهُ قائلين انها مقدسة اولاً لان رأسها الاصلي غير المنظور انما هو السيد المسيح القدوس والروح القدس الذي يحييها هو قدوس ايضاً . ثانياً لان اعضاءها اي بنيها هم مختصون للّه ومدعوون الى القداسة . ثالثاً لان اسرارها تقدس الانفس . رابعاً لان تعليمها مقدَّس ومقدِّس حافظيه . خامساً لان فيها فقط توجد وسائط تقديسنا . وعلى هذه الحجج الخمس يسوغ لنا ان نزيد حجةً سادسة ونقول انها مقدسة لانها تقدس فعلاً عدداً من بنيها وتثبّتهم قديسين سنداً على ما اظهروهُ في حياتهم من الفضائل الفائقة وبعد وفاتهم من المعجزات الواضحة الباهرة

أما الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الجامعة فانهُ لم يظهر فيها منذ انفصالها ولا قديس واحد . ولا عجب من ذلك لان القداسة حياة الكنيسة . وهذه الحياة الفائقة الطبيعة أترى يمكن ظهورها في جثة ادركها الفساد والفناء . ألم يصدق على تلك الكنائس قول السيد المسيح هذا : ان كان احدٌ لا يثبت فيَّ (ومن ثم في كنيستي) يُطرح خارجاً كالغصن (المقطوع) فيجفّ الخ (يوحنا ١٥ : ٦) يا اسفاً هذه حالة الكنائس القبطية والارمنية والروسية واليعقوبية والنسطورية واليونانية والبروتستانية . ان انكلترة قبل انفصالها عن الكنيسة الجامعة بسعي الملك هنريكوس الثامن كانت تُدعى جزيرة القديسين لوفرة الابرار الظاهرين فيها . أما الآن فاين قديسوها ما بين الشيع التي كثرت فيها كالديدان في الجثة . واين فضائلهم واين عجائبهم الثابتة وغير الثابتة

نعم ان سائر هذه الكنائس لمكرمات بعض القديسين ولاسيما الكنائس الشرقية المنفصلة . الاّ ان اولئك القديسين جميعاً قد تقدسوا واشتهروا في الكنيسة الكاثوليكية قبل انفصالها منها . وتثبتوا قديسين وتكرموا من الكنيسة التي ولدوا في حضنها ورضعوا لبنها الطاهر وتوفوا خاضعين لها

أليس بهذا برهان سديد جلي على ان تلك الكنائس المسكينة خالية من روح القداسة وعليه من الروح القدس الذي لا بد من ان تتدبر منه كنيسة المسيح الحقيقية . فلو كانت الكنيسة الكاثوليكية على ضلال كما يزعم بقحةٍ غريبة هل كان الروح القدس روح الحق يزينها بالفضائل والعجائب الراهنة التي تظهر منها ولا تنقطع عنها ابداً . هل كان ذلك الروح الالهي يجهل ضلال

تلك الكنيسة او يتغاضى عنهُ او يُعرض مع كنيسة ليست الَّا مجمع الشيطان.

ومن المعلوم ان الكنيسة الكاثوليكية لا تثبت احد بنيها قديساً او طوباويًّا الَّا بعد اجراء الفحص الجهيد الدقق المستطيل عن كل تفاصيل حياتهِ والاكتشاف على سائر العلامات الدالة على صدق قداستهِ ولا تقتصر على ذلك بل تقتضي عدة معجزات ظهرت منهُ بعد وفاتهِ واشارت الى مرادهِ تعالى في ان هذا الشخص يمجد في الكنيسة تمجيداً دينيًّا ويُعرض للمومنين كنموذج كل الفضائل المسيحية

قد اخبرونا عن احد اشراف انكلترة انهُ كان توجه الى رومية قصد السياحة والتفرُّج فهناك قد تعرف في احد الكرادلة المنضمين الى المجمع المفوض اليهِ الفحص المار ذكرهُ. فاذ اعترض ذات يوم ذلك الامير الابروتستاني على الكردينال زاعماً ان تثبيت القديس الجاري في الكنيسة الكاثوليكية لامرٌ خالٍ من الصواب وضرب من الخديعة. قال الكردينال متبسماً: مهلاً مهلاً يا سيدي. افحص قبل ان تحكم. واذ قد قدَّم له حزمة اوراق قال لهُ: خذ واقرأْ وامعن النظر ثم اقضِ. فاخذ الامير الاوراق وانطلق وبعد يومين او ثلاثة قد عاد الى دار الكردينال ورد لهُ الاوراق شاكراً فضلهُ. فسالهُ الكردينال ما رأي جنابك في مضمون هذه الاوراق. اجاب الانكليزي: لعمري لو كانت كل العجائب التي تثبتونها راهنة كهذه لاستصوبت تثبيت قديسيكم. أهذا رايك يا سيدي. نعم هذا رأيي واعدُّه مطابقاً رأي نيافتكم. كلَّا يا سيدي لان المجمع لم يصادق على واحدة من تلك العجائب بل رفضها جملة لانهُ لم يعدُّها ثابتة الثبوت الكافي. فانذهل الانكليزي وهتف قائلاً: والحالة هذه لا يحق لي انكار حكمة كنيستكم بل يجب عليَّ الاقرار بان القديسين الذين تثبتهم كنيستكم انما هم قديسون حقيقةً والآن قد تيقنت ان العالم لا يخلو من ابرار حتى في عصرنا هذا خلافاً لما كان قد خال لي الى يومنا هذا. نعم القول لانهُ برز من فم رجلٍ فهيم مستقيم عرف الحق ونادى بهِ ✰

الفصل الثاني عشر

• في ان كنيسة المسيح الحقيقية لا بدَّ من كونها رسولية •

ان الكنيسة الرسولية انما هي الكنيسة المسيحية التي قد وُجدت على عهد الرسل القديسين وانذر بها الاثنا عشر رسولاً وانتشرت بعجيب مساعيهم وتشرفت بالاستشهاد المجيد الذي كابدوهُ حبًّا بها وبايمانها

فلا بدّ من ان تزدان كنيسة المسيح الحقيقية بمثل هذه العلامة الفاخرة البهية وتمتاز بها عن كل كنيسةٍ سواها وذلك :

اولاً لان كنيسة المسيح الحقيقية ليست الاّ الكنيسة التي قد انشأها السيد المسيح نفسه

ثانياً لان السيد المسيح لما كان عازماً على مبارحة الارض في عمر ٣٣ سنة و٣ اشهرٍ ليصعد الى السما نفساً وجسماً ويجلس عن يمين ابيه وكان مرادهُ ان كنيستهُ تثبت الى انقضاء الدهر ليكمّل بواسطتها عدد المختارين قد انتخب اثني عشر رسولاً وعلّمهم وثقفهم ودربهم واشركهم في الرسالة الخلاصية التي كان هو استلمها من ابيهِ الازلي بقولهِ لهم: كما ارسلني الاب كذلك انا ارسلكم (يوحنا ٢٠ : ٢١) وبعد ان قام من بين الاموات قد ارسل اليهم روحهُ القدوس ليثبتهم في الايمان ويعلمهم كل حقٍ ثم ينطلقوا فيكرزوا بالانجيل بلا خوفٍ ويبذلوا انفسهم بفرحٍ حباً بسيدهم الالهي وبكنيستهِ ولذا قد قال لهم بعد قيامتهِ: اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم معمدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم ان يحفظوا كلما اوصيتكم بهِ وها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر (متى ٢٨ : ١٩ و٢٠) هل ترى لا يتضح من ذلك ان الرسل كانوا شركاء العمل في انشاء كنيسة المسيح الحقيقية ونابوا مناب سيدهم بعد صعودهِ الى السماء في تدبير كنيستهِ وسياستها ونشرها في كل المسكونة. والحالة هذه أليست رسولية الكنيسة التي قد اهتم الرسل في تاسيسها بمشاركة السيد المسيح منشئها الاصلي وفوّض اليهم تدبيرها بعد ان عاد سيدهم الى ملكوته السماوي

فلنلتفت الآن الى الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الجامعة ونبحث عن منشئها هل ترى وجدت واحدة منهم على عهد الرسل: كلاّ اذ يثبت لنا التاريخ الصادق ان الكنيسة النسطورية قد انشأها نسطور الذي حرمتهُ الكنيسة الجامعة في المجمع الافسسي سنة ٤٣١ بعد المسيح. امّا القبطية قد انشأها ديوسقورس الذي قد حرم في المجمع الخلكيدوني سنة ٤٥١ بعد المسيح. والكنيسة اليعقوبية فكان منشئها اوطيخا الارشمندريت اليوناني الذي حرمهُ المجمع المذكور في السنة المذكورة. الاّ ان يعقوب البرادعي اسقف اورنه قد اهتمّ كل الاهتمام في نشر ضلال اوطيخا. وعليهِ قد لقب تباعهُ بيعاقبة وشيعتهُ يعقوبية. ومات يعقوب سنة ٥٧٨. الكنيسة الارمنية غير المتحدة قد اعتنقت اضاليل اوطيخا المنادي بوحدة الطبيعة في المسيح دحضاً لنسطور القاسم المسيح الى اقنومين اي الناكر وحدة اقنوميتهِ. والكنيسة اليونانية غير المتحدة فلم يكن لها وجود الى اواسط القرن التاسع. بل

كان اول انفصالها عن الكنيسة الجامعة سنة ٨٥٨. وتمام انفصالها على عهد ڤيرولاريوس الذي حرمهُ البابا لاون التاسع سنة ١٠٥٤. والكنيسة الروسية قد تبعت اليونانية المنشقة سنة ١٥٢٠. والكنيسة اللوثارية كان انشأها لوثاروس الراهب الالماني الذي حرمهُ اولاً البابا لاون العاشر ثم المجمع التريدنتيني نفسهُ. والكنيسة الكلوينية التي انشأها يوحنا كلوين الفرنسي بعد ان اقتفى مدةً اثار لوثاروس وكانت وفاته التعيسة سنة ١٥٦٤

يا ترى اين المبتدعون المار ذكرهم من رسل المسيح القديسين واين كنائسهم من الكنيسة البطرسية واين عهودهم من عهد الحواريين

ومع ذلك يقول الكلدان والسريان والارمن والقبط واليونان على صوتٍ واحد لماذا لا تعدّ ولا تدعى كنيستنا رسولية. ألم تدخل الكنيسة الرسولية الى بلادنا على عهد الرسل القديسين. ألم تمتد فيها امتداداً عظيماً. ألم تثبت فيها الى يومنا هذا. والحالة هذه أليست كنيستنا رسولية

الجواب اننا نسلّم بكل طيبة خاطر ان كلاًّ من تلك الكنائس كانت رسولية طالما استمرت متحدة بالكنيسة الجامعة. غير انها قد فقدت هذا اللقب الشريف عند انفصالها عن الكنيسة الجامعة وصيرورتها كنائس خصوصية اي طائفية لان الكنيسة الرسولية واحدة لا عدّة. ثم انها جامعة لا متفرقة

وزد على ذلك ان منشئي تلك الكنائس الطائفية. لم يكونوا من مصاف الرسل ولا على ايمانهم بل على ما اخترعوهُ من الاعتقاد الفاسد المحرّم من الكنيسة الجامعة كما تقدم شرحه. خلاصة البرهان: ان كل الكنائس المار ذكرها كانت رسولية في قديم الزمان لكنها قد فقدت رسوليّتها منذ انفصالها عن الكنيسة الجامعة كما ان الغصن المقطوع اليابس لا يعود جزءًا من الشجرة بعد انه انقطع عنها

اما الآن فاسألكم ايّها القراء الكرام الاذكياء سؤالاً. وارجو منكم ان تمعنوا النظر فيهِ وتكونوا منصفين: لا يخفى عليكم ان الكنيسة الكلدانية والسريانية والارمنية واليونانية قد انفصل كلٌّ منها عن الكاثوليكية منذ سنين كثيرة. هل سمعتم ان بطاركة هذه الكنائس قد ارسلوا رسلاً يبشرون بالانجيل بين الامم العابدة الاوثان في الهند والصين وامركا او الى غير مكانٍ. فلو كانت حياة المسيح منبثة فيهم هل كانوا يتأخرون عن ذلك. كلاَّ ثم كلاَّ. لان كل حيٍّ صاحب حركة. واذا كانت حياته فائقة الطبيعة كما هي حياة المسيح. كان لا بدَّ لها من ان تظهر باعمال فائقة الطبيعة ايضاً. ألم يقل يعقوب الرسول ان الايمان بغير الاعمال ميّت في ذاته. ألم يقل ايضاً انه كما ان الجسد بغير الروح ميّت كذلك الايمان

بغير الاعمال ميّت (فـ ٢ : ١٧ و٢٦) واليس الايمان حياة المؤمن الفائقة الطبيعة كقول الرسول هذا: ان البار بالايمان يحيا (رومية فـ ١ عـ ١٧). ليس اذن عجز البطاركة المومأ اليهم عن الاعمال الصالحة الظاهرة بها حياة المسيح في المؤمنين الّا نتيجة فقدهم الايمان الصحيح القويم. فلو كان روح المسيح فيهم أما كان يحرّضهم على نشر ايمانه في كل مكان وبين جميع الامم ولو مهما بعدت عنهم. أليس هذا ما انكبّ عليه الرسل القديسون وما لا يزال جاريًا في الكنيسة الكاثوليكية المرسلة كل عام بعدد وافر من المرسلين الى جميع اقطار المسكونة. والمنذرة على ايديهم بانجيل الخلاص حتى بين اقوام امركا واوقيانيا البربرية المتوحشة. وذلك وفقًا لوصيّة المسيح هذه: اذهبوا وتلمذوا كل الامم وعلموهم ان يحفظوا كل ما اوصيتكم به (متى فـ ٢٨ عـ ١٩) ✿

إلماع

في اتحادات باقي الكنائس الشرقية بالكنيسة الكاثوليكية وانفصالاتها عنها

اولاً : الكنيسة الكلدانية

قد انتشر الدين الكاثوليكي في الاقطار الكلدانية منذ عهد الرسل واستمرت اهاليها متمسكة بعرى الايمان الى ان اضطهد ملوك القسطنطينية متابعي البطريرك نسطوريوس فترحل فريق منهم الى تلك البلاد وقد كان يعلم هذا الاراطيقي ان في السيد المسيح اقنومين. وعليه فانكر كون البتول مريم هي امّ الله. فحرمه المجمع الافسوسي العام. ولكن على رغم هذا الحرم قد انتشر هذا الضلال في سورية. فصادف من ينتصر لهُ في مكاتب ايديسا ونصيبين. فتأيدت هذه البدعة بين الكلدان وأُطلق عليهم اسم نساطرة او كلدان

قد استوى سنة ٤٩٨ على كرسي رئيس اساقفة قيليقيا اصحاب هذه البدعة وجعلوها كرسيهم الخاص. وكان اوّل من قام في هذا الكرسي باباواس الذي كان عالمياً ومتزوجاً. وقد جمع مجمعاً وقرر فيه انه يُباح الى الكهنة والرهبان والاساقفة ان يتزوجوا. وقد اتخذ هو لقب المسكوني. وقد انتشر النساطرة في المملكة الايرانية بحيث صاروا ذوي قوة عظيمة. ثم في عربستان والهند الى ان بلغوا حدود ترتاريا والصين فلاقاهم هناك المرسلون الكاثوليكيون في الجيل الخامس عشر والسادس عشر. فمنهم من ارتد الى الكثلكة وهم الكثيرون. ومنهم من دخل في الكنيسة اليعقوبية

لم يكن السعي مهمّاً في امر اتحاد هذه الكنيسة بالكنيسة الكاثوليكية قبل اواسط الجيل السادس عشر. لمّا مات بطريركهم سنة ١٥٥١ تمكن الحزب الكاثوليكي من انتخاب الراهب يوحنا سلوقة بطريركاً ونبذوا رياسة بارماما الذي قد كان ادّعى لقب البطريرك سنداً على كونه ابن اخ سمعان البطريرك المتوفى. وقد كانت العادة في هذه الكنيسة بان ينتقل حق البطريركية من العم الى ابن الاخ على سبيل الوراثة. امّا يوحنا سلوقة فأتى رومية وثبتته البابا يوليوس الثالث سنة ١٥٥٣ لكن عند رجوعه الى بين النهرين قتله متابعو برماما. فخلفه عبد يشوع فذهب الى رومية فثبته البابا بيوس الرابع بطريركاً سنة ١٥٦٢

اما خلفاؤه فاتخذوا اسم سمعان وجعلوا كرسيهم في اورميا في العجم. فانقسمت اذ ذاك الامة الكلدانية بين نساطرة وكاثوليكيين وقد اخذ عدد الكاثوليكيين يتزايد الى ان بلغ سنة ١٦٥٣ عدد العيال الكاثوليكية زهاء ٤٠٠٠ عائلة

اما بطاركة الموصل النساطرة فقد ناهزوا مراراً فرص الاتحاد وقد اشتدت العلاقات الودادية بين البطريرك الياس الثاني والبابا بولس الخامس فقبل التعليم الروماني في مجمع عقده في دياربكر سنة ١٦١٦. وقد ارسل البطريرك الياس الثالث رقيماً الى رومية به يصرح باستقامة الايمان وذلك في ايام البابا اوربانوس الثامن. غير ان هذا الاتحاد لم يلبث ان انفصمت عراه. وقد رجع ايضاً الى الارطقة النسطورية البطاركة السماعنة الذين كانوا قد نقلوا كرسيهم من اورميا الى كوردستان. ولكن سنة ١٧٧١ قد ارتدّ البطريرك سمعان هو وستة مطارنة و ٢٠٠٠ عائلة

قد ردّ اخيراً المرسلون الكاثوليكيون عدداً كبيراً من النساطرة في مقاطعة أميرا فأقام البابا اينوشنسيوس الحادي عشر بطريركاً كاثوليكياً في دياربكر واخذ خلفاؤه يتسمون باسم يوسف واستمروا على هذه الحال الى سنة ١٨٣٠. فلما مات اذ ذاك البطريرك يوسف السادس وقد كان ارتدّ يوحنا هرمس بطريرك الموصل وقع الاتفاق على تسمية هذا الاخير بطريركاً كاثوليكياً وتعيّن كرسيه في بغداد. وذلك في ايام البابا بيوس الثامن سنة ١٨٣٠. اما بطاركة اورميا فنقلوا كرسيهم من كوردستان الى كوهوشان واستمرّوا متمسكين بالضلال النسطوري. اما عدد الكلدان الان فزهاء ٦٠٠٠٠ من المتحدين و ١٥٠٠٠ او ٢٠٠٠٠ من الغير المتحدين

ثانياً: الكنيسة السريانية

ان السريان الغير المتحدين هم اصحاب الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة. قد علّم اوطيخا وكان رئيس احد الاديرة في القسطنطينية ان في السيد المسيح طبيعةً واحدة فحرم المجمع الخلكيدوني العام هذا التعليم وذلك سنة ٤٥٧ ثم تشعبت الاراء بين الاوطيخية فاضافوا الى تعليمهم هذا قولهم: ان في السيد المسيح مشيئةً واحدة ايضاً. فحرمت المجامع المسكونية هذا الضلال مراراً

هذه الكنيسة تتسمى ايضاً باليعقوبيّة نسبة الى يعقوب زنزل. وقد كان راهباً من فازيلتا قرب نصيبين قد سامه اسقفاً بعض الطارنة المشاقين الذين قد كان امر بحبسهم ملك القسطنطينية فطفق هذا الراهب ينشر ضلال القائلين بالمشية الواحدة في كل جهة في سورية وفي الاقاليم المجاورة لها متظاهراً بلباس التقوى وظواهر الزهد والفقر فسُمّي لذلك بالبرادعي ومعناه: ذو الثياب الرثّة. وقد اداه

الامر الى ان رقّي على كرسي انطاكية سرجيوس الاراطيقي فخلفهُ جملة بطاركة سموهم كلهم يعقوبيّة . (٥٥٨)

قد امتدت ولاية هولاء البطاركة على جملة اسقفيّات ولكن لمّا انقسم اليعقوبيّة (١٢٩٣) الى فريقين قام لكل فريق منهم بطريرك مع بقائهِ محافظاً على لقب البطريرك الانطاكي مع ان الواحد سكن دياربكر والاخر سلوقية وقد انتشرت هذه الكنيسة الى بلاد الهند ولاسيما في ملابار وترافنكور

قد سعى البابا اوجانيوس الرابع في ضمّ السريان الى الوحدة الكاثوليكيّة فطلب الى البطريرك يوحنا الذي كان ساكنًا دياربكر ان يرسل اليه من يعتمده فاذعن البطريرك الى طلبه وارسل اليه عبد الله رئيس اساقفة اودوسا الذي حضر المجمع الفلورنتيني فجحد باسمه واسم بطريركه الارطقتين المونوفيسيّة والمونوتوليّة وقد اشهر البابا اوجانيوس هذا الاتحاد بحكم وقد استمر هذا الاتحاد مدةً غير متزعزع

اما بالنظر الى الفريق الاخر من السريان فلم ينجح كثيراً سعي الباباوات في استمالتهم الى الوحدة الكاثوليكيّة فقد رفض البطريرك اغناطيوس العاشر دعوة البابا بيوس الرابع (١٥٦٥) ولم يقبل الاتحاد الّا انه ارتد عن قليل وذهب الى رومية حيث قضى نحبه. اما خليفته اغناطيوس الحادي عشر فاذعن الى امر البابا غريغوريوس الثالث عشر فارسل البابا اليه البَليوم وثبته بطريركاً (١٥٨٨) غير ان هذه العلاقات لسوء الحظ لم تستمر زماناً طويلاً والارتداد لم يكن مكيناً

اما في الجيل السابع عشر فقد ارتد البطريرك سمعان وقبل الايمان الكاثوليكي واستمال اليه جملةً من بني امته اليعقوبيّة الّا انه اضطر ان يترحل الى حلب فراراً من اضطهاد الاراطقة وقد كان يشتد هذا الاضطهاد كل مرة تظاهر احد الاساقفة او البطاركة بالكثلكة

لمّا مات غريغوريوس الثالث البطريرك الاراطيقي (١٧٨١) ذهب ديونيسيوس ميخائيل جروه مطران حلب الى الكرسي البطريركي في ماردين. فردّ اربعة اساقفة يعقوبيّة وكثيراً من الكهنة والعوام فأقيم بطريركاً باتفاق الاراء وثبتته رومية (١٧٨٢) غير ان الاراطقة صادموه باقامة بطريرك اخر فاضطر فراراً من الاضطهاد ان يلتجيء الى لبنان فسكن دير الشرفة في كسروان (١٧٨٧) وقد نجحت منذ ذاك الكنيسة السريانية نجاحاً عظيماً لاسيما بعد ارتداد غريغوريوس عيسى رئيس اساقفة اورشليم ووكيله العام اغناطيوس سمحيري (١٨٣١) اما البابا غريغوريوس السادس عشر فأعاد البطريركية الى حلب. والارتداد في هذه الكنيسة لا يزال على قدم النجاح بحيث يبلغ الان عدد المهتدين زهاء ٥٦٠٠٠ نسمة

ثالثاً الكنيسة الارمنية

ان اوّل رسول بشّر الارمن بالايمان كان القديس غريغوريوس المنوِّر الذي عمّد الملك تريداتوس الثالث في اوائل الجيل الرابع . ثم انفصل عدد من الارمن في الجيل الخامس والسادس عن الوحدة الكاثوليكية تمسّكاً بضلال اوطيخا ومشايعيه الذي كان مدار قولهم طبيعة واحدة في السيد المسيح ومشية واحدة كما سبقت الاشارة اليه في الكلام عن الكنيسة السريانية. فاخذ بطريركهم يتلقب بالكاثوليكي. فأقاموا لهم ثلاثة بطاركة الواحد في أخميادزين. والثاني اردوغار في ارمينيا الكبرى. والثالث في شيس في ارمينيا الصغرى. غير ان البطريرك الذي في إخميادزين له اللقب الكاثوليكي. وان لم يكن ذلك الّا على سبيل الشرف. ثم أُتمم فيها بعد بطريرك اخر استقر في اغتامور (١١٤٥) وبطريرك خامس جعل مستقره في القسطنطينية وذلك (١٤٦١)

قد صار السعي مراراً في ضم الارمن الى الوحدة الكاثوليكية. وقد قارب الاتحاد ان يتم في عهد البطريركين نرسس (١١٤٧) وغريغوريوس الرابع (١١٧٧). غير ان المواعيد لم تلبث ان ظهرت باطلة لاسيما بعد موت الملك منوئيل كومنين الذي كان مبذلاً الجهد في ضمّهم الى الكثلكة . امّا في قيليقيا فقد كان السعي أنجح والارتداد اسهل. فارسل البابا اينوشنسيوس الثالث قاصداً الى هذه البلاد وقد قارنت الامور ما كان يؤمله من امر الاتحاد فتمّ (١٢٠٣) وقد عاونه في هذا العمل الشريف رهبان مار فرنسيس الصغار بما كانوا يبذلونه من الغيرة والعناية. وقد أُلتئم مجمع في شيس (١٣٠٧) حضره اربعة روساء اساقفة وعشرون اسقفاً وقبلوا جميعهم التعاليم الكاثوليكية من غير استثناء . غير ان عُرى الاتحاد لم تلبث ان انفصمت عندما افتتح سلطان مصر قيليقيا واتى السلطان تامرلان ودوّخ ارمينيا الكبرى

سعى البابا اوجانيوس الرابع في ترجيع الارمن الى حضن الكنيسة الكاثوليكية فوافقه في ذلك البطريرك الكاثوليكي وارسل اربعة قصّاد من قبله حضروا المجمع الفلورنتيني وامضوا قانون الايمان وتمّ الاتحاد . الّا انه لم يلبث زماناً طويلاً ان انفصمت عُراه ونزلوا البطريرك غريغوريوس التاسع لتعلقه بالقديس غريغوريوس بابا رومية . غير ان الحقيقة الكاثوليكية لم تزل منتشرة بين الارمن لما كان يبذله المرسلون من العناية وهم رهبان مار فرنسيس ورهبان مار عبد الاحد . وقد اعتزل عن كرسيه البطريرك اسطفان الخامس لما كان يقاسيه من الاضطهادات لتمسكه بالايمان الروماني ومع ذلك قد استمرّ خلفاؤه متمسكين بالايمان الكاثوليكي وخاضعين

لبابوات رومية فقد خضع البطريرك مخائيل الى بيوس الرابع (١٥٦٢) والبطريرك غريغوريوس الثالث عشر الى البابا بولس الخامس (١٦١٠) والبطريركان ملكيصادق وموسى الى البابا اوربانوس الثامن (١٦١٩) والبطريرك فيلبس الى البابا اينوشنسيوس العاشر (١٦٥٥) وقد سافر الى رومية (١٦٦٢) البطريرك يعقوب يصحبه ٣٦ اسقفاً ليقدموا خضوعهم الى بابا رومية. وقد خضع البطريرك كارابيت الى البابا اينوشنسيوس الثالث عشر (١٧٢٤) وقد اقتدى به يوحنا بطريرك القسطنطينية وذلك (١٧٤١)

اما في اوائل الجيل الثامن عشر فقد أقام ابراهيم استقف حلب جماعة من الكهنة في لبنان. ثم لما توفي لوقا بطريرك شيس (١٧٤٢) اجتمع الاساقفة وأقاموا ابراهيم بطريركاً. فذهب الى رومية وثبّته البابا بناديكتوس الرابع عشر وسماه بطريرك قيليقيا وارمينيا الصغرى (١٧٤٢) وقد اتخذ اسم بطرس ولا يزال خلفاؤه محافظين عليه. الا انه لم يلبث ان اضطر ان يهجر مدينة شيس لما أبداه الاراطقة من الاضطهادات. فالتجأ الى لبنان وسكن دير سيدة بزمار في كسروان وقد استمر خلفاؤه يقطنونه الى ان أقيم سيادة حسون بطريركاً عليهم. فنقل الكرسي البطريركي الى القسطنطينية (١٨٦٧) اما خليفته الآن فغبطة البطريرك عازاريان. واما عدد الكاثوليك الارمن فزهاء ١١٠٠٠٠ نسمة والارتدادات متواصلة لما يبذله اكليروسها من الغيرة والعناية

رابعاً: الكنيسة القبطيّة

قد انتشر الدين المسيحي في مصر منذ الجيل الاول بعد السيد المسيح وقد جاء التقليد الحقيقي مفصحاً عن ان القديس مرقس تلميذ القديس بطرس قد اسس الكنيسة الاسكندرية نحو السنة التاسعة والاربعين مسيحيّة فانتشر الايمان سريعاً في كل البلاد واثمرت اغراس العلوم المسيحيّة في مكاتب اسكندرية بما تجاوز حدود الامل فضلاً عمّا تعطّرت به الديار المصرية بما كان يفوح من قداسة الوف من الزهاد الذين أشادوا اديرة كثيرة في برية الاسقيط

لكن لسوء الطالع المنحوس قد انفسدت هذه الديار المقدسة بسم الارطقة الاوطيخية فقد انتصب ديوسقوروس بطريرك الاسكندرية مدافعاً عن الضلال الاوطيخي بان في السيد المسيح طبيعة واحدة فحرمه المجمع الخلكيدوني العام ونزّله عن كرسيه وثبّت المعتقد الكاثوليكي بان في المسيح طبيعتين الالهية والبشريّة في اقنوم واحد (٤٥٧) غير ان محازبي ديوسقوروس لكثرة عددهم قتلوا خليفته الذي كان كاثوليكياً وأقاموا تيموتاوس ألور الذي كان متمسكاً بالضلال الاوطيخي فتم لحالة

هذه الانشقاق وتسمّى المشاقون قبطاً. وقد روت التواريخ ان عُمَر الخطاب عندما افتتح مصر وجد فيها زهاء ٧ ملايين من المسيحيين منهم ٣٠٠٠٠٠ الف ملكيون وهم الكاثوليكيون وقد سموا ملكيين بسبب تمسكهم بدين الملوك الكاثوليكيين ثم اخذت المسيحية تتناقص الى ان بلغ عددهم في هذه الايام زهاء ٣٠٠٠٠٠ مسيحي

اما الكنيسة فلم تغفل عن السعي في ضمهم الى الوحدة الكاثوليكيّة فلما أُلتئم المجمع الفلورنتيني ارسل البابا اوجانيوس الرابع الى البطريرك يوحنا يستدعيه الى المجمع فلبّى هذا البطريرك الدعوة وارسل نائبًا عنه الاب اندراوس رئيس دير مار انطونيوس واصحبه برقيم يوضح به صحة ايمانه الكاثوليكي فتقرر الاتحاد علانيةً (١٤٤٢) الا انه لم يلبث زمانًا طويلاً. ثم ارسل (١٥٨١) البابا غريغوريوس الثالث عشر الاب يوحنا باتيستا الياسوعي قاصداً الى البطريرك يوحنا وهو السادس والتسعون فعقد مجمع في القاهرة تحت رياسة القاصد والبطريرك حضره الاساقفة واكابر الامة القبطية وتقرر الكفر بالضلالين المونوفيستي والمونوتوليتي والاتحاد بالكنيسة الكاثوليكيّة الرومانية. فمانعت الظروف عقد هذا الاتحاد انما السعي لم ينقطع فقد جدده في ايام البابا سيكستوس الخامس واكليمنضوس الثامن فاخذ الارتداد يتواصل سنة بعد اخرى الى ان اقام لهم البابا بيوس السادس نائبًا رسوليًا جعل مستقره في مصر (١٧٨١)

خامساً: الكنيسة الحبشيّة

قد انتشر الدين المسيحي في البلاد الحبشية منذ ايام الملك قسطنطين الكبير غير ان هذه الكنيسة قد كانت تقتدي بالكنيسة القبطية في امر انفصالها عن الكنيسة الجامعة واتحادها بها وكان بطريرك القبط هو الذي يرسم الاسقف عليهم او الاب. فلما أُلتئم المجمع الفلورنتيني انضم الحبشة الى الوحدة الكاثوليكيّة غير انهم لم يلبثوا على ذلك لتتبعهم مثل القبط في امر الانفصال والاتحاد

قد دخل الاب باور الياسوعي البلاد الحبشية (١٦١٥) فردّ الملك زادةغل وجمهوراً من الشعب وقد اوشكت البلاد ان تصير كلها كاثوليكيّة. وقد ارسل البابا اليهم بطريركًا واساقفةً عملاً بما التمسه الملك. الا انه حدث في غضون ذلك هيجان فتمرد فريق على الملك وقتلوه وقد حبس خليفته كل من حاول الدخول في الكنيسة الكاثوليكيّة وبدأ يضطهدهم اشدَّ الاضطهاد الا انه لم يمكن من ان ينتزع الروح الكثلكي من قلوب الشعب. فلمّا اخذ كثير من خلفائه يحاولون الارتداد الى حضن الكنيسة الجامعة لاقوا من جماعة الرهبان الجهلاء محاربيهم ما أدام الصراع ١١٤ سنة. ففي سنة ١٧٠٤ ارسل الملك يوسف الكاهن الارشليمي الى

رومة ليصرح بصحة ايمانه وجحده للارطقة. وسنة ١٧٥٠ اطلق الملك الصديق الحرية لشعبه باعتناق الدين الكاثوليكي وسنة (١٨٣٨) ارسل فريق من الحبشة رسلاً الى رومية وسلموهم رقيماً أمضاه كثير من الكهنة والعوام به يصرحون انهم يجحدون الارطقة وينضمون الى الكنيسة الكاثوليكيّة وكثيرون لا يزالون كاثوليكيين على رغم ما يقاسونه من الاضطهادات

خلاصة: لا يخفى ان الارتداد قد كان قديماً صعباً تتقلقل اركانه في اغلب الاوقات وذلك لاسباب. منها بعد المسافة عن المركز الكاثوليكي وصعوبة الوصول اليه لهول ما كان يلاقيه المسافرون من الاخطار. ومنها الحروب المتواصلة لاختلاف افق السياسة. ومنها ادّعاء الاساقفة والبطاركة في الاستقلالية. اما الان فقد اصبحت الطرق غير خَطِرة والاشتراكات سهلة وقريبة لوجود البابورات وغيرها وقد استقامت السياسة بين الدول فاصبحت اعلام الحرية منتشرة في جميع الاقطار. وعليهِ فصار الوصول الى المركز الكاثوليكي سهلاً لا يرفضهُ الا من أراد ان يتعامى من المسيحيين اذ لا بدّ للرعية من ان تكون واحدة والراعي واحداً وهو الذي أقامه السيد له المجد صخرة لبناء كنيستهِ. هذا ما نلمع اليهِ على سبيل الاختصار ☆

فصلٌ

قد عرفت ممّا تقدمناه في هذا الإلماع ان اخص الاضاليل التي هوّت فيها الكنائس الشرقية انما كان مدارها على اقنوم السيد المسيح وطبيعته ومشيئته وفعله. وقد أثبتت المجامع المسكونية وهي الخلكيدوني والافسوسي والقسطنطيني وحددت ان في السيد المسيح اقنوماً واحداً الهيًا وطبيعتين ومشيئتين وفعلين

ان في السيد المسيح اقنوماً واحداً الهيًا لان السيد المسيح واحد لا اثنان وقد اتحد اللاهوت بالناسوت بحيث اصبح السيد له المجد الهًا كاملاً وانساناً كاملاً فتألم ومات لاجلنا من حيث هو انسان لا من حيث هو إله اذ لا يمكنه ان يتألم او يموت من حيث هو إله. ولمّا كان فيه له السجود طبيعتان الالهية والبشرية لزم ان يكون فيه مشيئتان وفعلان غير ان المشية البشرية كانت خاضعة للمشية الالهية خضوعاً تامًا كما جاء مصداقاً لذلك ما قال يوحنا البشير (ف ٥ ع ٣٠) لاني لست اطلب مشيتي بل مشية الاب الذي ارسلني. ولا شك ان الكلام هنا في المشية البشرية لا الالهية لانها لم تزل متحدة بمشية الاب لان الله واحد ولا سبيل الى وجود التخالف او التناقض في مشيتهِ. وقال القديس لوقا

(فـ ٢٣ عـ ٤٢) لكن لا تكن مشيتي بل مشيتك. وهنا دليل على ان المشية البشرية في السيد المسيح كانت غير المشية الالهية لانها كرهت الآلام والموت. قال القديس اثناسيوس الكبير في كتابه عن التجسّد عـ ١٦ لا بدّ من القول ان السيد المسيح إلهٌ كامل وانسان كامل وانه من البيّن ان له مشيتين وهما البشرية والالهية

لا نذكر الّا هذين النصّين من الكتاب اثباتًا لما نحن فيه مضربين عن الادلة اللاهوتية التي يطول شرحها وليس محل استيفائها هنا ونحن لا نجهل ان هذه المسائل لصعبة لا يحيط بها علمًا انسان مهما كان الامر من ذكائهِ وعلمه اذ لا يجد لها مثلًا في الخلائق. الّا اننا على يقين ان الكنيسة والمجامع المسكونية معصومة عن الغلط في امور الايمان وقد قال السيد المسيح من لم يسمع من الكنيسة ليكن كوثني وعشّار ولم يقل ان لكلٍ ان يفسر الكتاب بحسب ما يلوح له او يؤمن بموجب ما يلمسه من المعارف. فتأملوا يا ذوي الالباب فان النفس ثمينة ✫

✫ الجزء الثالث ✫

في البدعة الابروتستانيّة

قد رأينا من الواجب ان نعقّب ما بيّناه الى الآن من انفصال الكنيسة اليونانية عن الكنيسة الجامعة ببعض الكلام عن اصل البدعة الابرتستانية وايمانها وانقساماتها الكثيرة كشفًا لما هي عليه من تفاقم الضلال

لا يخفى ان شعوب اوربا كانوا كلهم كاثوليكيّين قبل ان نشر لوتاروس راية العصيان والابتداع في الدين فقد كان مولده سنة ١٤٨٣ في مدينة اسليبين من اعمال المانيا فلمّا استتم قراءة العلوم دخل في الرهبانية الاغوسطينية الّا انه ترك الاسكيم الرهباني عند بلوغه من العمر ٣٥ سنة فلم يتماسك والحالة هذه ان أغرى احدى الراهبات فأخرجها من ديرها وتزوجها فأُعيل الى ان بلغت عائلته ثمانية اولاد. وهذه خلاصة ما بنى عليه اساس الايمان فقال

اولًا: ان الكنيسة قد ضلّت منذ مات الرسل

ثانيًا: ان ليس لاحد حقٌ ان يدّعي البابارية او الاسقفية او الكهنوت لان القديس بطرس قد قال في رسالته الاولى (فـ ٢ عـ ٩) واما انتم فجيل مختار وكهنوت ملوكي وامّة مقدسة وشعب مقتنى. وعليه فكل مؤمنٍ رجلًا كان ام امرأة فهو كاهن واسقف لحصوله على الكهنوت بمجرّد كونه مسيحيًا

ثالثًا: ان الايمان بالسيد المسيح لكافٍ وحده للخلاص وعليه فلا حاجة الى الاعمال الصالحة في امر الخلاص ولا خوف من ارتكاب الخطايا اذ ليس من شأنها ان تُهلك مؤمنًا

رابعًا: انه من المحتم على كلٍ ان يقرأ الكتاب المقدس لانه كلام الله صرفًا

خامسًا: انه لا يسوغ ان نصدق احدًا او نثق بهِ لانه مكتوب: ان كل انسان كاذب

سادسًا: ان كل ما يتوجب على الانسان ان يؤمن بهِ فانه مكتوب في الكتاب المقدس

سابعًا: ان الكتاب المقدس الذي انما هو كلام الله لواضحٌ جليٌ فلا يحتاج الى بيان وعليه فانهُ في وسع كلٍ من النساء والرجال ان يفهمه لان الروح القدس قد وعد انه يعلمنا كل حق

ثامنًا: انه من المحتم رفض التقليد وكل ما تعلّمه الكنيسة الكاثوليكية القديمة

تاسعًا: انهُ من الواجب على كلٍ من الرهبان والراهبات ان يتزوج وقد نهج الطريق هو نفسه باقترانهِ براهبةٍ استمالها اليه فاخرجها من ديرها وتزوجها كما اسلفناه

ثم لا يخفى ان المانيا كانت اذ ذاك منقسمة الى ممالك كثيرة فيها ما ينيف عن الثلاثمائة امير كل واحد مستقل بمقاطعتهِ فضلاً عن الوف من الشرفاء المنتشرين في اقاليمها الكثيرة. وكان اكثرهم في عسرٍ يضطرهم الى ان يتحملوا ديونًا وفوائض باهظة. اما الكنائس والاسقفيات والاديرة فكانت غنيّة جدًا لورود هدايا المسيحيين اليها منذ اوائل النصرانية فحدّ لوتاروس نظره في هذه الاحوال فرأى ان الوسيلة للتهييج هي حمل اولائك الشرفاء ملوكًا كانوا ام امراء على اختلاس الاوقاف لقولهِ انه لا ينبغي ان تكون الكنيسة غنية بل فقيرة كما كانت في ايام الرسل. فوقع قوله هذا في موقع الاستحسان. فوثب اولائك الشرفاء على الاوقاف واقتسموها. ثم شرعوا يجبرون رعاياهم بان يعتنقوا ما أتى بهِ لوتاروس من الابتداع. ولما كانت كثيرة من الاوقاف مستشفيات تلتجئُ اليها المرضى والفقراء والايتام كان اضحى اختلاسها وانقطاعها مضرًا بالعامة. فاثار ذلك حربًا شديدة بين الاكابر والقرويين ادى الى سفك دماء الوف من الفريقين اذ قد أبت الاكابر ان تهب الجمهور قسمًا مما كانوا اختلسوه من الاوقاف. غير ان الابتداع قد كان طاب لكثير من قليلي الايمان فبدأوا ينادون: هذا الدين الجديد بنا فانهُ ملائم لما هو عليه الانسان من الاميال. فلا اسرار فيه ولا قدّاس ولا صوم ولا اعتراف ولا اعمال صالحة فهلمّوا اليه. فان الايمان بالسيد المسيح لكافٍ

وحدة للخلاص فاغرت هذه الاقوال الغفلاء وحملتهم اليه . وقد استمالت اليه بعضاً من الاساقفة وجمهوراً من الرهبان والكهنة طاب لهم دين يبيح لهم ترك النذور وعقد الزواج . وقد الجأهم طلب المعاش الى ان يصيروا مبشرين توصلاً الى القوت الضروري . وقد الف اصحاب هذه البدعة الوخمة تآليف كثيرة ينيف عددها على ٣.... كتاب تحتوي على اعتراضات وعظات ما لها الطعن في الكنيسة الكاثوليكية . فحرّفوا الكتاب المقدس وزيفوا التواريخ واقترفوا الكذب على البابوات والرؤساء ليتمكنوا من اثبات دعواهم وكون ابتداعهم هو الدين الحق . وقد حرم لوتاروس وتعليمه سنة ١٥٢٠ وهكذا تمّ انفصال جمهور من الالمان عن الوحدة الكاثوليكية

امّا الانكليز فكان انفصالهم على المنوال الآتي ايراده . ان سكان انكلترا كانوا كلهم كاثوليكيين . وقد كتب الملك هنريكوس الثامن كتاباً دحضاً لآراء الابروتستان . ولذا قد حاز من البابا لقب المحامي عن الايمان . الّا انه بعد ان مضت عليه ١٧ سنة من زواجه استكره امرأته الملكة كاترينا وطلب طلاقها فأبى الحبر الاعظم ان يأذن له بذلك وتهدّده بالحرم ان ابى الامتثال الى ما تحدده الشريعة المسيحية بعدم الطلاق من غير مانع مبطل . فاستشاط الملك غيظاً واقترن بست نساء على التتابع . على انه كلما استكره واحدة قتلها واخذ غيرها الى ان بلغ عددهنّ ثمانية . واقام نفسه رئيس الكنيسة الانكليزية وراعيها والنائب الوحيد للسيد المسيح وضبط الاوقاف وكانت كثيرة وشرع يوزعها على كلٍ من الشرفاء الذين انضموا الى كنيسته ويجذب الآخرين اليها ويضطهد كل من لم يلتجئ الى فيه بل يبقى على دينه الكاثوليكي الى ان عمّ الفساد اقطار انكلترا كافة ومستعمراتها في الامصار الاجنبية . وقد روى المؤرخون الابروتستانيون انفسهم انه قتل زهاء ٧.... كاثوليكي بعد ان ضبط املاكهم وقد حمله كيده الى ان قتل وزيره نفسه توما مورّوس الذي أبى ان يتبع ضلاله لما كان عليه من عميق التديّن وشديد البأس وغريب الشهامة . غير ان الملك هذا لم يغير شيئاً من عقائد الكثلكة ولم يأتِ سوى بانكار رئاسة البابا والمناداة برئاسته المطلقة على الكنيسة . لكن لما مات سنة ١٥٤٧ وخلفه ابنه ادوار لم يرتضِ بما كان ابتدعه ابوه . بل استعار اضاليل كثيرة من مذهبي لوتاروس وكلوين ومزجها وانشأ هكذا اعتقاد الكنيسة الانكليكانية التي انما هي الديانة الانكليزية الرسمية ورئيستها الحالية الملكة فيكتوريا الجالسة على التخت الملوكي من سنة ١٨٣٨ . ثم مات ادوار سنة ١٥٥٣ وخلفته اخته . فكرهت هذه الملكة ما افسدته البدعة الجديدة فاعترفت بالكثلكة وارجعت انكلترة الى وحدتها واماتت ٢٦٧ ابروتستانياً أبوا ان يرجعوا الى الدين الكاثوليكي ولكن

لمّا ماتت وخلفتها اختها اليصابات النغلة انتصبت ابروتستانية ورئيسة الكنيسة الانكليزيَّة وقد قرَّرت من تلقاء نفسها بمعزل عن الاخرين ما يتحتم على الابروتستان ان يؤمنوا به وذلك بتسع وثلاثين قضية يلتزم بحفظها والاعتقاد بها كل من الابروتستان والَّا حُبس وضبطت املاكه كلها. وقد سنَّت شرائع هائلة اجبارًا للكاثوليكيين على ان يصيروا ابروتستانًا. فقضت بالقتل. اولاً: على كل كاهن كاثوليكي يجدونهُ في المملكة الانكليزية. ثانيًا: على كل من يخفيه عنده او تقرر انه اخفاه عنده قبلاً. ثالثًا: على كل من يحضر الذبيحة الالهية او يعترف. رابعًا: بدفع ٢٠٠ ليرة انكليزية على كل من يتأخر عن حضور الوعظ في المعابد الابروتستانية. خامسًا: بان كل ولد يصير ابروتستانيًا يكون بمعزل عن اخوته الكاثوليكيين الوريث الوحيد لاملاك ابيه. سادسًا: بانهُ يتحتم على الكاثوليك ان يدفعوا الجزية مضاعفة. وان ليس لهم ان يتوظفوا في احدى وظائف الحكومة. وقد روى المورخون البروتستان انفسهم ان ثلث الكاثوليكيين قد ماتوا قتلاً او سجنًا او حريقًا او شنقًا كما تشهد بذلك سجلات الحكومة نفسها التي لا تزال موجودة الى الآن وذلك مدة ست سنوات. وقد عاشت اليصابات ٤٥ سنة ولم تتزوج قط. بل كانت تستأجر شبانًا وكلما كرهت الواحد منهم قتلته واستعاضت بغيره نظير ما كان يصنع ابوها هنريكوس في قتل النساء واستبدالها. وقد أمرت اجلالاً لعظمتها بان يخرّ امامها كل من دنا منها ليخدمها. وقد استمرت على هذه الحالة الى ان هلكت وبوادر اليأس تتمطى على جبينها. وقد خلفها بعد موتها كرُمويل فنفى من انكلترة زهاء ٤٠,٠٠٠ كاثوليكي. وكان مآل الشرائع الاخيرة التي سنَّت ضد الكاثوليك. ان كل من لا يصير ابروتستانيًا تحتم عليه الجلاء عن وطنه وفقد املاكه. وهكذا كانت بداية الكنيسة الانكليزيَّة

اما في مملكة السويد والنورفيج فلمّا افسدتها البروتستانية فقضوا بوضع قدر فيه جرذان على بطن كل كاثوليكي لا يريد ان يصير ابروتستانيًا حتى تقرض بطنه وهو حيّ وقد داوموا هذا الاضطهاد الى ان انقرضت الكثلكة من هذه المملكة. هذا وقد روى هذه الحوادث المورخ الشهير ويليام كُبّات الابروتستاني في تاريخه للاصلاح الانكليزي وهو مترجم الى الافرنسية. فعلى كل من يداخله ريب فيما اوردناه ان يطالعه فيرى لدى المقابلة اننا لم نذكر الَّا جزءًا ممَّا اخترعه الابروتستان لتعذيب الكاثوليك وحملهم على الكفر والجحد. هذا وكل لبيب يفهم ان بداية كل بدع الابروتستان وكل انفصال عن الكنيسة الكاثوليكية قد توقف على ارادة الملوك ليس غير. على انه لو اراد الملوك وقت نشر

لوتاروس رأبة العصيان ان يصدوه عن العمل لانسدّت سبل الضلال ولم يحصل منه ما حصل من الفساد والانفصال. وها قد المعنا اليه وبما قد سبق كفاية لذوي البصيرة بيانًا للفساد الذي حمل كلًا من لوتاروس وهنريكوس وابقته النفلة العصابات على الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية وليس من قصدنا الآن ان نأتي بتاريخ كلٍ من المبتدعين للضلال الابرتستنطي. على اننا لو اتينا به لرأيت العجب مما بلغوا اليه من الفساد. فان لوتاروس قد اذن لوالي بلاد السكسون ان يتزوج امرأتين معًا لانه قد كان احتضنه ودافع عنه فيما كان يبتدعه من الاضاليل. وقصارى الامر فان الانفصال قد توقف كله على ارادة الملوك وفسادهم

فكما قد اتضح ذلك من انشاء الكنيسة الانكليزية فكذلك يتضح من انشاء الكنيسة اليونانية. لان الداعي الذي حمل هذه الكنيسة على الانشقاق كان ايضًا ارادة الملوك. فقد بينًا في الجزء الاول من هذا الكتاب كيف ان الملك ميخائيل ووزيره برداس آذنا الى فوتيوس بالانفصال عن وحدة الكنيسة الكاثوليكية وكيف حبسه الملك باسيليوس وجمع الكنيسة. ثم كيف آذن بالانشقاق وكيف ان الملك لاون حبس فوتيوس فيما بعد وكيف ضم الكنيسة وكيف ان الملك اسحق عاون ميرولاريوس على الانشقاق وفصل الكنيسة فصلًا تامًا. فجميع هذه الانشقاقات والرجوعات كانت كلها متعلقة بارادة الملوك. فاخذ كلٌ من البطاركة يبتدع ما يطيب لهُ في امور الايمان. فعلّم فوتيوس بعد ان رشق بالحرم ان الروح القدس انما ينبثق من الاب وحده. وميرولاريوس ان التقديس لا يصحّ الّا على الخمير واخرون ان الصلوات لا تنفع الموتى وان القديسين لم ينالوا بعد السعادة واخرون ان العماد لا يصحّ الّا بالتغطيس الى غير ذلك من الابتداعات المغايرة لقوانين الايمان المسيحي

اما الذين عاونوا على اجراء الانشقاق في هذه الكنيسة فدونك ملخص حياتهم. فقد اجمع المورخون اليونانيون على تسمية الملك ميخائيل بالسكّير لتمرغه بملاذ الدنيا وقضاء ايامه بين السكارى وارتكاب الفواحش الى ان الجاهُ فرط انهماكه الى التفرغ عن مهام المملكة وتركه اياها بين يدي برداس. فمن جملة ما أتى به من المنكرات انه قصّ شعر والدته وحبسها هي وبناتها في احد الاديرة. وعلاوةً على ذلك البس بعض ندمائهِ الثياب الاسقفية والبس احد المهرجين اسمه تاودوروس الثياب البطريركية. وذات يومٍ اخذ هو نفسه يحتفل التقديس. وفي اثنائهِ رسم تاودوروس بطريركًا قائلًا : ان اغناطيوس هو بطريرك الامّة. وفوتيوس هو بطريرك برداس. واما تاودوروس فهو بطريركي. فتجرأ والحالة

هذه باسيليوس اسقف تسالونيكي على ان يوبخه على هذه الخلاعة . غير ان الملك وثب عليه وثبة ذئب ضارٍ وبدأ يصفعه الى ان كسّر له الفك الاسفل . ثم امر بجلده الى ان ترك نصف ميت . امّا برداس فمن جملة قبحه انه ترك امرأته الشرعية والتصق بامرأة ابنه . اما فوتيوس فلا اذكر عن تفاصيل حياته شيئًا اكرامًا لجماعته الارثوذكسيين . الّا اني اورد ما أتى به من التعاليم المغايرة والحيَل الفاضحة

قد عرض برداس البطريركية لفوتيوس فكان في وسعه ان لا يقبلها لانه كان عاليًا وليس لاحد ان يقسره على قبولها . لكنه طمعًا بالرئاسة قبلها ولم تمرّ عليه ستة ايام الّا ارتقى الى السدة البطريركية . وقد رسمه رئيس اساقفة سيراكوزا الذي كان قد حرمه البطريرك اغناطيوس القديس ونزعه عن وظيفته بما قد اشتهر من الاعمال المغايرة . فلمّا تنصب فوتيوس وبرداس يعضده شرع يضطهد القديس اغناطيوس البطريرك الشرعي ويعذبه بالجوع والضرب الى انه كسّر له بعض اسنانه وكل ذلك ليحصّل منه كلمةً او كتابةً يوضح بها انه متنزل عن البطريركية من تلقاء ذاته . ولا يخفى احتياج فوتيوس الى ما يثبت تعزل اغناطيوس الاختياري لكيما يفوز بالتثبيت من لدن الحبر الاعظم بابا رومية . ولكن لمّا تعذّر له الحصول عليه قد مال الى الكذب وكتب الى البابا . فلم يكن في وسعه ان يثبته لان القديس اغناطيوس لم يكن مخلاً في تتميم واجباته والقوانين الكنائسية تحرم تنزيل بطريرك او اسقف بدون داعٍ شرعي يقتضي تنزيله . وعليه فكل من يخلف بطريركًا او اسقفًا قبل الحكم البابوي في تنزيله يكون دخيلاً ويقترف جريمةً كبيرة . فكتب والحالة هذه الحبر الاعظم الى فوتيوس بان يعتزل عن البطريركية والا طعنه بسيف الحرم . فأبى فوتيوس ان يخضع وبدأ بمعاونة الملك وبرداس ان يعزل وينزل جميع الاساقفة والروساء الذين لا يتفقون معه على الانشقاق وسام اخرين موضعهم ممن وافقوه على غيه وعصيانه وفصل الكنيسة . وقد أمر بقطع لسان باسيليوس كاتم اسرار البطريرك اغناطيوس لانه كان يدافع علانيةً عن رئيسه كما روى جماعة المورخين اليونان انفسهم كرتوفيلاكس ونيكيتاس وكروبلاتوس وشيدرينوس . وقد قيل ان فوتيوس كان عالمًا الّا انه لم يكن فاضلاً ونقول ان عدم الفضيلة قد حمله على ما أتى به من افساد الضمائر وفصل الكنيسة اليونانية . وعلى يده قد تمّ الانفصال الاوّل

قال القديس بولس في رسالته الاولى الى اهل كورنتس ف ١١ ع ١٩ : اذ لا بدّ من البدع فيما بينكم ليظهر فيكم المزكون . وقال القديس لوقا ف ٢٢ ع ٣١ :

قال الرب سمعان سمعان هوذا الشيطان سال ان يغربلكم مثل الحنطة اي ان يمتحن ايمانهم بما يلقيه عليهم من التجارب التي كثيراً ما تشتد في بعض الاوقات. فسقط يهوذا لما القى عليه المحّال من الوساوس وكان سقوطه من غير رجوع. وهكذا قد يسمح الله عزّ وجلّ احياناً للثلاب بالقاء التجارب بين المسيحيين الامناء وبان يغربلهم لتفرز الحنطة الرديئة عن الحنطة الجيدة. وعلى هذا المنوال قد تمّ انفصال كنائس الاراطقة عن وحدة الايمان *

الفصل الاول

* في انفصال الكنيسة الابروتستانية *

علّم لوتاروس ان المعوَّل عليه في امور الايمان انما هو الكتاب المقدس وحده ليس غير. فاخذ يقرأه الابروتستانت متابعوه رجالاً او نساء وكان كلٌّ منهم يجد ايماناً مخالفاً لما يجده غيره. فتشعبت الاراء والبدع الى ان بلغ عدد الكنائس في حياة لوتاروس نفسه الى ٣٤ شيعة كل واحدة تخالف الاخرى في معتقداتها والحروب بينها متطايرة الشرار. امّا في ايامنا فقد بلغ عدد الكنائس الابروتستانية الى زهاء ٣٠٠٠ كل واحدة تعرف باسم يختص بها وليس في الوسع معرفتها بالحصر لانها لا تزال في التقلّب من هيئةٍ الى اخرى ومن اسم الى آخر والاولى بان يقال ان كلاًّ منهم منفردٌ في ايمانٍ يختص بهِ. فان اتفق وكان الايمان بين البعض متقارباً تألفوا سويةً واتوا باسم كنيسة جديدة. ولا يخفى ان ما من دين في العالم الاّ ولهُ معتقد مقرر يرجع تباعهُ اليه الاّ الدين الابروتستنطي فان كلاًّ منهم يلتحم عليه ان يستخلصه من الكتاب المقدس من غير ان يصغي لاحد او يؤمن بما قد يعلّمه الآخر ويستخلصه. لان لديهم كل انسان كاذب وعليه فيؤمن الواحد منهم بشيءٍ ثم ينتقل الى الايمان بشيء آخر رافضاً اليوم ما امن به امس وذلك لوقوعه على نصٍ من الكتاب المقدس لم يبال به في السابق او لاستماعهِ تفسيراً لم يخطر لهُ على بالٍ فاستحسنهُ. ويتعزى كلٌّ منهم ويطمأن لظنّهِ انه يؤمن كما يعلمهُ الكتاب المقدس وان الايمان بكلامهِ تعالى كفاية لخلاص النفس ولا حاجة الى ما سواهُ.

وعليه فكل شيعة منهم تؤمن بخلاف ما تؤمن بهِ غيرها. فهذه تؤمن مثلاً بالثالوث الاقدس واخرى تنكر لاهوت الروح القدس. هذه تؤمن بالوهية السيد المسيح واخرى تنكرها لزعمها ان المسيح انسان عالم فيلسوف قد فاق اهل عصره عقلاً وفطنة وقد كثر عدد هؤلاء في المانيا. هذه تقتفي بتقدمة الصلوات الى

البتول مريم والى القديسين واخرى تنكر ذلك. هذه تكرم الصور والايقونات واخرى ترفض ذلك وتعدّ هذه العبادة وثنية. هذه تنكر سر الاعتراف واخرى تقبله. وكثير منهم اذا طالعوا كتب الآباء القديسين يقرّون بالمعتقد الكاثوليكي الّا الاعتقاد برئاسة البابا. ومنهم من يباشر سرّ العماد ومنهم من لا يعتقد بضرورته للخلاص لزعمهم ان العماد انما هو طقس خارجي فقط لا تدعو ضرورة الخلاص اليه. والمرسلون الاميركان ليسوا كهنة حقًّا ولا يؤمنون جميعهم بالعماد واذا رأيتهم يباشرون هذا السر فانما يصنعونه تظاهرًا فقط. ومنهم من يبنون معتقدهم على هذه الآية من الكتاب: انموا واكثروا (تكوين ١ : ٢٢) وعليه فانهم يأخذون نساء كثيرة وقد بلغ ببعضهم الامر الى ان يتخذوا ثلاثين امرأة ليتمكنوا من الانماء وهم المرمون. ومنهم وهم اشياع ينكير يجتمعون في المعابد ثم ينطرحون على الارض ويأخذون بالتقلّب والانفتال الى ان تطقّ عظامهم وذلك سندًا على ما أتى به داود النبي: ان عظامي كلها تمجد الرب (مزمور ٣٤ : ١٠) وجماعة منهم وهم الميركيريون فانهم يجتمعون رجالًا ونساء ويأخذون بالنبح والهرير مقتدين باصوات الحيوانات عملًا بما قاله الملك داود: الحيوانات كلها تبارك الرب. واخرى وهم السمبوريون يرتلون جميعهم سوية بلغات مختلفة سندًا على ما قاله داود النبي: وجميع اللغات تمدح الرب. واخرى وهم انيمبرسيون يجتمعون رجالًا ونساء وصبيانًا وبنات ويأخذون بالصريخ والرقص الى ان يسقطوا على الارض مغشيًّا عليهم اعتقادًا بما قد كتب: ان ملكوت السماء تُغصَب. هذه بعض الخرافات القبيحة التي يأتي بها الدين الابروتستنطي. وهي كثيرة ليس محل استيفائها هنا. هذا وان اعترضتَ على احد الابروتستنط بما هم عليه من الانقسامات وبما يأتون به من الخرافات الفاضحة انكر لوتاروس والدين الابروتستنطي وقال انما انا انجيليٌّ أؤمن بكلمة الله الحقيقية وبما يرشدني الكتاب والعقل اليه. الّا انه بالحقيقة ابروتستاني لان مبدأ اعتقاده انما هو مبدأ لوتاروس الذي قد نادى بوجوب الايمان بكلما يجده المرء من العقائد الدينية في الكتاب المقدس عب مطالعته وادراك معانيه على قدر طاقته دون الاعتماد على تفسير غيره ولو كان اعلم واذكى منه كثيرًا *

الفصل الثاني

• في رجوع الابروتستنط الى حضن الكنيسة •

اعلم ان المملكة الانكليزية مؤلفة من جزيرتين عظيمتين وهما انكلترة وايرلندة.

فلم يبقَ في جزيرة انكلترة سنة ١٧٩٣ الّا زهاء ٣٠،٠٠٠ كاثوليكي وثلاثون كنيسة صغيرة يخدمها خمسون كاهنًا. الّا ان الكثلكة قد بدأت منذ زمان ليس بيسير ان تتحرر بمعتقدها فبدأ الجمهور يرجع اليها افواجًا الى ان بلغ عدد الكهنة في سنة ١٨٨٣ . ١٧٥٠ والاساقفة ١٧ والكنائس ١٥٣٠ والمدارس الكبيرة والصغيرة ١٠١٧ والاديرة ٢٠٠ . اما في ايرلنده فبلغ عدد الكهنة ٨٤٥٠ . والاساقفة ٢٨ والمدارس الصغيرة ٧٠٠٠ والكبيرة ١٤١ . واما في الممالك الانكليزية كلها فعدد الاساقفة الكاثوليك ١١٥ . وقد نشرت الجرائد الكاثوليكية والابروتستانية هذه الاعداد ولم يقم عليها نكير. هذا والارتداد الى الكثلكة كثير في اوربا وامركا وعلى الخصوص بين العلماء والفقهاء والشرفاء . وهناك اسماء بعض اعضاء العيال الملوكية او الاميرية الداخلين في الكنيسة الكاثوليكية منذ اوائل القرن الجاري . ففي سنة ١٨١٧ قد ارتدَّ دوكا السكسوغوتا . وسنة ١٨٢٢ الامير دي سكوفبرج . وسنة ١٨٢٦ اخو ملك بروسيا ودوكا دي مكلمبورج وزوجة ولي عهد ملك دانمرك . وسنة ١٨٥١ اخو ملك فيتنبرج . وسنة ١٨٧٠ ابنة اخي ملك بروسيا وملكة باڤاريا . اخيرًا ملكة انكلترة والدة الملكة فيكتوريا . وروي عنها انها في ساعة موتها استدعت ابنتها وقالت لها : يا ابنتي العزيزة اني اموت في حضن الكنيسة الكاثوليكية وغاية بغيتي ان تفوزي انتِ ايضًا بهذه النعمة العظمى . ونعم القول في ساعةٍ تتنوّر فيها الابصار من نور الابدية العجيب ولا يتفوّه المرء الّا بكلام الحق . ومما يوجب الانذهال على نوعٍ خاص ارتداد سبعين من علماء كلية اكسفور الانكليزية وذلك بمدة بعض سنوات وعلى اثر مطالعة تآليف الآباء القديسين المجموعة في مكتبة الكلية المار ذكرها المقفلة منذ اوائل الانشقاق . لان اولئك اللاهوتيين قد وجدوا في تلك التآليف القديمة العهد ما اثبت لهم جليًا حقيقة التعليم الكاثوليكي . وقد ارتدَّ متاخرًا اللورد ريبون الذي كان رئيس الفرمسونية الانكليزية ونصب عدة سنين نائبًا ملوكيًا من قبل ملكة انكلترة وسلطانة الهند

قل لي يا صاح لماذا اولئك المرتدون من الشهراء لم ينضموا الى الكنيسة الروسية او اليونانية او خلافها من الكنائس غير المتحدة . وما ترى الذي اغراهم باعتناق الكثلكة دون اعتقاد غيرها . لعمر الله لم يحملهم على ذلك الّا حب الحق الذي اشرق ضياؤهُ على عيونهم وكشف لهم العلامات الاربع المتصفة بها الكنيسة الكاثوليكية دون غيرها والدالة الى كنيسة المسيح الحقيقية دليلًا لا يشوبهُ ريب البتة

الفصل الثالث

• في زعم الابروتستان ان الايمان وحده كافٍ للخلاص •

ان جل اعتقاد المذهب الابروتستاني انما هو كون الايمان وحده كافياً للخلاص وعليه قد تجاسروا فزعموا انهُ بعد ان افتدانا السيد المسيح لقد امست اعمالنا باطلة لا حاجة اليها لنيل الخلاص. بل قالوا انهُ اذ قد وفى المسيح وفاءً فائقاً عن خطايانا جميعاً فمن المحال انها توجب علينا الهلاك. نعم ان الابروتستان لا يتجرأون على نشر مثل هذه التعاليم في الاقطار المشرقية لئلّا يهيجوا الافكار بمصادمتهم علانيةً ما هو عليه الشعب من الايمان القويم فيقتصرون على القول ان الانسان انما يخلص باستحقاقات السيد المسيح وحدها. فليس في قصدنا الآن دحض هذه التعاليم من الكتاب لعدم الاحتياج اليه في هذه الاقطار الّا اننا نثبت ان الابروتستنط انما يعتقدون بلا مِراء بما نشير اليه من ايمانهم ونحن لا نستخدم في هذه المسألة توراة الكاثوليك بل التوراة التي طبعها الابروتستنط انفسهم في لندن ليتمكن القارئ من المقابلة بين سوء نواياهم وقباحة تحاريفهم للكتاب: قال القديس بطرس في رسالته الثانية فـ ١ ع ١٠ و ١١: فمن اجل هذا يا اخوتي احرصوا جدًا ان تجعلوا مثبتةً دعوتكم واختياركم بالاعمال الصالحة فانكم ان فعلتم هذا لم تذنبوا ابداً لانه هكذا تعطون سعة المدخل الى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الابديّة. هذا نص الترجمة العربيّة المطبوعة في لندن. امّا التوراة التي طبعها الاميركان الابروتستنط في بيروت ففيها هكذا: بالاكثر اجتهدوا ايها الاخوة ان تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين لانكم اذا فعلتم ذلك لن تزلّوا ابداً لانه هكذا يُقدَّم لكم بسعة دخولٌ الى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الابدي. فمسخوا الآية وحرّفوا كلام الله وحذفوا الالفاظ « بالاعمال الصالحة » وما ذلك الا لانهم لا يؤمنون بضرورتها. أتظنهم يجهلون ورودها في الكتاب. لا لعمري الّا انهم لا يؤمنون بضرورتها للخلاص كما انهم لا يؤمنون ايضًا ان الخطايا تجرّ اليهم هلاكاً. فحذفوا هذه الآية لانها تصدع ما يزعمونه صدعاً تتكسر امامه الافواه. فما ظنك ايها القارئ برجل يحرف كمبيالة. أفلا تحل عليه عقوبة الخائن الغشاش. أفهل يثق بهِ انسان أفلا يعدّ من سفهاء القوم وسفلتهم. امّا هذا القوم فلا يحرف اقوال البشر ومعاهدتهم بل كلام الله نفسهُ. فيا لهُ من نفاقٍ مريع يكشف عن محياهم حجاب الخديعة ✿

الفصل الرابع

« في ان التوراة هي كلام الله »

قد تكلم الاباء القديسون في كتبهم عن اناجيل كثيرة وُجدت في ايامهم منها انجيل الاثني عشر رسولاً وانجيل القديس بطرس وانجيل القديس يعقوب وانجيل القديس توما وانجيل القديس اندراوس وانجيل القديس بولس وانجيل القديس فيلبس وانجيل طفولية المسيح الى غيرها من الاناجيل البالغة عدد ثلاثين انجيلاً. غير ان الكنيسة الكاثوليكية قد رفضت غالب هذه الاناجيل وقررت ان الاناجيل الملهمة من الروح القدس اربعة ليس غير وهي التي كتبها القديسون متى ومرقص ولوقا ويوحنا. والكنائس المنشقة منذ انفصالها لم تتعمد الا هذه الاربعة الاناجيل. هذا ولوتاروس لم تبتدئ بدعته الا سنة ١٥٢٠. فلم يمكنه والحالة هذه ان يأخذ الكتاب المقدس الا من الكنيسة الجامعة اذ لم يؤتَ بوحي ولم يهبط عليه ملاك يقول له هوذا الكتاب الذي تتعمده في توطيد ابتداعك. وعليه فان الابروتستنط يؤمنون بعصمة الكنيسة في محافظتها على صحة الكتاب والا لَما اخذوه عنها. فلو اعتقدوا ان الكنيسة قد ضلّت في الايمان لَما امكنهم ان يعرفوا كلمة الله بالحقيقة اذ كان قد تعذّر عليهم ان يميزوا بين ما انتشر من الاناجيل اية هي الحقيقية التي اوحاها الروح القدس او يعرفوا هل الاربعة الاناجيل هي بالحقيقة للمبشرين الاربعة المساة بسمائهم. وهل اوحاها بالحقيقة الروح القدس ام هي عمل البشر فقط وهل هي منزهة عن الغلط والتحريف فان المطابع لم تكن بعد وُجدت وكانت الكتب تتناقلها يد النساخ وكلّ يعلم ما يقع من الاغاليط في مباشرة هذه الحرفة فضلاً عن ان كلاًّ من الكنائس المنفصلة كان يسهل عليها ان تزيد او تنقص شيئًا من النصوص الالهية توطيداً لما تأتي به من الابتداع. قال القديس بولس في رسالته الى الرومانيين: ان الانسان يتبرر بالايمان. فاضاف لوتاروس كلمةً واحدة فقال ان الانسان يتبرر بالايمان وحده ليوهم ان الايمان وحده كافٍ في امر الخلاص بدون الاعمال الصالحة. وقد شجب الاساربون لوتاروس لانه حرّف ومسخ في انجيل القديس متى وحده ما ينيف على ٣٤ آية. واذا كان الابروتستنط الاميركان يحرّفون في ايامنا هذه وامام أعين الجميع كثيراً من الآيات فكيف يكون امرهم قبل انتشار المطابع: يقول القديس بولس في رسالته الاولى الى اهل كورنتس في ٩ ع ٥: أما لنا سلطان ان نجول بامرأة اختٍ اي بامرأة مسيحية اذ كان من عادتهم ان يستصحبوا في جولاتهم

نساء تقيات ليخدمنهم في التبشير. فترجمها الابروتستنط بزوجة لقولهم. أليس لنا سلطان ان نجول باخت زوجة ولذلك يشجبون كهنة الكاثوليك واساقفتهم الذين لا يتزوجون. وقد اتوا بهذه العبارة باخت زوجة كأنهم لا يفهمون ان الاخت لا تكون زوجة عند اية ملة كانت. والآيات الكثيرة المحرفة عمداً وخبثاً فقد أوردت ودحضت بما يصدع رداء كل ريب في كتاب طبعه الآباء اليسوعيون وقد تداولته الايدي. فعرف منه الجميع ما يأتي به الابروتستنط من الخيانة والتلاعب وما يتعمدونه من سهولة التحريف. فمنهم من يحذف اسفاراً كاملة من الكتاب. ومنهم من يؤمن بالانجيل ويدع الآخر. ومنهم من يؤمن باثنين. ومنهم من ينكر انجيل القديس لوقا والقديس مرقس لزعمهم انهما لم يكونا من رسل المسيح وعليه لم يكتبا ما يقتضي التصديق. ومنهم من ينكر صحة انجيل القديس يوحنا لزعمهم انه لم يكتبه هو نفسه بل احد فلاسفة الاسكندرية. ومنهم من يرفض اعمال الرسل للقديس لوقا. ومنهم من لا يقرّ ببعض اسفار العهد القديم. ومنهم من ينفي بعض رسائل القديس بولس. ومنهم من يقول ان الكتاب المقدس بجملته لم يوح به الروح القدس. انما هو مجموع قصص واخبار تاريخية وادبية الى غير ذلك من المسخ والتجاديف المريعة التي لا محل الى استيفائها الآن. وهم مع ذلك يقولون ان لنا كلام الله ولا سبيل الى اخذه الا عن الكنيسة مع زعمهم ان الكنيسة القديمة قد ضلت وهم المصلحون لها. فكيف يأخذون عن ضالة كلاماً ليس فيه ضلال وخلل. أفيصححونه. هل الروح القدس في قبضة ايديهم ليرشدهم الى اراء وخيمة متنافية متناقضة أفينقض الروح القدس ذاته بذاته وهو روح الحق. ولكن هذا دأب كل من يحيد عن محجة الاستقامة فيهوي في ابحر الاضاليل ✲

الفصل الخامس

• في التقليد •

يرفض الابروتستنط كل تقليد اي كل تعليم مسيحي ليس مكتوباً في الكتاب المقدس ولو اتصل الينا من الرسل بطريقة امينة وذلك لان السيد المسيح قد وبخ اليهود لتعلقهم بالتقليدات. اما نحن فنقول نعم ان السيد له المجد قد وبخ اليهود وتعلقهم بالتقليدات الا انه لم يوبخ المسيحيين. فلاي سبب قد ذم المسيح التقليدات اليهودية. لان اليهود كانوا منقسمين الى بدع كثيرة. فمنهم الكتبة والصادوقيون والزنادقة والهيروديانيون وهولاء قد اتوا بتقليدات متنوعة زعموا

انها اتتهم خلفاً عن سلفائهم وهي على قسمين. منها موسوية وهي حميدة. ومنها فريسية تستحق التوبيخ. فمنها غسل الايدي قبل الأكل. ومنها غسل الايدي مراراً في اثناء الاكل. ومنها تجنب الاكل مع الخطأة. ومنها امتناع شفاء المرض يوم السبت. ومنها المداومة على الصوم والصلاة. ومنها تعشير اخف الاشياء وادقها. ومنها الوقوع في الخطاء عند القسم بذهب الهيكل والتقدمات لا بالهيكل نفسه او المذبح الى غير ذلك من التقليدات الباطلة التي كانت تتفضل على الناموس نفسه كما شهد المخلص بقوله للفريسيين: انكم تركتم وصايا الله وتمسكتم بسنة الناس من غسل جرار وكؤوس واشياء اخرى كثيرة امثال هذه تفعلونها (مرقس ٧ : ٨) وقوله لهم انكم رفضتم وصية الله تماماً لتحفظوا سنتكم (مرقس ٧ : ٩) فلما كان هؤلاء المراؤن قد نفوا الناموس الالهي ليدخلوا بدله ناموساً بشرياً. فبكل حق وصواب قد وبخهم السيد المسيح وذم تقليداتهم علانية لئلا يضل الجمهور ويقتفي اثارهم ويحمل نيراً ثقيلاً لم يطرحه عليه الرب تعالى. الا ان المسيح لم يوبخهم على تمسكهم بالتقليدات الموسوية الطابقة الناموس وروحه الالهي والمساعدة الشعب على حفظ كلما اوصاه الباري تعالى واوحى به الى نبيه موسى الكليم. اما الفرق الواقع ما بين التقليدات اليهودية والتقليدات المسيحية الرسولية فواضح كل الوضوح لان التقليدات اليهودية المشار اليها كانت بشرية محضاً. اما المسيحية فقد اتتنا من الرسل القديسين الذين لم يحرروا قط كلما تعلموه من فم السيد المسيح ولم يأمرهم سيدهم بكتابته. بل اقتصر على ان يقول لهم: اذهبوا وعلموا جميع الامم. اي بلغوا كلامي الى الجميع. فقد امتثل الرسل امر سيدهم وعلموا الامم كلما كانوا قد سمعوه من فيه القدوس وقضوا الوفا من الناس قبل ان حرروا كلمة من الاناجيل المقدسة. فلو اراد المسيح ان كل تعليمه يكتب لكان قد كتبه هو بخط يده او نصه لبطرس ولغيره من رسله مثلاً للقديس الذي كان اعلم من بقية الرسل. فمن الثابت ان الانذار بالانجيل قد ابتدأ وامتد وانتشر وادخل الكثيرين الى حظيرة المسيح دون ان يقدم الرسل للشعوب قطعة واحدة من الاناجيل المحررة. اذ لم يكن وجود لتلك الاناجيل الا عدة سنوات بعد صعود المسيح الى السماء وتفرق الرسل بين الامم. الا يتضح من ذلك ان كنيسة المسيح قد قامت وانتشرت بدون الكتاب المقدس وبمجرد انذار الرسل القديسين الشفاهي. ومن ثم ان الايمان ليس بمعلق في مطالعة الكتاب المقدس. ألم يأت في رسالة القديس بولس الى اهل رومية ما يؤيد قولنا هذا وهو قوله: كيف يدعون الناس الى من لم يؤمنوا به وكيف

يؤمنون بمن لم يسمعوا بهِ وكيف يسمعون بلا مبشر (ف ١٠ ع ١٤) ألا يشير قول الرسول هذا ان الايمان بالمسيح لمعلق بتبشير المبشرين الذين ارسلهم المخلص بقوله اذهبوا وتلمذوا الخ. فلا يعترض البروتستنط ان كلما علّمهُ الرسل القديسون قد حرر في الكتاب المقدس اي في اسفار العهد الجديد وعليه ان كل تعلم خارجٍ من الكتاب فهو خارج عن تعلم السيد المسيح. ومن ثم لا يستحق ادنى اعتبار بل يجب رفضه على الاطلاق. والحال ان التقليدات الكاثوليكية لخارجة من الكتاب الالهي وبالتالي عن تعلم المسيح الحقيقي. فان اعتراضاً كذا لا طائل تحته بل دليل واضح على جهل من ياتي بهِ او اقله على سوء تاويله الكتاب المقدس كما يستبين مما نورده في الفصل الآتي ☆

الفصل السادس

• هل قد كُتب كل شيء في الكتاب •

اعلم ان الشريعة القديمة من كونها معدَّة لشعب واحد واهل لغة واحدة قد كتبها موسى النبي مع ان الشعب كلهُ لم يكن يحسن القراءة. انما كان على الكهنة ان يفسروها لهُ كما جاء في ملاخي النبي (ف ٢ : ٧) لان شفتَي الكاهن تحفظان العلم ومن فمه يطلبون الشريعة اذ هو ملاك رب الجنود. اما الشريعة المسيحية وهي الشريعة الجديدة حال كونها غير معدة لشعبٍ واحد بل لجميع الشعوب والامم معما هم عليه من اختلاف اللغات. فلم يكتبها السيد المسيح ولم يأمر تلامذته بان يكتبوها. فهو لهُ المجد قد كان يعلم لساناً ومشافهة فتتبع آثارهُ رسله الكرام فبدأوا يعلّمون مشافهةً هم وخلفاؤهم والادلة على ذلك اكثر من ان تعدّ. فقد كتب القديس بولس في رسالته الثانية الى تلميذهِ تيموتاوس ف ١ ع ١٣ لقوله: تمسّك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته مني في الايمان والمحبة التي في المسيح يسوع. فلم يقل الذي تعلمته من رسالتي الاولى اليك. بل قال الذي سمعته مني. فاذا سمعهُ فانهُ لم يقرأه وعليه قد حازه بتعلم الرسول الشفاهي. وقد قال القديس يوحنا الرسول في رسالته الثالثة: ان عندي اشياء كثيرة اكاتبك بها لكنني لا احب ان اكتب اليك بها بالمداد والقلم ولي رجاء ان اراك عن قريب ونتكلم مواجهةً. ألم يدل بقوله هذا على التعلم الشفاهي. وقال القديس بولس بصريح العبارة في رسالته الى اهل رومية ف ١٠ ع ١٨: فالايمان اذن من السماع والسماع بكلمة الله. فلم يرق هذا الافصاح لجماعة الابروتستنط فمالوا الى الكذب والتحريف وقالوا: اذن الايمان بالخبر والخبر

بكلمة الله . فالخبر غير السماع اذ قد يكون السماع بالمواجهة لا بالكاتبة

ان كتب الاناجيل صغيرة الحجم ولا تنيف على الاربعة وكل من الانجيليين قد اورد من الحوادث ما اشار اليهِ غيره على انها تختصر حياة السيد المسيح وتعليمه ولم يكتب الانجيليون الاّ في ظروفٍ واوقاتٍ اضطرتهم الى الكتابة لردع ما كان يبتذره من الضلال اهل المفاسد والبِدَع . فقد كتب القديس يوحنا انجيله ضد اراطقةٍ كانوا ينكرون لاهوت السيد المسيح وذلك سنة ٩٤ بعد موت المخلص . ثم باقي الرسل غير الانجيليين لم يكتب البعض منهم الاّ ما قلَّ فالقديس يعقوب كتب رسالة واحدة ويهوذا واحدة والقديس بطرس اثنتين ويوحنا ثلاثة والقديس بولس اربع عشرة رسالة . وأمّا الرسل الاخرون فلم يكتبوا شيئًا قط انما اقتصرت تعاليمهم كلها على المشافهة والمواعظ . ولا يخفى ان غالب هذه الرسائل قد كُتبت بداعي ما كان يبثهُ الاراطقة الذين كانوا ينتصبون لمصادمة تعليم الرسل . وأمّا القديس بولس فقد كتب اكثر من سائر الرسل لانه اضطرّ الى محاربة كثيرٍ من المخاصمين لتعاليمه بقولهم انهُ ليس رسولاً ولا رأى السيد المسيح ولا سمع تعليمه وعليه قد بيّن ان الروح القدس قد اختاره واخصه بتبشير الامم كما جاء في رسالته الاولى الى اهل كورنتس ف ٩ ع ٢ : وان لم اكن رسولاً الى اخرين فاني رسول اليكم

اعلم ان الارطقات التي حاربتها الرسل بما أتوا به من التعاليم قد استمرّت زمانًا طويلاً بعد موت الرسل فحاربها خلفاؤهم وتلامذتهم بكثير من التآليف والمواعظ . وهوذا ملخص ما اتت به تلك الارطقات المختلفة الوجوه . فمنهم من علّم ان السيد المسيح ليس الهًا . ومنهم انه لم يأتِ الى هذا العالم بجسد حقيقي بل خيالي شُبِّهَ به وعليه فانه لم يمت حقيقةً ولم يتألم لاجلنا . ومنهم ان السيد المسيح اوطى من الملائكة قدرًا وشرفًا ومنهم ان الله سبحانه لم يخلق العالم بهِ بل بالملائكة الذين هم الهة صغيرة . ومنهم ان الملائكة هم الذين يسوسون العالم لا الله سبحانه . ومنهم انهُ لا ينبغي ان نطلب الى الله بل الى الملائكة وذلك على سبيل الاتضاع . ومنهم ان الزنا ليس خطاءً وان تمّ مع امرأة القريب لانه من دواعي الطبيعة . وقد صرّح المجمع الاورشليمي بتحريم هذه البدعة كما جاء في اعمال الرسل ف ١٥ ع ٢٠ وما يليه . ومنهم ان الزواج حرام لزعمهم بقرب الدينونة الاخيرة وانتهاء العالم . ومنهم انه ينبغي حفظ الشريعة الموسوية والمسيحية معًا لان كلتيهما من الله . ومنهم من علّم انه لا ينبغي حفظ اية شريعة كانت فان الايمان بالمسيح وحده كافٍ للخلاص مع ان الرسل قد كانوا قرّروا خلاف ذلك في

المجمع الاورشليمي. والارطقات التي بدأت وتتذر كثيرة نضرب عن ذكرها حذراً من الاطالة

فاخذت الرسل بتفنيد هذه الارطقات وتحذير الشعب من الهبوط فيما كانت تبثه من الاضاليل. فكتب القديس بطرس في رسالته الثانية ف ٢ ع ١٠ وصرّح ان الله سبحانه سيبقي الى يوم الدين اولائك الذين يتبعون شهوات الجسد النجسة ويحتقرون السيادة مجدفين على اصحاب الايمان فاسدين مفسدين بما يأتون به من التعالم المضلة. وكتب القديس يوحنا في رسالته الاولى ف ٢ ع ١٨ وما يليه عن المسحاء الكذبة فقال: ايها الاولاد هذه هي الساعة الاخيرة وكما سمعتم ان المسيح الدجال يأتي. يوجد الان مسحاء دجالون كثيرون وهم يطغون القلوب السليمة. وفي ع ٢١ وما يليه كذب اولائك الذين ينكرون ان يسوع هو المسيح: هذا هو المسيح الدجال الذي ينكر الاب والابن. وكتب ايضًا في رسالته الثانية ف ١ ع ٧ وما يليه ضد اولائك الذين ينكرون ان السيد المسيح قد اتى الى العالم بجسد حقيقي لقوله: فانه قد دخل العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح الاتي في الجسد ومن كان كذلك فهو المضل المسيح الدجال: اما القديس بولس فقد كتب كثيرًا في دحض الاراطقه وتوطيد اركان الدين بما قدمناه آنفًا. فكتب الى تلميذه تيطس بان يتجنب المبتدعين لقوله ف ٣ ع ١٠: ورجل البدعة بعد الانذار مرة واخرى اعرض عنه. وكتب الى اهل غلاطية ف ١ ع ٨ وان بشرناكم نحن او ملاك من السماء بخلاف ما بشرناكم به فليكن مُبْسَلاً اي محرومًا والرسول كان قد بشرهم بالانجيل مشافهةً لا بالكتابة وكتب الى اهل فيلبي ف ٣ ع ٢: احذروا الكلاب احذروا عملة السوء احذروا ذوي القطع اي اولائك الذين كانوا يجبرون المسيحيين على الختان ويشبهون الرسل بالثالب مثل الكلاب لانهم كانوا يعلمون بملاشاة الشريعة الموسوية. وكتب الى الرومانيين ف ١٤ ع ١٤ وع ١٥ وملخصه انه لم يبقَ شيء نجسًا من قِبَل الاكل والشرب الّا انه الاحسن ان يتجنبه المرء اذا كان القريب يعثر به او يشك او يضعف. وكتب الى اهل كولسّي ف ٢ ع ١٦ فلا يحكم عليكم احد في المأكول والمشروب او من قبيل عيد او راس شهر او سبوت. وقد بيّن في هذه الرسالة وفي رسالته الى العبرانيين ان المسيح هو بمعزل عن ان يعادله احد من الملائكة او المرسلين وعليه فلا بدّ من الرجوع اليه لانه الينبوع الوحيد والوسيط الوحيد الذي اصلح بموته بين السماء والارض

قد علّم القديس بولس مرارًا انه لا ينبغي للمسيحيين ان يحفظوا الشريعة

الموسوية لانها غير كافية للخلاص بل الايمان بالسيح هو الذي يخلّص. ولم يعن بتعليمه هذا الشريعة الطبيعية التي توضحها الوصايا العشر. انما عنى بذلك الشريعة الطقسية كالختان ولزوم التقدمات وغيرها من الفروض التي كان رسمها موسى النبي. فنتج بعض الجهلة من ذلك انه لا ينبغي حفظ الوصايا العشر ايضاً وانكروا ضرورة الاعمال الصالحة ولزوم الهلاك لمن يموت بحالة الخطاء المميت لزعمهم ان الايمان وحده بالسيح يخلّص ولا حاجة الى غيره. وعليه فلا تكون بدعة الابروتستنط حديثة في كنيسة الرب بالنظر الى اضاليلها انما هي صدى يردّد اصوات ما سبق من البدع الوخيمة بل اختلاط فاضح من الاضاليل السابقة. ولكن لما ظهرت تلك البدع وبدأت تنتشر بين المسيحيين سلّ الرسل سيف كلمتهم وحاربوها بما لا مزيد عليه من البيان فبيّن القديس يعقوب ضرورة الاعمال الصالحة الى ان دعا الايمان ميتاً بدونها لقوله: هكذا الايمان ان كان بغير اعمال فانه ميت في ذاته ف ٢ ع ١٧. وقال القديس بطرس ان ثبات الدعوة والانتخاب انما يتعلق بالاعمال الصالحة: فمن اجل هذا احرصوا يا اخوتي ان تجعلوا مثبتة دعوتكم واختياركم بالاعمال الصالحة فانكم اذا فعلتم هذا لم تذنبوا ابداً: ف ١ ع ١٠ من رسالته الثانية. واثبت القديس يوحنا في رسالته الاولى ف ٣ بان الخلاص انما يتعلق باعمال البرّ اذ بدونها لا خلاص ولا انتصار على اعمال ابليس. فلما رأت جماعة المسيحيين ان ثلاثة من الرسل قد دحضوا تلك الارطقة توهموا ان القديس بولس لم يكن يأتي بالتعليم الصحيح لما كانوا يحرّفونه من اقواله او يسيئون فهمها. فاضطرّ والحالة هذه القديس بطرس من كونه رئيس الكنيسة وكتب رسالة عامّة الى المسيحيين يثبت فيها صحة تعاليم القديس بولس كما نشاهده في رسالته الثانية ف ٣ ع ١٥ وما يليه لقوله: واحسبوا امهال ربنا خلاصاً لكم كما كتب اليكم ايضاً اخونا الحبيب بولس على حسب الحكمة التي أُوتيها. كما في رسائله كلها ايضاً متكلماً فيها على هذه الامور. الّا ان فيها اشياء صعبة الفهم يحرّفها الذين لا علمَ عندهم ولا رسوخ كما يفعلونهُ في سائر الكتابات لهلاك نفوسهم

فالظاهر من كلما تقدم ايضاحهُ ان ما كُتب من كلامه تعالى في اسفار العهد الجديد انما قد كُتب لا امتثالاً لامر ابرزهُ السيد المسيح بل تداركاً لما كان قد حلّ على المؤمنين من الخطر او الوسواس في امور الايمان وصيانة لهم من التعاليم الفاسدة النابتة ما بينهم بعد ان بذرها خبثاً مبشرون كذبة وعلماء مكّارون حاولوا توقيف بشارة الحق واتلاف الضمائر ومناقضة الرسل الاطهار

والحالة هذه فلا مرآ ان الكتبة القديسين لم يقصدوا قط كتابة كلما قد علمهُ السيد المسيح وعليه فلم يحرروا كلما كانوا قد تعلموه من معلمهم الالهي بل جانباً منهُ فقط. اما التعليم السيدي الذي لم يحرروهُ فقد علموهُ مشافهةً وهذا انما هو التعليم الذي قد دُعي التقليدات الرسولية لانهُ قد وصل الينا من الرسل تقلداً. وهذا التعليم ليس هو قطعاً دون التعليم المحرر بل هو الهي نظيرهُ. ويجب الايمان بهِ كما يجب الايمان بكلما قد كُتب في الاسفار المقدسة ✿

الفصل السابع

* هل الكتاب المقدس واضح في سائر نصوصه *

من زعم الابروتستنط ان الكتاب المقدس من كونه كلام الله فهو واضح. وفهمهُ في وسع كلٍ من الرجال والنساء. اما بيان فساد زعمهم هذا فلهُ وجوه شتى

الاول: ان الانبياء كثيراً ما تكلموا عن مجي مسيّا المنتظر من الامم واشاروا اليه اشائر عديدة. ومع ذلك فلما اتى مسيّا وهو السيد المسيح ما اكثر اليهود الذين لم يعرفوه ولم يقرّوا بالوهيته ولم يقبلوهُ مخلصاً لهم وما زال جمهور اليهود يرفضهُ بعنادٍ

الثاني: اننا نشاهد الرسل يطلبون الى يسوع مراراً ان يفسر لهم ما كان يخاطبهم بهِ او يذكرهم بهِ من اقوال الكتاب. فلو كان الكتاب واضحاً أفهل كانوا في احتياج الى ذلك

الثالث: ان الانبياء والرسل انفسهم كانوا يستمدّون من الله ان يعينهم في فهم الكتاب كما جاء في مواضع كثيرة: قال المرتل الالهي: فهّمني فاحفظ ناموسك مزمور ١١٨ ع ٣٢. وقد اوردنا في اخر الفصل السابق ما قاله القديس بطرس عمّا تحتويه رسائل القديس بولس من الغوامض والمعاني الصعبة الفهم. وقال ايضاً في رسالتهِ الثانية ان كل نبوةٍ في الكتاب ليست بتفسير فردٍ من الناس (ف ١ ع ٢٠)

الرابع: ان الكتاب انما يحتوي على تعاليم الهية سامية فيفوق الكثير منها طور العقول البشرية ويمتنع من ثم على الانسان ادراك غامضها بقوة عقله والقصر مستولٍ عليه طول حياته فضلاً عمّا هو عليه من التقلّبات المتواصلة فما يخطر على بالهِ من الافكار والاوهام والاراء. فمن الانام من تُعاد عليهم الاسئلة مراراً فلا يفقهون ولا يدركون ما يقال لهم. وانتَ ايها الابروتستنطي تظن انك تفهم الكتاب من مجرد مطالعتك اياه

الخامس : ان جميع الهرطقات التي ظهرت في الكنيسة قد سندها مشيعوها على آيات من الكتاب قد فسّروها سوء التفسير. فلو كان الكتاب واضحًا افهمهُ كل كما هو فانسدّت طرق التأويل العوجَة . والحال ان الواقع بخلاف ذلك . لان الكتاب غير واضح ولا بدّ لهُ من مفسّر يكشف عن معانيه المبهمة. وعليه فلا ينادي بوضوح الكتاب وعدم الاحتياج الى من يفسرهُ الاّ الاغبياء المتكبرون والمجانين . يقول الابروتستانت ان الروح القدس يعلّمهم كل حق . نعم ان الروح القدس يعلّم الكنيسة كل حق . ولذلك فان ايمانها واحد وتعليمها واحد لكنهُ لا يعلّم كل واحد بمفرده كما يزعم الابروتستانت فان الروح القدس واحد وعليه فتعليمهُ واحد غير مختلف وغير مناقض بعضهُ بعضًا . امّا الابروتستانت فيأتون بتعاليم لا يحدها حصر لما هي عليهِ من الاختلافات المتنافية. فقد تشعبت بينهم الآراء على قدر الرؤوس . فكيف يكون الروح الذي هو روح الحق الواحد معلّمًا او مرشدًا لما يأتون بهِ من المناقضات الوخيمة ✿

الفصل الثامن

• هل تكفي مطالعة التوراة وحدها •

قال الابروتستانت : ان القديس يوحنا الرسول قد اورد في بشارته قول المسيح هذا (فـ ٥ : ٣٩) انتم تبحثون في الكتب لانكم تحسبون ان لكم فيها الحياة الابدية فهي التي تشهد لي . الا ينتج من ذلك انه قد تحتم على كل انسان ان يقرأ الكتاب ويؤمن بما فيهِ وحده . الا انه قد ساء ما نتجوهُ لان السيد لهُ المجد انما يثبت في هذه الآية ان اليهود يطالعون الكتاب وعليه فيمكنهم ان يستنتجوا منه ان المسيح المنتظر لم يأمرهم قط ان يطالعوه من باب الضرورة . نعم ان قراءة الكتاب مفيدة جدًا الا انهُ لا يسوغ لكل قارئ ان يبني ايمانه على ما يحصّلهُ بنفسه من مطالعته . وقد بيّنّا فيما اسلفناه ان تفسير الشريعة انما يُطلب من فم الكاهن كما جاء في ملاخي النبي لقوله : لان شفتي الكاهن تحفظان العلم ومن فيهِ يطلبون الشريعة اذ هو ملاك رب الجنود

وقال السيد لهُ المجد في متى (فـ ١٨ : ١٧) : وان لم يسمع من البيعة فليكن عندك كوثني وعشّار . أفهل قال لهُ المجد : وان لم يسمع من الكتاب . كلاّ بل قال ان لم يسمع من الكنيسة . أفهل كنا نعرف الكتاب لولا الكنيسة . فهي التي سلمتنا اياه وهي التي تعلمنا انه كلام الله . وهذا قد اقرَّ بهِ لوتاروس نفسهُ اقرارًا جليًا ولو رغمًا عنهُ وعلى كرهٍ من بغضتهِ الصورية للكنيسة الكاثوليكية .

وبالحقيقة فلولا شهادة الكنيسة الكاثوليكية العلنة بل المحققة لنا انها حافظت على الكتاب المقدس بما لا مزيد عليه من السهر والاجتهاد فمن اين يا ترى كان قد تأكد لنا وللبروتستانت ان الكتاب الملقب بالمقدس يستحق هذا اللقب الشريف ويحتوي على كلام الله ولم يعتره ادنى تغيير وتحريف. لعمر الله اذنا لما كنا استطعنا سبيلاً الى ذلك على وجهٍ من الوجوه. أليس ان الكنيسة قد وُجدت قبل وجود الكتاب. والاناجيل لم تكتب الا بازمنةٍ بعد انتشارها. اما الآن فيحسن بنا ان نتساهل مع البروتستانت ونفرض صواب زعمهم بان مطالعة التوراة تغني عن كلما سواها حتى عمن يحافظ على هذا الكتاب ويُدقق تفسيره ويضبطه ويأتي بايضاح كل آية مبهمة مشكلة ولا يعرض ابداً عن الحق. لان هذا مراد البروتستانت بقولهم ان التوراة وحدها كافية للايمان والخلاص

فنطرح اذاً الكنيسة جانبًا بل نفرض انها قد دُفنت مع الرسل القديسين ولم نرث من اولئك الابرار الا اسفار العهد الجديد

اولاً ألا يحتاج كل واحدٍ الى اقتناء نسخةٍ من الكتاب المقدس المترجم الى لغته. اذ قد كُتب العهد القديم بالعبرانية والعهد الجديد فبعضه قد كُتب بالعبرانية والسريانية والباقي باليونانية. والحال ان اللغات يبلغ عددها زهاء ١,٠٠٠ لغة: يقتضي اذاً ان الكتاب يُترجم الف ترجمة وان كل ترجمة تتنزه عن الغلط الامر الذي لا يعسر فقط بل يستحيل

ثانيًا ألا يحتاج كل واحدٍ الى ان يحسن القراءة ويفهم ما يقرأه. والحال انهٔ لا يزال الى الان عددٌ عظيمٌ من بني آدم يجهلون القراءة على الاطلاق ويعجزون عن تعلّمها ومنهم الاقوام البربرية المتوحشة فضلاً عن غيرهم كثيرين. ثم ان كثيرين من المتعلمين القراءة في لغتهم ليس في وسعهم ادراك الحقائق السامية الفائقة الوردة في الكتاب بالفاظ عالية رقيقة طبقًا لرفيع معانيها الخارجة عن دائرة افكارهم واطوار عقولهم الغليظة

ثالثًا لا بد لكل واحدٍ من ان يحقق لنفسهِ كون الكتاب الذي فيه خلاصهٔ هو كلام الله صرفًا لا كلام اناس حرّفوا هذا الكلام الجليل جهلاً او خبثًا. الا ان تحقيقًا كذا هو من المحال ما لم يكن الله تعالى قد اقام على الارض انسانًا معصومًا عن الغلط قد فوّض اليه المناداة بان هذا الكتاب حاوٍ كلام الله المنزل والسالم من كل تغيير وتحريف وتبديل وما لم يكن قد تحقق لدى كل مطالعٍ مثل هذا التدبير الرباني ووجوب تصديق كلام ذلك الانسان. غير ان تدبيرًا كذا لمنكرٌ ومرفوضٌ عند اهل المذهب البروتستنتي ومخالف مذهبهم كل المخالفة. وعليه قد

حق لنا ان نلوم البروتستانت على زعمهم بان التوراة التي يوزعونها كل عام بالوف الوف من النسخ المختلفة اللغة هي كلام الله ولا خلاص بدون الايمان بما يعلمناه اذ لا سبيل لهم الى اثبات زعمهم هذا خلوًا من شهادة الكنيسة الكاثوليكية التي خطفوا منها الكتاب المقدس عند انشقاقهم عنها

فهنا نذكر ما جرى ما بين رجل كاثوليكي ورجل بروتستاني اتفقا ذات يوم على غوص ميدان الجدال امام الجمهور ليتضح للجميع ممن منهما هو الحق. فحضر كلاهما حاملين نسخة من التوراة فسبق البروتستاني وقال: لا بد من ان نعوّل في جدالنا على كلامه تعالى. اجاب الكاثوليكي: نِعْمَ القول يا صاح ولكن قل لي قبل كل شيء اين يوجد كلام الله الصحيح. قال البروتستاني: لا ريب انهُ موجود في التوراة. قال الكاثوليكي: ارجو من لطفك ان تثبت لي كون التوراة كلام الله صرفًا. فقد احتار البروتستاني وهتف قائلاً: يا للعجب أ انتَ من الكفرة. كلاَّ بل اخاف انك تكون منهم لانني لا ارى لك سبيلاً الى اثبات كون التوراة حاوية كلامه عزّ وعلا ومن ثم الى الايمان الحقيقي بما تعلمه فاسالك ان تبيّن لي ما عندك من الحجج الراهنة لتعدّ التوراة كتابًا الهيًا. لا حاجة الى ذلك البتة لان ذا امرٌ واضح لا ينكره الأ الكافر. هب انني كافر ونوّرني بنور انوارك كي تبلغني الهدى وتربح نفسي. عند ذلك قد اغتاظ البروتستاني وهتف قائلاً: اشهدوا ايها السامعون ان خصمي يفرّ احتيالاً من الجدال وليس بقادرٍ ان يقاومني بقوة كلامه تعالى. أمّا الجمهور فاجابه: انما انت الهارب من الجدال اذ ابيت اثبات ما يكلفك غريمك بتثبيته. فاذا امتنع عليك اثبات كون التوراة كلام الله لماذا تاخذها داعمة للمجادلة. حينئذٍ رفع البروتستاني التوراة المحرّفة التي اتى بها وصاح: هنا كلام الله ولو مهما زعم اهل الكفر. فانطلق متقمقمًا واستهزأ به الجميع

نشدتك الله ايها القارئ اللبيب المنصف ألا يستبين ممّا تقدم شرحه ان السيد المسيح لم يعلّق خلاص الانفس التي افتداها بدمه الكريم في مطالعة الاسفار الالهية المحرر اصلها في العبرانية واليونانية فقط وذلك لان مثل هذه المطالعة ليست واسطة عمومية اي في طاقة جميع البشر. ثم ليست امينة لان الكتاب لا يشهد لنفسه ولا يثبت لنا كونهُ كلام الله صرفًا وانهُ لم يتحرّف او لم يتترجم سؤ الترجمة وانهُ لم يحذف شيء منهُ. ولا سبيل لاحدٍ ان يتحقق اصابة تفسيره وادراك معانيه. وعليه فلو كان لا سمح الله بذلك قد علق المخلص خلاص نفوسنا بقراءة هذا الكتاب وفهمه والايمان باقواله لمّا كان مهد

للجميع طريق الخلاص بل سدّهُ امامهم . اذاً لكان قد تعذَّر على كل البشر الاهتداء الى ذلك الطريق والسلوك فيهِ بامان وراحة الضمير . والحالة هذه فلا بد من ان يكون اخذ بواسطةٍ اسهل واقرب وامن وهو الانذار بالجيلهِ مشافهةً وارسال رسلهِ وخلفائهم الى كل الامم ليعلموها كل ما تعلموه هم انفسهم من معلمهم الالهي ليس ما كُتب من كلامهِ فقط كما زعم البروتستانت بهتاناً

أمَّا ما قد كُتب من تعليم المسيح فعلى الكنيسة ان تحافظ عليه وتفسره لدى الاقتضاء تفسيراً لا يشوبهُ ريب بل يكون دائماً مصيباً اصابةً اكيدة نافية كل خوفٍ وشك

هذا انما هو ما تعلمهُ الكنيسة الكاثوليكية ويتضح صوابه لكل ذوي الالباب والاستقامة

ويجدر بنا ان نذكر ايضاً ان بدعة الابروتستانت قد تشعبت الى زهاء ٣٠٠٠ شعبة ذلك في مدة ٣٥٠ سنة فماذا كان من حال النصرانية لو كان الجميع ابروتستانتاً منذ ايام الرسل . فلا يكون شعب المسيحيين باقل من مليون من البدع واذا كانت يد التحريف لا تزال لاعبة في نصوص الكتاب فكيف امكننا ان نتأكد ولو على نص واحد منه وكل من المبتدعين يحذف ما لا يطيب له او لا يلائم مذهبه

اعلم انه كان من المتعذر في اوائل الكنيسة ترجمة الكتاب المقدس كما يعترف الابروتستانت انفسهم لشدة الاضطهادات مدة ٣٠٠ سنة التي اتت بعددٍ من الشهداء يبلغ زهاء احد عشر مليوناً ومع ذلك كان عدد المسيحيين يتزايد دائماً يوماً فيوماً كل ذلك بتوسط التبشير الشفاهي والارشادات لا بتوسط القراءة ومطالعة الكتاب اذ لم يكن في الوسع الاطلاع عليه . وعليهِ فلو توقف الارتداد على مطالعة الكتاب لا على التعليم الشفاهي لباد المسيحيون منذ انشاء الكنيسة . ونحن على يقين ان كل من يتفحص عن مآل المذهب الابروتستانتي يرى انه لا بدَّ من ان يُدرج في سلك الاغبياء كل من يستحسن المذهب الابروتستانتي وينقاد الى ارائه المحالية بل المضحكة ٭

الفصل التاسع

٭ لا تصدق احداً ٭

قال الابروتستانت ان الاباء القديسين والمجامع المسكونية والباباوات والكنيسة بجملتها قد ضلُّوا عن الايمان لانهم كلهم ليسوا الاَّ اناس والحال ان كل انسانٍ يَغش او يُغش . وعليهِ فلا عمدة لنا في امور الايمان سوى الكتاب الذي

هو كلام الله الصرف. أمَّا نحن فنقول ان اولئك الذين كتبوا الكتاب المقدس كانوا هم ايضًا اناسًا نظيرنا ومن ثم قابلين الغلط والغش فلماذا تصدقونهم فيما كتبوهُ. لا بدَّ لكم من ان تجيبوا انكم تصدقونهم لكون كلامهم ليس منهم بل من الروح القدس الذي قد الهمهم وانزل على قلبهم ما كتبوهُ. نعم الجواب الَّا انهُ يكذّب قولكم المار ذكرهُ اي لا تصدق احدًا اذ تعترفون بهِ انه يجب علينا تصديق الناس الذين الهمهم الروح القدس. والحال ان هذا الروح نفسهُ يدبّر كنيسة المسيح ويعضدها ويقيها من كل ضلال في امور الدين اذ قد تنبأ المسيح ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها ثم انه يكون معها كل الايام. فضلاً عن انهُ قد صلّى لاجل بطرس رئيس كنيستهِ لئلَّا يضعف ايمانه وبناء على ذلك قد اوصاه بان يثبت اخوته في الايمان. ولما كان الحال على هذا المنوال كيف تتجاسرون ايها الاخصام فتنادون على رؤوس الملا قائلين بل صارخين: لا تصدق احدًا ولا البابا خليفة القديس بطرس ولا المجامع لان البابا انسان مثلنا وداود النبي انذرنا بقولهِ ان كلّ انسانٍ كاذب. ولان المجامع متألفة من اناس صحّ عليهم قول النبي المذكور. فاذا وجب علينا ان لا نصدق البابا والمجامع فكيف يمكننا ان نصدقكم انتم ايها المناقضون تعليم الكنيسة الجامعة وآبائها الكرام. وعليه نقول لكلّ من بني الايمان القويم: اياك ان تصدق احد البروتستانيين لان تعليمهم بشري محضًا لا الهي واختراع لوثاروس وكلوين وخلافهما وكانوا جميعهم اناسًا فاسدين ومفسدين كما بيّنَّا انفًا ولم يتكلم الروح القدس على السنتهم بل روح الكبرياء والزنى والعناد والطمع

نعم مثل هؤلاء الناس لا تصدقوهم ابدًا ولا تنقادوا الى ارائهم الوخيمة السمجة بل اهربوا منهم كهربكم من الوبأ او من الافاعي

ومن العجب العجاب ان العصمة التي ينكرها اولئك على رئيس الكنيسة الجامعة وعلى الكنيسة نفسها تراهم ينسبونها الى ذواتهم بقولهم: ان البابا واساقفته وعلماءهُ اللاهوتيين لضالون جميعًا وغير مستحقين التصديق. اما نحن مع كتابنا فصادقون ولا خلاص الَّا لمن يتبعنا ويطالع كتابنا ويفسر كما يشاء خاطرهُ

والحال ان بعضهم يكاد لا يعرف القراءة الَّا تهجئة حرفًا فحرفًا. وغيرهم نراهم آتين على اول وهلة بنص من النصوص الالهية يفسرونه تفسيرًا معكوسًا تعلموه من اساتذتهم الخبثاء. ويتجرون فيهِ تجارةً تغل لهم مقدارًا من الدولارات او من الليرات الانكليزية التي انما هي جل غاية تبشيرهم

ومما يستحق الاعتبار انهُ لا يحق قطعًا للمنذر البروتستاني ان يتعرض لتأويل

الكتاب المقدس لان من مبادئ مذهبه انه لا يسوغ تصديق احد. ثم ان الكتاب واضح غير محتاج الى تفسير. واخيراً ان الروح القدس يكشف لكل مطالع معاني النص الالهي. وعليه فباي حق يتعرضون اولائك للكرازة ولاثبات ارائهم السيئة من نصوص الكتاب ويغتاظون ممن لا يقبل تفاسيرهم ولا يرى رأيهم في قضية من القضايا الدينية. وبالحقيقة انه لا يحق لهم ان يترجموا الكتاب ولا ان يقرأوه على مسامع الناس لانهم بموجب زعمهم اناس كاذبون قادرون على التلاعب في نصوص الكتاب. تارة بسوء الترجمة او التأويل. وتارة بتحريف الالفاظ او تبديلها. طوراً بحذف شيء من الكتاب وطوراً باضافة شيء

هذا فلو شاء احد ان يتفحص عن المعتقد البروتستاني ويستخلص كل ما يصدر عنه من النتائج القبيحة المحالية المفوتة لقضي العجب مما يهبط اليه العقل البشري من الاضاليل الغريبة الواقعة عنده موقع الحقائق الباهرة مع انها آئلة الى افساد الضمائر وبلبلة الاذهان وحمل البشر على كل انواع القبائح والفواحش وهلاك انفسهم وفقاً لقول من قال: الويل لكم: فانكم تطوفون البر والبحر لتجلبوا دخيلاً واحداً فاذا حصل صيرتموه ابن جهنم ضعف ما انتم عليه (متى ٢٣ : ١٥)

عليكم اذاً يا بني الايمان ان تعرضوا عن مثل هؤلاء البشريين كما اوصى به رسول الامم تلميذه الحبيب تيموتاوس بقوله انه عن الخوانين المقتحمين المتنفخين المقلبين حب اللذات على حب الله ان لهم ظاهر التقوى لكنهم ينكرون قوتها. فاعرض عنهم (٢ تيمو ٣ : ٤) ٭

الفصل العاشر

• في الاعتراف •

من جملة التهم التي يلقيها البروتستانت زوراً على البابااوات اتهامهم اياهم باختراع الاعتراف الذي قد دعاه لوتاروس مسلخ الضمائر. يا لها من تهمة افكية وخيمة خالية من كل صواب وتبيين

فما ترى احوج البابااوات الى اختراع شيء وجد في الكنيسة منذ عهد الرسل الاطهار واتى ذكره في كتاب العهد الجديد. ألم يقف المتهمون على ما كتبه مرقس الانجيلي في بشارته حيث قال: وكان يخرج اليه (اي الى يوحنا المعمدان) جميع اهل بلد اليهودية واورشليم فيعتمدون منه في نهر الاردن معترفين بخطاياهم (١ : ٥) فاذا وجد الاعتراف على عهد يوحنا المعمدان فباي حق يعزى اختراعه الى البابااوات ما لم يزعم ان مخترعه كان القديس بطرس الذي كان معاصراً

للقديس يوحنا. غير ان يوحنا صار يعمد في نهر الاردن ويقبل اعتراف التائبين الطالبين منه عماد التوبة قبل ان المسيح اختار بطرس رسولاً وقبل ان اقامهُ رئيساً على بقية رسله. وعليه فلم يخترع القديس بطرس الاعتراف بالخطايا اذ سبقهُ في ذلك القديس يوحنا. بل والحق يقال ان مخترع الاعتراف كان الباري تعالى نفسه اذ قد ورد ذكر الاعتراف في سفر العدد (٥ : ١٢) وفي سفر الامثال (٢٨ : ٦) وفي سفر يشوع بن سيراخ (٤ : ٣١) وفي السفر نفسهِ (١٧ : ٢٦). فليطالع القارئ كل تلك الآيات فيتحقق لديهِ وجود الاعتراف في الناموس الموسوي. فاذا وُجد الاعتراف على زمان النبي موسى كيف امكن البابوات اختراعه. وان قال قائلٌ ان المسيح لم يرسم الاعتراف الجاري بين الكاثوليكيين بل ادخلهُ البابوات بين رعاياهم واوجبوهُ عليهم قهراً وقسراً قد اجبناه قائلين: ألم تقرأ قط يا صاح ما ورد في بشارة يوحنا الحبيب (٢٠ : ٢٢) وهاك نصهُ: لما قال (المسيح) هذا نفخ فيهم وقال لهم: خذوا الروح القدس. من غفرتم خطاياهم تغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تمسك لهم. وقد بينا في ما سبق من الايضاح ان سلطان الحل والربط لا يمكن اجراؤهُ بعدلٍ وحكمة ما لم يطلع صاحب هذا السلطان على الخطايا التي ارتكبها كل من يروم الانحلال منها لكيما يعرف من يستحق الحل ومن يستوجب الربط ويجري على كل واحدٍ ما يقتضيه العدل والانصاف والصواب. زِد على ذلك قول القديس يوحنا هذا: ان اعترفنا بخطايانا فهو (الله) امين عادل فيغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثمٍ. (رسالة اولى ١ : ٩)

هذا فضلاً عن ان المتهمين عاجزون عن الدليل الى البابا الذي اخترع الاعتراف والى الوسائط التي عمل بها اجباراً للناس على قبول مثل هذا النظام الجديد المتعسر كل العسر. لعمري لو لم يوجب علينا المسيح نفسهُ الاعتراف لكان استحال ادراجه بين الناس وهذا امرٌ واضح لا يقتضي اثباتاً البتة ✿

الفصل الحادي عشر

• في الصوم والقطاعة •

قال الابروتستانت: قال السيد المسيح. ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان بل ما يخرج من الفم هو ينجس الانسان متى ف ١٥ ع ١١. فينتج منهُ الابروتستانت ان اكل اللحم ايام الصيام الكبير او القطاعة لا ينجس الانسان وعليه فلا يكون حراماً. ولكن قد ساء ما نتجوا على ان اكل اللحم لا يُعدّ حراماً ألا

لان الشريعة حرمته . فان الله سبحانه قد نهى آدم وحواء عن ان يأكلا من ثمر شجرة معرفة الخير والشر . فأمسى الاكل منها حراماً مع ان الشجرة واثمارها من جملة الاشياء التي رآها الله سبحانه حسنة جداً . وكذا يقال عن نهي الكنيسة المقدسة عن اكل اللحم وغيره في بعض ايام السنة . والكنيسة لم تأت بهذه الوصية الا عملاً بما استعمله القديسون . فان موسى وايليا قد صام كل منهما اربعين يوماً . وحنة النبية قد عاشت متعبدة بالاصوام والصلوات نهاراً وليلاً (لوقا ف ٢ ع ٣٧) . وتلاميذ يوحنا كانوا يصومون كثيراً ويواظبون على الصلاة (لوقا ف ٥ ع ٣٣) . وقال السيد المسيح عن تلاميذه انهم يصومون كثيراً في حين يرتفع العريس عنهم (لوقا ف ٥ ع ٣٥) وهو نفسه له المجد قد صام اربعين يوماً واربعين ليلة . فرسم الرسل على المسيحيين ان يصوموا اربعين يوماً اقتداء بما صنعه له المجد . فمن لا يسمع من الكنيسة فهو وثني وعشار . لان السيد المسيح قد فوضها السلطان لان تحل وتربط على الارض بما تراه ملائماً لخلاص الانفس وللحصول على السعادة . لا يخفى ان جميع الكنائس التي انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية لا تزال محافظة على الصيامات والقطاعات . اما الابروتستانت فنبذوا ذلك . ولكن أنبذوه بغير حجة . كلاً . فان الحجة التي حملتهم على نبذ الاعتراف ورفض الاعمال الصالحة هي نفسها حملتهم على نبذ الصوم والقطاعة معاً . وذلك لان الخطيئة لا تهلك الانسان اذ كان الايمان وحده في زعمهم يبرره وعليه فلا حاجة الى ما سواه . وهؤلاء لا يلتفتون الى ما قاله الرسول في رسالته الى اهل فيلبي وهو يتكلم عن اعداء صليب يسوع اولئك الذين عاقبتهم الهلاك والههم البطن ومجدهم في خزيهم وهمهم في الارضيات (٣ : ١٩) ☆

الفصل الثاني عشر

• في بتولية مريم العذراء •

قال الابروتستانت ان مريم ليست بتولاً لانها بعد ان ولدت يسوع ولدت ايضاً اولاداً اخرين . ويحاولون اثبات ذلك بقولهم : انه جاء في بشارة القديس متى ف ١ ع ٢٥ : ان يوسف لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر . فيوخذ عن هذا انه عرفها بعد ولادتها اياه بدليل اشارة الكتاب الى ان المسيح كان ولدها البكر فلا يكون بكراً ما لم يكن له اخوة اخرون . وعلاوة على ذلك فان الكتاب يسمي اخوة يسوع ويذكرهم كما جاء في متى ف ١٣ ع ٥٥ : أليس هو هذا ابن

النجّار. أليست امه تسمّى مريم واخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا . او ليست اخواته كلهنّ عندنا. وعليه أنمكن ان يأتي الكتاب بأفصح من هذا دلالةً على ان مريم ام يسوع ليست بتولاً

الجواب : اعلم ان قوله حتى ولدت ابنها البكر لا يؤخذ عنه ان يوسف عرفها بعد ميلادها المخلص لهُ السجود . وانما المراد بحتى هنا القطع بعدم وقوع ما تعلقت بهِ في الماضي من غير اثبات وقوعه في المستقبل. وعليهِ نمعنى حتى معنى الى ويشير فقط الى ما جرى قبلاً لا الى ما جرى فيها بعد. وعلى هذا المعنى قد ورد في كثير من نصوص الكتاب : قال داود الملك في المزمور ١٠٩ ع ١ : قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئًا لقدميك . فما من احد ينكر جلوس المسيح عن يمين ابيه الى الابد غير متعلّقٍ بوضع اعدائه موطئًا لقدميه. وجاء في سفر التكوين ف ٨ ع ٦ وما يليه: واطلق الغراب فخرج وجعل يتردد حتى جفت المياه عن الارض: ولا ينتج من ذلك ان الغراب رجع بعد ان جفت المياه اذ لم يرجع قط الى السفينة فيها بعد: وجاء في سفر الملوك الثاني ف ٦ ع ٢٣ : ولم تلد ميكال ابنة شاول ولداً الى يوم ماتت . أفهل ولدت ميكال اولاداً بعد مماتها. وعليه قس الآية التي وردت عن ميلاد المخلص لهُ المجد

اعلم انهُ كان من عادة اليهود ان يسمّوا أول ولد بكراً سواء عقبهُ اخوة او لم يعقبهُ لفرض الشريعة ان جميع الابكار يقدَّمون للرب كما صرّح بهِ موسى النبي في سفر الخروج ف ١٣ ع ١ . وكلّم الرب موسى قائلاً : قدّس لي كلَّ بكرٍ كل فاتحٍ رحمٍ من بني اسرائيل من الناس والبهائم انهُ لي . سمّى بولس الرسول يسوع المسيح ابن الله البكر وهو وحيد لابيه كما جاء في رسالته الى العبرانيين ف ١ ع ٦ : وحين يُدخل البكر الى المسكونة ثانيةً يقول : ولتسجد لهُ جميع ملائكة الله . وعليه قس تسمية ابن مريم الوحيد بكراً فهو وحيد لها وليس لهُ اخوة بالحقيقة . ولا يضادُّ هذا ما ورد في بشارة القديس متى من ان اليهود نسبوا الى يسوع اخوةً لانه كان من عادة اليهود ان يسمّوا الاقارب ولاسيما اولاد العم والخال اخوةً واخواتٍ كما هو وارد في كثير من نصوص الكتاب . قد دعا ابرهيم لوط اخاه لقوله : لا تكن خصومة بيني وبينك ولا بين رعاتي ورعاتك انما نحن رجلان اخوان . والحال كان لوط ابن اخي ابرهيم . وقد دعا ابرهيم ايضاً امراته سارة اخته لقوله : قولي انك اختي (تكوين ف ١٢ ع ١٣) . والحال انها لم تكن اخته حقيقةً . والاّ لم ياخذها زوجة بل انما كانت ابنة عمهِ فقط . ودعا لابان

يعقوب اخاه لقوله : اذا كنت اخي أفتخدمني مجاناً وهو لم يكن اخاً لهُ بل كان جدّ لابان اخا ابرهيم . وعليهِ قد سلك قول الرسول في الآية التي يتعمدها الابروتستانت . وبياناً لما نحن فيه نوضح ما ورد في البشارة المذكورة

قال القديس يوحنا ف ١٩ ع ٢٥ : وكانت واقفةً عند صليب يسوع أمّهُ واخت أمّهِ مريم التي لكلوبا ومريم المجدلية . فلم يفصح بها لكلّ من البنين كما اوضحهُ مرقس الرسول لقوله ف ١٥ ع ٤٠ : وكان ايضاً نساء ينظرنَ عن بعدٍ بينهنّ مريم المجدلية ومريم ام يعقوب الصغير وامّ يوسّى وسالومة . فهولاء الذين سماهم اليهود اخوة يسوع هم بنو اخت مريم العذراء التي لكلوبا وهم يعقوب الصغير ويوسّى وسمعان ويهوذا وقد سماهم اليهود اخوة يسوع جريا على عادتهم كما اشرنا اليه آنفاً . واعلم اولاً ان اقارب المسيح الذين يسميهم الكتاب اخوة يسوع لم يقل ابداً انهم بنون لمريم كما جاء في الاعمال ف ١ ع ١٤ : هولاء كلهم كانوا مواظبين على الصلوة بنفس واحدة مع النساء ومريم امّ يسوع ومع اخوته . ثانياً : ان الرسول متّى لم يقل ان يعقوب الخ هم اخوة الرب يسوع انما اورد فقط ما كان يقوله اليهود عنه جريا على عادتهم . ثالثاً : ان الكتاب ليس واضحاً كما يزعمه الابروتستانت . والدليل الى ذلك سوء تفسير اسم اخوة الملقى على ابناء خالة المسيح كانهم ابناء والدته مريم

يقول الابروتستانت ايضاً : اذا ما رفعت الجوهرة من علبتها صارت العلبة لا اعتبار لها . امّا يسوع فهو الجوهرة ومريم هي العلبة التي وضعت فيها مدةً وعليه فلا عبرة لمريم بعد ولادتها لانها امست كسائر النساء

والجواب : هل ترى الجوهرة تستفيد من العلبة شيئًا او تأخذ عنها شيئًا . لا لعمر الله . امّا يسوع فقد اخذ عن البتول مريم جسداً بشريًا ذات جمالٍ عجيب وصفهُ سلفًا النبي داود بقولهِ : انك ابهى جمالاً من بني آدم وقد انسكبت النعمة على شفتيك (مز ٤٤ : ٣) . فاين تكون المقابلة . ولا يخجل مع ذلك الابروتستانت من الاتيان بها

يقولون ايضاً ان مريم قد فقدت كل شرف باضاعتها يسوع عند الرجوع من اورشليم وعدم وجودها اياه الا بعد ثلاثة ايام

والجواب : انهُ لما كانت العادة ان يسافر الرجال وحدهم والنساء وحدهنّ وكان يسوع يوجد مرةً مع يوسف واخرى مع مريم . فكان كلّ من يوسف ومريم يظن انهُ لهُ المجد مع الآخر . ومع ذلك فان يسوع هو الذي فرّ عن ابويه ليجادل العلماء ويمهّد لهم السبيل الى فهم ما تفوّه بهِ الانبياء عن مسيًا

يقولون ايضًا ان المسيح نفسه قد احتقر مريم اذ لم يسمّها امّه بل امرأةً لقوله : ما لي ولكِ يا امرأة (يوحنا ف ٢ ع ٤)

هذه الآية من اخص ما يتدرع بهِ الابروتستانت على شرف مريم البتول الطاهرة انما يكفينا لسد افواههم وتقويض كل اعتراض يأتون بهِ من هذا القبيل ان نميّز ما كان في السيد المسيح من تنوّع الاعمال . فانهُ اذ كان الهًا وانسانًا معًا كان يفعل تارةً افعالاً الهية وتارةً افعالاً بشرية وطورًا افعالاً مشتركة اي جامعة ما بين الالهي والبشري . ففي اعمالهِ الالهية كان مستقلاً ومتنزهًا عن الخضوع لامهِ ولمار يوسف وطائعًا لابيهِ الازلي فقط . وهذا انما ما اشار اليه هو نفسهِ بجوابهِ هذا لوالدته القديسة : لماذا تطلبانني . ألم تعلما انهُ ينبغي لي ان اكون فيما هو لابي (لوقا ٢ : ٤٩) فكأنهُ قال : ينبغي لي قبل كل شيء وفوق كل شيء ان اطيع ابي الازلي واتمم ما امرني بهِ وتجسدت لاجلهِ ومتى ما انشغلت فيما هو لابي فاني حرٌ وليس لاحدٍ ان يسألني لماذا عملتَ كذا او كذا . بهذا قد اوضح لنا السيد لهُ المجد انهُ ولو صار انسانًا ليست اعمالهُ كلها بشرية بل بعضها الهية استقلّ فيها من امهِ ومن مربيه القديس يوسف وليس لهما تداخل فيها البتة . فلما كان الامر على هذا المنوال فلا عجب فيما اجاب بهِ المسيح والدته في عرس قانا . لانها طلبت منهُ اعجوبة بقولها لهُ : ليس عندهم خمرٌ . واشارت بذلك الى رغبتها في انهُ يشفق على اهل البيت المخجولين ويخلق لهم خمرًا . والحال ان المسيح لم يكن قد صنع بعد ولا اعجوبةً وان امهُ بالتماسها منهُ اعجوبة كانت تخاطبهُ بحسبما هو الهٌ لا بحسبما هو انسان وتسألهُ عملاً الهيًا لا تلزمهُ الطاعة لامهِ ان يبرزهُ . وعليهِ قد قال لها بصوتٍ منخفض : ما لي ولكِ يا امرأة في الاعمال الالهية . اني فيها خاضعٌ لابي الازلي فقط . وليس لي ان اعرفكِ امي في الاعمال المختصة بلاهوتي . فكان منه هذا نصيحة مفيدة لوالدتهِ لا توبيخ لها ولا احتقار . والبرهان الواضح على ذلك ان ابنها الالهي قد اجاب طلبتها في الحال فحوّل الماء الذي امر بوضعهِ في الاجاجين خمرًا جيدًا تعجب الجميع من جودته . وانهُ اجترح هذه الاعجوبة الاولى بعد ان سبق وقال لامهِ : لم تاتِ ساعتي بعدُ (لوقا ٢ : ٤) اي لم يات وقتي لأتظاهر بالعجائب . هل ترى كان يمكن المسيح ان يبدي نحو والدته اكرامًا وانعطافًا اعظم واجلى مما ابداهُ بسبقهِ ساعة اجتراح العجائب وارضائهِ اياها بتحويل الماء خمرًا . وعليه نقول بكل صواب ان مثل هذا الاعتراض حجرٌ يرشقنا به البروتستانت لكنه راجع اليهم وساقط على رؤوسهم باظهارهِ فائق حب واحترام يسوع لوالدته القديسة

اعلم ان الله سبحانه قد وعد بعد سقوط ادم وحواء بامرأة تسحق بتوسط ابنها رأس الحيّة وقد اعلن سبحانه ان هذه الامرأة انما تكون عذراء كما جاء في نبوة اشعيا ف ٧ ع ١٥ : ها ان العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل وهذه العذراء انما هي مريم المباركة بين النساء التي اختارها عزّ وجلّ من بين النساء جميعاً وشرّفها بان تكون امّاً لابنه الوحيد. فارسل اليها زعيم ملائكته فامتثل امامها جبرائيل خاشعاً وقد افتتح خطابه بما لم تسمعه خليقة البتة بقوله لها: السلام عليكِ يا ممتلئة نعمةً الرب معكِ مباركة انتِ في النساء. ولمّا اضطربت مريم من هذا الكلام. وفكّرت ما عسى ان يكون هذا السلام سكّن الملاك روعتها فقال: لا تخافي يا مريم فانكِ قد نلتِ نعمةً عند الله (لوقا ف ١ ع ٢٧ وما يليه)

فسكنت عند ذلك روعتها. الا انها انذهلت ثانيةً عندما سمعت الملاك يقول لها. وها انتِ تحبلين وتلدين ابناً وتسمّينه يسوع. فقالت حينئذٍ مريم: وكيف يكون هذا وانا لا اعرف رجلاً على انها قد كانت نذرت البتولية هي وعريسها القديس يوسف وعليه فقد رأت امراً غريباً بان تخرق هذا النذر وتنتهك حرمته. والّا كيف تقول انا لا اعرف رجلاً وقد كانت خُطبت الى القديس يوسف. فازال الملاك ريبها وخوفها بقولهِ لها انها تبقى كما هي بتولاً لا تعرف رجلاً ابداً فقال:

ان الروح القدس يحلّ عليكِ وقوّة العليّ تظللكِ ولذلك فالقدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله. فلمّا سمعت مريم هذا الكلام اطمأنّت الى حفظ بتوليتها فاذعنت الى ما بشّرها بهِ الملاك وقالت: ها انا أمةٌ للرب فليكن لي بحسب قولك. فلو لم ترضَ مريم لما تمّ سرّ الفداء: قال الاباء القديسون لو رضيت مريم بفقد بكارتها لمّا استحقّت ان تكون امّاً لابن الله المتجسّد

هذا وكيف لا نقضي العجب ممّا يتدرع بهِ الابروتستانت على مجد مريم. فكيف ياتيها ملاك الرب سلس القياد ليّن العريكة خاضعاً خاشعاً يناجيها باعذب كلام والابروتستانت ينكرون ما لها من المناقب ومن الحق في الاكرام. الملاك ينتظر جوابها وهو مُغضي النظر والابروتسانت يجحدون فضلها. أيكون سر الفداء متعلقاً برضاها ولا تكون افخر النساء واعظمهنّ قدراً وشرفاً. أتخضع لها الملائكة ولا تكون اعظم مقاماً من الملائكة انفسهم. فان لنا في مريم اقوالاً كثيرة لا تنكرها علينا القلوب السليمة المسيحيّة وكل من ذاق قد عرف ☆

الفصل الثالث عشر

• في شفاعة القديسين •

يقول الابروتستانت ان من يكرم مريم العذراء ويلتمس شفاعة القديسين فانهُ يخطئ ضد ما امر بهِ المسيح يسوع ان الوسيط بين الله والناس واحد وهو المسيح وقد قال: تعالوا اليَّ ايها المتعبون والثقيلو الاحمال وانا اريحكم. فلا حاجة الى الاستغاثة بالقديسين وطلب شفاعتهم

والجواب: اننا نكرّم مريم لانها امّ مخلّصنا ونتضرع اليها لكي تشفع فينا لدى ابنها الذي يُجلّ ويُعزّ خاطرها ولا يخيّب طلبها كما بيّناه في الفصل السابق. فلا يتخيَّل الابروتستانت اننا نعبدها نظير ما نعبد الله. حاشى وكلّا. بل اننا نكرمها بزيادة عن الملائكة والقديسين كون مقامها ارفع وفضلها ابلغ

نعم ان المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والناس لانهُ المخلص الوحيد لهم. غير ان مريم والقديسين هم شفعاؤنا لدى المسيح نفسهِ وقولهُ: تعالوا اليَّ ايها المتعبون وانا اريحكم لا يحرم علينا الالتجاء الى مريم والقديسين والالتجاء اليهِ بوساطتهم. والبرهان على ذلك اولاً قول القديس بولس هذا فاسالكم ايها الاخوة ان تجاهدوا معي في الصلوات الى الله من أجلي. ألم يكن يعرف هذا الرسول ان المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والناس. ثم أتكون صلوات الابرار الاحياء مفيدة في امر الخلاص ولا تفيد شفاعة مريم والقديسين وصلواتهم بعد فوزهم بالسعادة الابدية. فتاملوا. ثانيًا قد نال موسى النبي بصلواتهِ توقيف غضب الله اذ غضب على الشعب واراد ان يُبيده كما جاء في سفر الخروج ف ٣٢ ع ١٠ وما يليه: فلما تضرع موسى الى الرب عدل الرب عن المساءة التي قال انهُ يحلّها بشعبه. ثالثًا ما جاء في سفر الملوك الأول من حيث وعد صاموئيل الشعب انه لا يترك الصلاة من اجلهم لقوله (ف ١٢ ع ٢٣): واما انا فحاشا لي ان اخطئ الى الرب واترك الصلاة من اجلكم. وعليه أفلا يكون اعتقاد الشعب القديم نظير اعتقادنا في خصوص شفاعة القديسين. رابعًا الاوضح من ذلك ما جاء في سفر ايوب في الفصل ف ٤٢ ع ٨ فان الله سبحانه ارسل الى ايوب اصحابهُ ليصلّي من اجلهم وهذا نصّ الكتاب: والآن خذوا لكم سبعة ثيران وسبعة كباش وانطلقوا الى عبدي ايوب واصعدوا محرقةً عنكم وعبدي ايوب يصلّي من اجلكم فاني ارفع وجهه لئلّا اعاملكم بحسب حماقتكم لانكم لم تتكلموا امامي بحسب الحق كعبدي ايوب

ويقولون ايضاً ولكن كيف يعرف القديسون باننا نتضرع اليهم ونحن على الارض والجواب . لو امكننا ان نعرف كيف يعرف القديسون اننا نتضرع اليهم لصرنا قديسين مثلهم. ولكن أيمكن ان نعرف نحن ما يحدث في امركا وهي في اقصى المعمورة ولا يمكن القديسون ان يعرفوا ما يحدث عندنا وما نحتاج اليه. أفلا يمكنهم ان يعرفوا ما نحتاج اليه وهم يشاهدون الله وجهاً بازاء وجه وكل شيءٌ متصور في عقله تعالى كفي مرآة كلية النقاوة وفي مثل هذه المرآة يُريهم سبحانه ما يستحسن كشفهُ لهم. وعلى هذا النمط يعرف القديسون كل ما يرغبون الاطلاع عليه من الحوادث الارضية . ألا ينبئُ الكتاب المقدس ان القديسين يعرفون اننا نتضرع اليهم والشهادات في هذا الشان اكثر من ان تعدّ: فمنها ما جاء في بشارة متى ف ١٨ ع ١٠ : احذروا ان تحتقروا احدَ هولاء الصغار فاني اقول لكم ان ملائكتهم في السماوات كل حين يعاينون وجه أبي الذي في السماوات. ألم يقل هذا السيد المسيح دلالةً على ان الملائكة الحراس يعرفون ما يحدث للصغار الذين يحرسونهم . والّا ماذا يكون معنى هذه المعاينة

ومنها ما جاء في انجيل القديس لوقا ف ١٥ ع ١٠ : اقول لكم انه هكذا يكون فرح عند ملائكة الله بخاطئٍ واحد يتوب. أفلا يدلُّ هذا النص على ان الملائكة يعرفون ما يحدث حتى في اعماق قلوب البشر لان التوبة انما مستقرها القلب: ومنها ما جاء في سفر التكوين ف ٤٨ ع ١٦ : الملاك الذي خلّصني من كل سوء ليبارك الغلامَين. امّا هذا الملاك فكيف خلّص يعقوب مما الم به من الآفات اذ لم يعرف تلك الآفات والتجاء يعقوب اليه في ضيقته. واذا شعر الملاك بما يطرأ على البشر في هذه الدنيا الدنية فلماذا لا يشعر به ايضاً القديسون المتمتعون بالشاهدة الالهية. ألم يقل لهُ المجد ان البشر يكونون كملائكة الله في السماوات (متى ٢٢ : ٣٠) الم يسبق النبي داود فقال ما هو ابلغ اي اني قلت انكم الهةٌ وبنو العليّ كلكم وألم يثبت يوحنا الرسول قول داود بقوله: غير اننا نعلم انه اذا ظهر (المسيح) نكون نحنُ امثالهُ لاننا سنعاينهُ كما هو (رسالة اولى ٣ : ٢) وعليه نسال: اذا ما صرنا امثال المسيح في السماء ألا نشترك في معرفته ما يحدث على الارض ولاسيما ما تهمنا معرفتهُ ويتعلق في معرفتنا اياهُ جانب من سعادتنا ☆

الفصل الرابع عشر

• في الصُوَر •

قال الابروتستانت. ان الله سبحانه قد حرّم عبادة الصُوَر مراراً كثيرة في الكتاب المقدس . اما الكاثوليكيون فيعبدونها : فاذاً هم كثيرة مخالفون اوامر الله سبحانه

والجواب : اعلم ان قبل المجئ الالهي قد عبد اليهود وحدهم الله الحق اما سائر الشعوب فقد نحتوا صُوَراً من حجارة وغيرها ونصبوها اصناماً ليعبدوها كأنها الهة حقيقةً . فنهى الله الشعب الذي اصطفاه قديماً وهو الشعب الاسرائيلي عن عبادة مثل تلك الاصنام وصنع امثالها . الاّ انهُ لم ينهِ ابداً لا في العهد القديم ولا في الجديد من عمل صُوَر تمثّل القديسين او الملائكة وعن تكريمها لا من حيث هي صُوَر مادّية بل من حيث انها ممثّلة اشخاصاً ابراراً . بل قد أمر بعمل مثل هذه الصُوَر كما جاء مصداقاً لذلك ما ورد في سفر الخروج ف ٢٥ ع ١٨ : حيث الله تعالى قال لموسى النبي واصنع كاروبين من ذهب صنعة طَرْقٍ تصنعهما على طرفي الغشا اي غطاء تابوت العهد وكانا هذان الكاروبان مظللين تابوت العهد باجنحتهما . فترى لماذا امر الرب بسكب ذينك الكاروبين من ذهبٍ ووضعهما على تابوت العهد بعد ان قال لموسى لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق ولا مما في الارض من اسفل ولا مما في المياه من تحت الارض (خروج ٢٠ ع ٤) . أليس صورة الكاروبين مما في السماء . بلى غير انه تعالى قد استتلى كلامهُ قائلاً في العدد التالي : لا تسجد لهنّ وتعبدهنّ لاني انا الرب الهك الهٌ غيور (ف ٢٠ : ٥) . وبايضاحهِ هذا قد انبأ انهُ نهانا عن صنع المنحوتات والصُوَر لنسجد لها ونعبدها . وبالحقيقة لم يكن اليهود يسجدون للكاروبين ويعبدونهما بالعبادة الواجبة لله تعالى وحده . وقد جاء في سفر يشوع بن نون ف ٧ ع ٦ . فمزق يشوع ثيابهُ وسقط على وجههُ على الارض قدام تابوت الرب الى المساء هو وشيوخ اسرائيل . ألا ترون ايها الابروتستانت في هذه الآية تكريم الصُوَر اي تكريم التابوت الذي لم يكن الاله بل عربون تعهدهِ مع شعبهِ فقط . ثم ألم تعرفوا ما جاء في سفر الايام الثاني ف ٣ ما صنعهُ سليمان الحكيم عند تزيينهِ الهيكل من الصُوَر المشخّصة للملائكة . فيقول الابروتستانت ان موسى وسليمان قد خالفا امرهُ تعالى وكفرا بسجودهما للاصنام . لعمري انهم يقطعون شعائر الانعطاف والوداد . أفلا يسرّ الانسان اذا كان لديهِ صورة والدته او ابيه او اخيه او احد اصحابه . وهل ترى يسرّ بالورق واللون

اللذين لديهِ ام بما يمثّلانهِ . فلا عبرة للون الصورة ولا للمادة المصنوعة عليها انما العبرة لمن تمثّله الصورة . فافهموا ايها الابروتستانت . فهذه منزلة الصُوَر عندنا فان صُوَر السيد المسيح ومريم البتول والقديسين التي نجعلها في كنائسنا وفي منازلنا فهي مما يهيّج فينا شعائر المحبة وترفع عقولنا الى من تمثّله . فهي بمنزلة مفكّرة بال بمنزلة تاريخ مصدّر غير مكتوب بمداد نظير الكتب التاريخية لا بل احبّ واشدّ موقعاً في الناظرين اليها على ان النظر اعمّ واسهل من الفهم والادراك

ولا يخفى ان كثيراً من الابروتستانت عرفوا ذلك وبدأوا يضعون الصُوَر في معابدهم وعلى الخصوص الانكليز الملقبون بالرطبيين . فحبذا لو كان الجميع يصغون لكلام الكاثوليك ويتعلمون منهم ماهية وكيفية تكريمهم صُوَر المسيح وقديسيه ولا ينسبون اليهم ما يكرهونهُ ويمقتونهُ اكثر منهم لانهم عالمون على احسن صيغة الاكرام الواجب لهُ تعالى دون غيرهِ

ويقولون ايضاً : ان السيد المسيح قد ركب مرةً على حمارٍ واُخرى علّق على الصليب فلماذا تسجدون للصليب ولا تسجدون للحمار

الجواب : افٍ من مثل هذه المماثلة النفاقية . اعلموا ايها المستهزئون ان السيد المسيح افتدانا بموتهِ على الصليب الذي قدسهُ بدمهِ الكريم فنشرهُ الرسل رايةً للتبشير . فالشجرة التي صُنع منها الصليب قد احيتنا كما ان الشجرة المغروسة في وسط فردوس عدن قد اهلكتنا منذ اكل من ثمرها الابوان آدم وحواء فلذلك نحترم ونعبد ذاك الصليب المقدس الذي اختارهُ ابن الله المتجسد آلةً لفدائنا ونحافظ عليه كعلى كنزٍ نفيس . ولا يخفى علينا ان السلطان قسطنطين قد امن بالمسيح وجحد عبادة الاوثان عندما ظهر لهُ بقرب رومية العظمى صليبٌ كبيرٌ في الجوّ وقرأ عليه هذه الكتابة النبوية وهي : بهذه العلامة تنتصر . فهذه هي الحجج التي تحملنا على تكريم الصليب . امّا الحمار فاننا بكل طيبة خاطرٍ نتركهُ لمن يتجاسر سخريةً على ان يقابلهُ مع الصليب الذي قد مات عليه مخلصنا يسوع المسيح السجود لهُ

امّا تركنا للبروتستانت الجحش الذي ركبهُ المسيح فمستندٌ على قول النبي داود : كان الانسان في كرامةٍ فلم يفهم فماثل البهائم وتشبّه بها (مز ٤٨ : ١٤) . وهذا جوابٌ جديرٌ بمثل ذاك الاعتراض السخري ☆

الفصل الخامس عشر

• في سرّ الافخاريستيا •

اعلم ان كثيراً من المسائل لم يأتِ الرسل بذكرها الّا على سبيل العرض وبعكس الامر قد اسهبوا وافصحوا عن رئاسة القديس بطرس لانها عمدة تتوقف عليها وحدة الكنيسة وثباتها . ثم عن سرّ الافخاريستيا لانه قطب الدين المسيحي وعليه فلا بد لنا من ان نثبت حقيقة هذا السرّ العظيم اتله على وجه الايجاز

فنقول انهُ قد اثبت القديس يوحنا الرسول في فـ ٦ من بشارته ما افاض يسوع من نعمهِ الالهية في سرّ الافخاريستيا باحالته جسده مأكلاً ودمه مشرباً ذلك بما يصدع رداء كل شكٍ وريب . فان السيد لهُ المجد بعد ان اطعم جمهوراً واشبعهم من خمسة ارغفة وسمكتين بدأ يتكلم عن سرّ الافخاريستيا بانه هو نفسه خبز الحياة الذي نزل من السماء على ان كل من يقبل اليه لا يجوع ابداً . فتذمّر اليهود عليه لانه قال انا هو الخبز الذي نزل من السماء . لانهم فهموا جيداً انه يتكلم عن شخصهِ لا عن الايمان بهِ فقط وعليه لم يوبخهم يسوع على سوء فهمهم كلامهُ . بل استمرّ يكرر عليهم ما قالهُ اي انهُ هو بالحقيقة الخبز الذي نزل من السماء وبان من يأكله يعيش الى الأبد . فخاصم اليهود حينئذٍ بعضهم بعضاً قائلين : كيف يقدر هذا ان يعطينا جسده لناكله . اي أفناكله حيًّا ام ميتًا ام مقطعاً . فما هذا الّا من ضروب المحال الذي لا يمكن تصوّره . ومع ذلك لم يوبخهم يسوع على قلة فهمهم بل زاد على قولهِ السابق . فقال ان دمه ايضاً هو مشربٌ حقًّا لقوله : الحقّ الحقّ اقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في انفسكم . وقد كرّر عليهم هذا القول على وجوهٍ مختلفة لئلّا يبقى في قلوبهم ادنى ريب في حقيقة استحالته فقال : من يأكل جسدي ويشرب دمي فلهُ الحياة الابدية وانا اقيمه في اليوم الاخير . ففهم اليهود كما نفهم نحنُ انه لا بدَّ من اكل جسده الحق وشرب دمه الحق لنقدر على تحصيل الحياة الابدية . غير ان بعض تلاميذه صعب عليهم تصديق ذلك فقالوا : هذا الكلام صعبٌ من يستطيع سماعهُ . فلمّا علم يسوع انهم يتذمّرون اوعز اليهم انه يثبت حقيقة ما يقوله بصعودهِ الى السماء لقوله لهم أهذا يشكّككم . فكيف اذا رأيتم ابن البشر صاعداً الى حيث كان اولاً . ولا يصادم قولهُ ما قاله بعد قليل : الروح هو الذي يحيي واما اللحم فلا يفيد شيئاً . لان معناه ان الانسان الشهواني لا يستطيع من ذاته ان يفهم كلامه لهُ المجد لكنه يفتقر

في ذلك الى نعمة الروح القدس . ولذلك يعقب كلامه قائلاً : ان قوماً منكم لا يؤمنون من اجل هذا قلت لكم انه لا يقدر احدٌ ان يُقبل اليَّ ما لم يُعطَ لهُ ذلك من ابي . واعلم ان السيد المسيح قد كان من عادته ان يفسّر اقوالهُ اذا فُهمتْ بخلاف ما كان قصدَهُ من المعنى . الاّ انه هنا بدلاً من ان يؤوّل كلامه ويقرّبهُ الى اذهانهم كرَّرهُ واكّدهُ حتى يُقنع به السامعين ويبلغ بهم الى ان يؤمنوا ان جسده مأكلٌ حقٌ لنفوسهم ودمه مشربٌ حقٌ لها . وقد اشار الى انهُ يطعمهم جسدهُ تحت شكل الخبز حيث قد قال لهم اولاً : انا الخبز الذي نزل من السماء . أفي هذا الكلام شبهة ريب ايها الابروتستانت . ألا تقولون : انما نحن نؤمن كما آمن التلاميذ وقتئذٍ . والحال التلاميذ صدّقوا ان المسيح اراد ان يأتيهم جسدهُ حقًّا ودمهُ حقًّا . لكنهم لم يدركوا كيف يناولهم اياهما . وعليه قد استغرب بعضهم الامر . امّا انتم ايها البروتستانت فمنكرون وجود جسد ودم المسيح في سر القربان ولا ترون فيه الاّ خبزاً وخمراً هما صورة او مجاز جسدهِ ودمهِ

فلنتامل الان ما صنعه السيد المسيح عند اكلهِ العشاء السري مع تلاميذه . قال القديس لوقا البشير ف ٢٢ ع ١٩ : واخذ خبزاً وشكر وكسر واعطاهم قائلاً : هذا هو جسدي الذي يبذل لاجلكم . اصنعوا هذا لذكري . وكذلك الكاس من بعد العشاء قائلاً هذه هي الكاس العهد الجديد بدمي الذي يُسفك من اجلكم . ففهم جماعة الرسل هذا الكلام على ظاهر معناه فصنعوا فيها بعد ما امرهم به . وما صنعوهُ لا يزال جاريًا في الكنيسة منذ نشأتها الى ايامنا . كما انه لا يزال الى منتهى الدهور . فقد خطف ضياء هذه الحقيقة بصر لوتاروس فلم يتمكن من انكارها الاّ انه علّم ان الخبز لا يستحيل جوهره الى جسد المخلص بل ان الاثنين يوجدان معًا . على ان الجسد الالهي يتحد بالخبز مع بقائه خبزاً وهو ضلال قد خالفهُ فيه كلوينوس لقوله ان السيد المسيح لم يقل : هذا الخبز هو جسدي ولا ان جسدي هو مع هذا الخبز انما قال هذا هو جسدي لانهُ يكون قد استحال الى جسده وعليه فلا مندوحة لك عن ان تكون كاثوليكيًا او تأتي بتفسير آخر وهو ان الخبز لا يستحيل جسداً مع بقاء شكله ولا يتحد المسيح به انما الخبز بعد التقديس يبقى كما كان غير انه يكون صورة الجسد فقط . وعليه قس استحالة الدم . فاجابه لوتاروس متهكمًا ان المسيح لم يقل : هذا الخبز هو صورة جسدي انما قال : هذا هو جسدي الذي يُبذل لاجلكم فان الصورة لم تبذل لاجلنا بل جسده الحي ودمهُ الالهي . فقاوم الاثنين زوينغليوس احد المبتدعين فقال ان لا جسد للمسيح ولا دمه موجودان في الخبز والكاس انما كلٌّ منهما يوجد في الايمان فقط

على اننا نقبلهما عند المناولة على هيئة روحية لا غير. وعليه فلما كان لكل من الابروتستانت ان يفسّر الكتاب على ما يلوح له كان كلٌ منهم يأتي بتفسير يطيب له . فمنهم من قال انه خبز طبيعي يُدعى روحيًا . ومنهم من علّم ان هذا الخبز انما هو ذكر جسد المسيح . ومنهم من ذهب الى ان السيد المسيح عندما قال هذا هو جسدي اشار بيده الى جسده الطبيعي لا الى الخبز. الى غير ذلك من التلفيقات التي بلغ عددها زهاء ١٦٠ تفسيرًا

يقولون كيف يمكن ان يؤكل المسيح حيًا وكيف يمكن ان يوجد بوقت واحد في محالّ كثيرة

والجواب : ان اليهود الذين انفصلوا عن السيد المسيح عندما وعد برسم هذا السر العجيب قد أتوا بالاعتراض نفسه . والمسيح مع ذلك لم يقيد قوله بل كرّره وايده كما سبقت الاشارة اليه واوجب الايمان به . ونحن نؤمن به وان لم نفهمه نظير بطرس وسائر الرسل الذين لم يأبوا الايمان بقول المسيح . ونحن نؤمن ايضًا ان ذاك الذي امكنه ان يحوّل الماء خمرًا يمكنه ايضًا ان يحول الخبز لحمًا والخمر دمًا . فان قانون التحول جارٍ في الطبيعة نفسها أليس ان حبة الحنطة مثلاً تتحول الى حبوب كثيرة ثم الى لحم ودم وعظم عندما نغتذي منها . فكيف يتمّ ذلك . لا نعلم . ومع ذلك لا نتجاسر على انكاره . وان كان الباري تعالى يصنع مثل هذه الاعجوبة في الطبيعيات فماذا يصنع في الفائقات الطبيعة اي في الالهيات

يا للعجب لا يحارب الابروتستانت الا الكنيسة الكاثوليكية فيقولون ان البابوات قد افسدوا الايمان وغيّروا ايمان الرسل وقد اخترعوا من تلقاء انفسهم كثيرًا من العقائد . كالاسرار والقداس والاعتراف وشفاعة مريم البتول والقديسين وعبادة الايقونات والصُوَر والصيامات وهلمّ جرًا . ولكن ألا تخجلون ايها الابروتستانت من ان تذيعوا مثل هذه الاقاويل الافكية في الاقطار الشرقية حيث قد ابتدأ التبشير في الانجيل . ألا يرون ان الكنائس الشرقية مع ما هي عليه من الاختلافات لا تزال محافظة على ما ينكرون . فقد انشق عن الكنيسة الكاثوليكية كلٌ من القبط والارمن واليونان والسريان وذلك منذ اجيال كثيرة . وهم مع ذلك لا يزالون محافظين على الاسرار والقداس والاعتراف والصيامات وغيرها . ولا يخجل البروتستانت ان يقولوا ان البابوات قد غيروا الايمان واخترعوا معتقدات لا اصل لها . فلو كان ذلك اختراعاً كما يلفّقون أمَا كان نبذهُ كل من كان ينشق عن البابا . فتأملوا ايها المنكرون

قد شاع لدى الجميع ما يستنبط الابروتستانت من الحيَل والمكايد لاغوآء الانفس البسيطة وتعرقلها في فخاخ ما ينصبون من شرك التعاليم الفاسدة. وهم يوجهون عنايتهم الى فتح مدارس يقبلون فيها من غير استثناء اولاداً من جميع الطوائف والشعوب حبًّا بالمكاسب والارباح واغرآء لانفسهم الساذجة الطوية على ان الصبي يعيش ويكبر متمسكاً بالدين الذي يكتسبه عن صغر وقد يترسخ ذاك الدين في مخيلته بحيث لا ينزعه عنه الا نعمة خصوصية لا يهبها الله سبحانه كل حين. فاحذروا ايها الشرقيون احذروا من ارسال اولادكم الى المدارس الابروتستانية. فان السمّ في الدسم كقول المثل. فقد حافظتم على ما رسمه لهُ المجد من الاسرار المقدسة وعبادة القديسين وعلى الخصوص عبادة والدة الله مريم البتول. وهولاء الذئاب يحاولون خطف ذلك منكم واذ لا يقدرون غالب الاحيان على الكبار فيوجهون عنايتهم الى افساد الصغار واذا فسد الصغار سيفسدون اولادهم والضلال ينتقل من جيلٍ الى جيل. فاحذروا اذاً ولا تتغاضوا فان القديس بولس يحذّرنا من الاشتراك مع الهراطقة بما يصدع رداء كل ريب لقوله ف ٣ ع ١١ الى تلميذهِ تيطوس: ورجل البدعة بعد الانذار مرةً واخرى اعرض عنه. والقديس يوحنا الرسول قد نهى عن التسليم عليهم لقوله في رسالته الثانية ع ١٠ فمن اتاكم ولم يأتِ بهذا التعليم فلا تقبلوه في البيت ولا تقولوا لهُ سلام". فاذا كان الرسل ينهونا عن مخاطبة الاراطقة وعن التسليم عليهم. فكيف يجوز لكم يا بني الايمان ان تضعوا اولادكم في مدارس الابروتستانت. أليسوا بهراطقة. أتقولون انهم لا يعارضون دين اولادكم. اما نحن فنقول لكم وشواهد الاختبار لامعة انهم يصيّرون اولادكم اقبح من الابروتستانت اي انهم يصيّرونهم كفرة لا دين لهم ولا معتقد. وهذا الامر يحرّض الكاثوليك على انشاء مدارس مجانية وغير مجانية لردع اولادهم عن الدخول في المدارس الابروتستانية لئلا يمسوا في اخر الامر خالعين العذار وطارحين على اهلهم وطائفتهم الخزي والعار ☆

☆ خاتمة ☆

قد اسس السيد المسيح لهُ المجد كنيسة واحدة. والقديس بولس الرسول قد انبأنا انه لا بدَّ من الهرطقات والبدع وقد تمَّ ذلك حقيقةً. على انه ما عدا الابروتستانت قد وجد في الكنيسة ما ينيف على ٢٠٠٠ هرطقة وقد تلاشت الأ القليل منها. غير ان الهرطقات لا تزال تتشعب فان الكنيسة الروسية قد انقسمت الى زهاء مائة هرطقة. والكنيسة الابروتستانية قد آل امرها في مدة

٣٠٠ سنة الى انقسام أتى بما ينيف على ٣٠٠٠ كنيسة او فرقة. وهذه الكنائس سوف تنقرض كلّها الاّ انهُ لا بدَّ من ان يتألف غيرها وهذا لا يزال جارياً الى منتهى الدهر إمتحاناً للمختارين

فاذا فحصنا كيف تمَّ انفصال هذه الكنائس وعلى مَ قد اعتمدت عند انشقاقها نرى ان كلّها نشأت عن بعض نصوص الكتاب المقدس قد اساءت تفسيرها لنبذها تفسير الكنيسة الجامعة التي قد فوّض اليها وحدها تأويل الكتاب ولم تغيّر ابداً تأويلهُ ولذا لم يتغيّر ابداً معتقدها

فلو قال امنوا كما يعلّم الكتاب لقد اصبحت المحافظة على وحدة الايمان ضرباً من المحال الاّ انه لهُ المجد قد قال بصريح العبارة: مَن سمع منكم فقد سمع مني ومن لا يسمع من الكنيسة فهو كوثني وعشّار. لان الكنيسة انما هي القاضي الوحيد المعصوم عن الغلط في امور الايمان والاداب وعليه فلا حاجة الى معرفة القراءة ولا الى مطالعة الكتاب في امر الخلاص انما الواجب على كلٍّ ان يعرف الكنيسة الجامعة ومعرفتها لا تقتضي مزيد روية لان علاماتها ظاهرة والادلّة عليها واضحة وهي ان تكون واحدة مقدسة جامعة رسولية وهذه العلامات الاربع لا تنطبق الاّ على الكنيسة الرومانية فهي اذن كنيسة الله الحيّ عمود الحق وقاعدتهُ كقول رسول الامم (الرسالة الاولى الى تيموثاوس ٣ : ١٥)

ان الغرض الثنوي من جمع هذا التأليف قد ابنتهُ في المقدمة وهو الدفاع عن امنا الكنيسة الكاثوليكية والردّ على كتاب صخرة الشك وجواب الكنيسة الارثوذكسية واما الغرض الاولي فهو مجد الله وخير الانفس وانا على يقين ان كل من يقف عليهِ لا يرى فيه الاّ ما اشرت اليه. هذا والله حسبي وهو نعم الوكيل

كاتبـــه
الخوري جرجس
فرج صفير

فهرس

الجزء الاول

في بعض تمهيدات تاريخية ولاهوتية

الجزء الثاني

في القضايا الستة التي يختلف بها الكاثوليك والروم

الجزء الثالث

